هذا هو

كتاب

سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب

تأليف

أمين سعيد

الطبعة الأولى

ملتزما التوزيع

شركة التوزيع العربية في بيروت

شركة الصحافة والمطبوعات المتحدة في مكة

سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب

الإهداء

إلى سليل البيت الوهابي العظيم وارث علومه وأمجاده .

إلى حضرة صاحب المعالي الشيخ حسن بن عبد الله حسن آل الشيخ وزير المعارف السعودية السائر سيرة جده في نشر العلم وبث أنواره .

أرفع كتابي هذا تقديرًا وإجلالًا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد، فسيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي من أحفل السير بالعظات ، وأغناها بالفضائل ، وأحقها بالبحث والفحص ، والتفسير والتعليل، فهي سيرة مصلح من كرام المصلحين ، ومجاهد من كبار المجاهدين ، وعالم من خيرة العلماء ، أنار الله بصيرته ، وهداه سبله، وألهمه التقوى فدعا أمته للرجوع الى الله ، والعمل بكتابه، وسنة رسوله، ونبذ الشرك، وعبادة القبور. فانقادت اليه ، واقتدت به ، واستجابت له ، فأخرجها الله به من الظلمات الى النور فنجت وفازت ، وجنت أطيب الثمار ، وسمت الى مرتبة الاخيار .

لقد وُلد الشيخ والقرن الثاني عشر الهجري في أوائله ، أو في اواخر ما اعتاد المؤرخون المعاصرون ان يسموه القرون الوسطى، وأوائل القرون الحديثة، وما كاد يبلغ أشده ، ويرتوي من مناهل العلم ، ويطيل النظر في حالة مجتمعه

وأمته ، حتى تبين انها نبذت أحكام دينها ظهرياً ، وعبدت الطاغوت، وعظمت شأن القبور ، الى الاولياء تلجأ ، وبهم دون الله تستعين .

ولقد كانت حالة الضعف والانحطـــاط التي مرت في جسم الدولة العثمانية صاحبة السيطرة على البلاد العربية ، عاملًا كبيراً من عوامل هذا الهزال ، فقد استولى الترك على بلاد الشام ومصر في سنة ٩٢٢ هـ. ثم مدوا يدهم الى الحجـاز واليمن ، وبعدها الى ليبيا وتونس والجزائر وألحقوا بها العراق، فدانت لهم هذه الاقطار وكان الفقر والجهل كل ما حملوه اليها ، وجاؤوها به ، والجهل عدو العلم والفقر عدو الاصلاح والتقدم .

وظلت بلاد العرب تخب في الفتن ، وتتسكع في دياجير الجهالة، فاستقل كل حاكم أو أمير بالبلاد التي يحكمها، وفرض من الانظمة، وأنشأ من الاوضاع ما يلائمه ، فازدادت الحالة سؤاً ، وازداد البـلاء ، وازداد الفقر والجهل ، وعمت الشكوى ، وسادت الفوضى ، فاستسلم الناس لليأس ، وانقادوا لمـــا تجيء به الايام ، وراحوا يتلمسون المصير ، ويترقبون الفرج .

وفي وسط ذلك الجو القاتم المربد ، جو الجهل والخمول والجمود ، جو ضعف الوازع الديني ، وتسلط الحكام ، واستبداد الطغـام ، أشرقت من جانب نجد أنوار الدعوة الوهابية التي حمل مشعلها الامام المرحوم الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي النجدي ، فأنارت للأمة السبيل ، وألهمتها رشدهـا ، فشقت طريقها ، واهتدت بهديها .

لقد استعان الشيخ ، اول مـــا استعان ، بالقلم والبيان ، فدرس وعلم ، وخطب ووعظ ، وكتب وحبر ، وألف الكتب وأملى الرسائل ، ونشرها في طول البلاد وعرضهـــا ، داعيا الى الله والى توحيده ، والى نبذ الشرك، ونبذ عبادة القبور ، والى طلب العلم ، متخذا القول المأثور عن الامـــام مالك : « لا يصلح آخر هذه الامة إلا بمـــا صلح به أولها» شعاراً أي بالتمسك بالدين

والاهتداء بهديه ، والاستضاءة بنوره ، فهو الذي يسهل أمورها ، ويفتح لها مغلقات الابواب .

لقد آمن بدعوته ، واعتقد في أعماق نفسه ، ان العناية الالهية اختارته لهذه المهمة المقدسة . والايمان متى ملأ النفس ، واختلط بالوجدان ، ملك المشاعر ، وتحول الى قوة كبرى ، لا تقف المادة في طريقها ، ولا ترهبه ظواهرها ومظاهرها .

ولقي في بدء الدعوة من الاذى والعدوان والمقاومة ، ما يلقاه الدعاة والمصلحون من قومهم ، فما تردد وما توقف ، بل صابر وثابر . لم يخفه تهديد ، وما ثناه وعيد ، ولا أثرت في نفسه مغريات ، فشرقت الدعوة وغربت ، فكثر عدد المؤمنين بها ، وازداد أنصارها ، واستقام امرها ، فأزعج ذلك خصومها ، وأقلق أعداءها ، فتألبوا عليها ، وجاؤا صفوفاً صفوفاً ، لقتالها ، وإطفاء أنوارها ، فحملت السيف للدفاع عن نفسها ، وحماية كيانها. والدفاع عن النفس حق مشروع ، أقرته جميع الاديان ، وجاءت به جميع الشرائع . وهذه الحقيقة تناقض قول خصومها ، وتلقف ما افتروا وما زيفوا ، فالدعوة لم تعتمد على السيف ، ولم تشهره في وجه الذين لم يدخلوا فيها ، بل اعتمدت عليه في الدفاع عن نفسها ، ومقاومة أعدائها ، الذين تجمعوا لقتالها وتنادوا لمقاومتها ، والاجهاز عليها ، فما أغنت عنهم جهودهم فارتدوا منهزمين ، وتواروا خاسرين، وانتصرت وتغلبت لأنها نور وحق، وطبيعة النور، ان يسري ويعم وينتشر، مهما حاولوا ستره واخفاءه، ومهما أقاموا من الحواجز في طريقه، ومن شأن الحق أن يعلو ولا يعلى عليه .

وحققت الدعوة لنجد آمالها ، وقد بدأت في محيطها ، أول ما بدأت ، فأنشأت لها مجتمعاً اسلامياً سليماً ، يؤمن بالتوحيد ويعظم شأنه، ويسير على هداه، ولا يدعو مع الله أحداً . ولا يزال هذا حاله ، لم يتبدل ولم يتغير منذ عهد الشيخ حتى يومنا هذا ، فهو يصدع بالحق ويؤمن به .

وانبثقت عن هـذا المجتمـع دولة عربية كريمة ، نشأت في ظل الدعوة ، وآمنت بها ، فكانت أول دولة عربية كبرى يؤسسها العرب في داخل جزيرتهم بعد دولة الخلفاء الراشدين، فاتبعت طريقهم ، وترسمت خطاهم، فسادت وشادت ووسعت حدودها ، وضمت اليها قطر الحجاز وبلاد عسير وتهامة، ودقت أبواب العراق واكتسحت حدوده ، وبلغت مشارف الشام وامتلكت بعض اجزائه ، ووضعت يدها على الضفة الغربية للخليج (الخليج العربي) وتمتد من المحيط الهندي جنوباً الى شط العرب شمالاً ، ولا يقل طولهـا عن الف ميل ، فزينت راية التوحيد شطآنها ، ورفرفت على ربوعها .

وانتشرت الدعوة في بلاد العرب وبلاد الاسلام وسرى نورها في أرجائها ، فأقبل عليها الكثيرون وأخذوا بها ، وتفاعلوا معهـا، واستجابوا لها فكانت الام الكبرى لهذه النهضات التي تعم بلاد العرب ، وبلاد المسلمين ، وتعم الشعوب العربية والشعوب الاسلامية فأحيت ميت الهمم ، وأيقظت خامد النفوس .

وضرب الشيخ صاحب الدعوة الوهـابية الامثال على تجرده ونزاهته ، وعلى انه لم يرد من دعوته سوى وجه الله وحده ، واصلاح حال أمته والنهوض بها ، وانقاذها من ظلمات الجهالة التي كانت تغمرهـا ، وتقيمها وتقعدها ، فاعتزل السياسة سنة ١١٨٧ بعدما استقرت الدعوة واستقام عودهـا ، وزال كل خطر يهددها ، وتضاعف عدد انصارهـا والمؤمنين بهـا . وعكف على عبادة ربه ، يشكره على نصره وتأييده ، وابتعد عن الدنيا وزخارفها ، لا يبغي حكماً ولا سلطاناً ، ولا مالاً ، ولا نشباً، وظل هذا شأنه يصوم النهار ويقوم الليل عابداً متهجداً ، خالصاً لله مخلصاً ، حتى وافته منيته سنة ١٢٠٦ ، فذهب الى لقـاء ربه راضياً مرضياً ، بما قدم وأسلف .

على ان هذا لا يمنعنا من القول بأن الدعوة الوهابية نفسها ، لم تلق من عناية علماء نجد وادبائها وكتابها ، ما كان يجب ان تلقاه . ولعل مصدر ذلك انزواء نجد في قلب الجزيرة سحابة القرنين الماضيين ، وصعوبة الاتصال بهـا ، وقلة

وسائل النشر لديها. على ان هذا كله زال الآن ، فتيسرت الاسباب ، وفتحت الابواب ، وازدهرت رياض العلم، مما نرجو ان يضاعف اهتمامهم، ويشحذ عزائمهم فسيرة الشيخ محمد من أحفل السيَر بالعظات، ومن أجدرها بالدرس، لما جوانبها المتعددة، ومصادرها الكثيرة، يضاف الى ذلك كله ان الشيخ خلف ثروة عظيمة وكنوزاً حافلة من الكتب والمؤلفات ، في حاجة الى اعادة الطبع والترجمة الى اللغات الاجنبية ليعم نفعها ، ويستفيد الناس منها ، ويغترفوا من بحر فضلها.

ويسعدني ويشرفني ان أكون أحد القلائل ممن وضعوا في سيرة الشيخ كتاباً في لغتنا العربية ، وها أنا أقدمه بين يدي القراء وأرجو ان يكون طليعة ومقدمة لكتب اخرى تتلوه ، فالتكرار مفيد ونافع .

ومنه تعالى استمد العون والتوفيق .

بيروت في اول صفر سنة ١٣٨٤ — أمين سعيد

حَقيقة الدّعوة الوَهّابيّة

١ — ما هي حقيقة الدعوة الوهابية ؟ وما هي الغاية التي تتوخاها ، وترمي اليها ؟

٢ — من هو صاحب هذه الدعوة ومؤسسها ؟

٣ — ما هي النتائج الايجابية التي أنتجتها ؟

تلك هي الاسئلة التي جالت في فكري حينما شرعت في تأليف هذا الكتاب، ويعد من الأوائل في بابه خلال هذه المرحلة الواسعة من تاريخ تطورنا العلمي .

وسيجد دارس هذه الدعوة ، دراسة علم وتدبر ، ورغبة صادقة في الوقوف على حقيقتها ، وبلوغ اعماقها ، والاحاطة بتطورها وتحولها.ان الاخلاص الكامل والرغبة الصادقة في تطهير الدين من البدع والخرافات والعودة الى الاسلام الصحيح ، والاخذ بمذهب الامام أحمد ، مذهب السلف الصالح ، هو الحافز الحقيقي الذي حفز صاحبها الى دعوتها والمناداة بها .

والمتفق عليه بين الباحثين في شؤون العالم الاسلامي في ابتداء العصور الحديثة ان حالة المجتمع الأسلامي في العصر الذي ولد فيه الشيخ (القرن الثاني عشر هـ)

ما كانت تبعث على ارتيـاح الذين كشف الله عن بصيرتهم ، وأنار قلوبهم بنوره الإلهي ، فالوازع الديني ضعيف او معدوم ، والبدع متفشية ، والجهالة عامة ، وعبادة القبور والاشجار سارية، وعدد الذين يقرأون ويكتبون حتى داخل المدن أندر من الكبريت الاحمر ، وكل ما هنالك يدل على الانحلال الخلقي ويبعث على التطير والتشاؤم .

وأطال الشيخ النظر في حالة مجتمعه ، ودرس اوضـاعه ، من جميـع الزوايا والنواحي ، وتأمل وأطال تأمله ، وفكـر واستغرق في تفكيره ، فألهمه الله بأن اصلاحه والنهوض به لن يكون إلا بالاخذ بمـــا أخذ به الصحابة والسلف الصالح ، فآمن بهذا الالهام ، وانطلق ينشر دعوته، ويبشر برسالته التي اختارته لها العناية الالهية وخصته بها .

فالشيـخ لم يبتدع بدعة ، ولم يحدث حدثاً ، ولم يأت بجديد من عنده وانما هو رأي ارتآه ، يمكن ان يلخص بهذه الجملة « الرجوع الى الله والعمل بمـا جاء في كتاب الله والاقتداء بالرسول والسير على سننه » .

واذا كنت في شك من هـذا القول فنحن نؤيده بفقرات اقتطفناهـــا من كتابين ارسلهما الشيخ في ابتداء الدعوة الى عالمين كبيرين ، أحدهما في الحسا ، والثاني في بغداد .

الاول الى الشيخ محمد بن عبد اللطيف عالم الحسا .

والثاني الى الشيـخ عبد الرحمن السويدي من علماء بغداد .

يقول الشيخ في كتابه الى الاول ، وكان يعرفه معرفة شخصية ، وقد زاره في طريق عودته من البصرة الى نجد ونزل في ضيافته (انظر ص ٧٧ من تاريخ ابن غنام المعدل) رداً على كتاب منه اليه يسأله عن حقيقة دعوته وما يبشر به ويدعو اليه ، فقال :

« أدعو الى الله وحده ، لا شريك له ، وأدعو الى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم التي أوصى بها اول أمته وآخرهم » .

وقد اثبتنا هذا الكتاب بنصه في باب الرسائل .

ويقول في كتابه الى الشيخ عبد الرحمن السويدي من أكابر علماء العراق رداً على كتاب أرسله اليه مستفسراً عن دعوته ، ما نصه :

« اخبرك اني والحمد لله متبع ولست بمبتدع ، عقيدتي وديني الذي ادين به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين وأتباعهم الى يوم القيامة » .

وقد أثبتنا هذا الكتاب أيضاً في جملة رسائله الكثيرة الى أهل العلم ، وكلها تدور في هذه الدائرة وتنحو هذا المنحى .

إذن ، فالدعوة الوهابية ، دعوة حق وصدق ، ونور وهدى ، أريد بها الرجوع الى الاسلام الصحيح ، ونبذ البدع والخرافات ، وترك عبادة القبور ، وقد كانت متفشية في ذلك العهد ، وما جاهد الشيخ في سبيلها إلا لأنه آمن بأنها طريق الخلاص والنجاة .

ولقد أنتجت الدعوة أفضل النتائج ، وأثمرت أطيب الثمرات وأبركها ، فأنشأت لنجد مجتمعاً اسلامياً راقياً يؤمن بالتوحيد، ويسير على قدم السلف الصالح ويهتدي بهديه ، انبثقت عنه دولة عربية كبرى ، شعارها كلمة لا إله إلا الله ، نقشتها على علمها ، وعملت بواجبها ، ولا تزال قائمة نامية بفضل الله ثم بفضل هذا الشعار والذين نهضوا بأمرها ، وتولوا قيادها .

نشأة الشيخ وسيرته

نشأ الشيخ نشأة تدين وتقوى ، ورأى النور في بيت عماده العلم والايمان .

لقد ولد سنة ١١١٥ في بلدة العينية من اقليم العارض في نجد ، وكان والده يتولى قضاءها .

ووالده هو الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد بن بريد ابن محمد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب التميمي ، نسبة الى تميم احدى قبائل نجد الكبرى، ذات الشهرة العريضة في الجاهلية والاسلام ، وهي منتشرة في معظم الاقاليم العربية ، فهي في نجد والعراق والشام ولها في نجد مدينة خاصة تحمل اسمها هي « الحوطة » او حوطة بني تميم[1] .

١) دخل الاحنف بن قيس سيد بني تميم في الاسلام، واشترك في معركة صفين مع الامام علي بن أبي طالب وقاتل معاوية معه . وزار هذا بعد الصلح وبعد ان استقام له الامر ودانت البلاد ، فذكره تلميحاً لا تصريحاً ، بما كان . فرد عليه فقال : والله يا معاوية ان القلوب التي كرهناك بها لهي في صدورنا ، وان السيوف التي حاربناك بها لهي في أغمدتها ، فان تمشي الى الحرب فتراً ، نمشي اليها شبراً » فأغضى معاوية وسكت .

وسأله أحد جلسائه بعد ارفضاض الجلسة عن هذا الذي تطاول على أمير المؤمنين ، فقال انه سيد بني تميم ومن ، اذا غضب ، غضب معه مئة الف سيف ، وهم لا يدرون لغضبه سبباً .

ويقول ابن بشر « ان جده الاعلى سليمان بن علي كان عالم نجـد في زمانه ، له اليد الطولى في العلم ، واليه انتهت الرئاسة في نجد ، ضربت اليه آباط الابل ، صنف ودرس وأفتى . وكان علماء نجد في زمانه يرجعون اليه في كل مشكلة من الفقه وغيره . رأيت له سؤالات وجوابات كثيرة ، وصنف كتاباً في المناسك. أخذ العلم عن علماء أجلاء منهم الشيخ احمد بن محمد بن مشرف وغيره .

« وان والده كان من خيرة رجال العلم في عصره ».

علائم النبوغ والتفوق

وظهرت عليه علائم النبوغ والتفوق منذ كان صبيـــاً ، فكان حاد الذكاء سريع الحفظ ، سريع الفهم ، مقبلاً على طلب العلم ، منكباً عليه ، وقد أتم حفظ القرآن وهو في التاسعة، بما أدهش والده فكتب الى أحد أصدقائه مكبراً شأنه ، ورآه أهلاً للصلاة بالجماعة لمعرفة الاحكام الشرعية فقدمه يؤم المصلين .

وقرأ على والده الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل، مذهب اهل السلف فأثر كثيراً في نفسه .

وعكف على المطـالعة والحفظ ، فقرأ كتب الحديث واستظهر اكثرها وكتب التفسير، وكتب الفقه والنحو والأدب ، فتفتح ذهنه، وسمت مداركه وارتقى تفكيره .

الرحلة في طلب العلم

ولم يطفىء ظمأه وتعطشه للعلم مـــا وصل اليه ، فاعتزم الرحلة في طلبه ، والسعي الى حملته ، فقصد وكان لا يزال في مطلع شبابه ، وغض اهـابه ، الى الحجاز لاداء فريضة الحج أولاً ، ولطلب العلم ثانياً ، فأدرك الغرضين ، وحقق الغايتين .

وعكف ، بعد عودته الى العيينة ، يعد معدات الرحلة الى العراق والشام للحصول على زاد من العلم أوفر ، وللاتصال بمن فيهما من اعلام العلماء ، ودرس حالة المجتمعين .

والبصرة أول مدينة عراقية حط فيها الرحال ، وبادر فاتصل بمن فيها من اهل العلم والادب ، فوصل حبله بحبلهم ، وقرأ عليهم ، وأخذ عنهم .

أول الغيث

وهاله ما رآه في البصرة من انتشار البدع ، وذيوع عبادة القبور ، والتوسل بالأولياء ، فبدأ بانكارها ، وانطلق يدعو الى تركها ، فذاع صيته ، وانتشر اسمه ، وصار مجلسه يغص بالزائرين، فكان يدرسهم التوحيد ، ويعلن ان الدعاء يجب ان يكون كله لله ، ويكفر من يدعو لغيره ، واذا ذكر أحد في مجلسه كرامات الاولياء والصالحين ، نهاه عن عبادتهم ، وقال ان محبتهم تكون باتباع هديهم ، لا باتخاذهم آلهة من دون الله . وكان يدحض الشبهات ويجيب عليها بما يزيل اللبس ، ويوضح الحق .

وكبر على أهل البدع وأنصار الشرك ، وعزّ عليهم ان يسفه آراءهم ويخرجهم عما وجدوا عليه آباءهم، فتآمروا عليه، واتفقوا على اذيته، والايقاع به، وجاءوه ظهراً وعلائم الشر تبدوا في وجوههم ، فلم يشأ ان يصدمهم ، بل آثر السلامة وغادر البصرة على الفور ، وكان الوقت ظهراً ، والحر مشتداً، ناجياً بنفسه ، فكان أول عناء يلقاه في سبيل الدعوة ، وأول نازلة تنزل به ، وتلك سنة البشر من القديم ، فلا يأتيهم رسول أو مصلح لهدايتهم واخراجهم من ظلمات الحياة الى نورها ، إلا اندفعوا في تعذيبه ، وفي الايقاع به . على انهم سرعان ما يلتفون حوله ، متى تبين لهم ان دعوته حق ، وانه انما يعمل لخيرهم فينقادون اليه ، ويحملون رايته ، ويقاتلون دونه ، ويفدونه بالنفس والنفيس ، وينصرونه نصراً مؤزراً . نعم تلك هي سنة البشر لا تبديل ولا تغير.

العودة الى نجد

كان في عزم الشيخ ان يواصل السفر الى بغداد والى الشام للاتصال بعلمائها والتزود بزادهم العلمي ، وهو بذلك يتبع سنن الكثيرين من علمائنا الاعلام ، الذين ضربوا في الارض، وشرقوا وغربوا في سبيل العلم ، عاملين بالقول المأثور: اطلب العلم ولو في الصين، بيد ان قلة المال لديه ، بسبب حادث وقع له ، جعله يعود الى نجد ، فامتطى احدى سفن الخليج فأوصلته الى الحسا ، فنزل ضيفاً كريماً على صديقه الشيخ محمد بن عبد اللطيف عالمها ، وأقام أياماً لديه كانت حافلة بالبحث والمطالعة ، تنم عن ذلك رسالته الى صديقه هذا ، وهي منشورة في باب الرسائل الملحقة بهذا الكتاب .

ومع ان مدوني سيرته لم يذكروا تاريخ عودته الى نجد ، الا ان المعروف انه عاد اليها سنة ١١٣٩ وكان قد ناف على الخامسة والعشرين .

الشروع بالدعوة

واجتاز صحراء الصمان ووصل الى مدينة حريملا ، إحدى مدن منطقة العارض وهي تجاور العيينة المدينة التي نشأ فيها ، وحل في منزل والده ، وكان يتدبرها ، ويتولى قضاءها ، فقد جاءها اثر خلاف طرأ بينه وبين اميرها محمد بن حمد آل معمر ، فاستقر فيها الى جانب والده ، يقرأ واياه ويتدارسان العلوم معقولها ومنقولها .

ويمكن القول ان هذه الفترة التي قضاها في حريملا ، وقد امتدت نحو ١٥ سنة ، أي منذ وصوله سنة ١١٣٩ ، الى سنة هجرته الاولى الى العيينة سنة ١١٥٣ ، كانت فترة تأهب للوثبة الكبرى التي أعدته لها العناية الالهية ، وألهمته إياها .

على انه لم يلزم الراحة ، ولم يخلد الى الهدوء ، في هذه الفترة ، بل كان على عادته ، يواصل القاء الدروس والتعليم ، طبقاً للخطة التي يسير عليها . على انه مراعاة لمقام والده ، واحتراماً له ، لزم الاعتدال . فقد كان يوصيه بالاتئاد وعدم الاندفاع ، خوفاً عليه من العامة ، فلا يؤذونه او يصيبونه بمكروه .

واسترد حريته المطلقة بعد وفاة الوالد سنة ١١٥٣ ، فأعلن الدعوة واندفع يعمل على اوسع نطاق ، لا يخشى عدواناً ، ولا يخاف زاجراً ، فشاع خبره في المنطقة كلها ، وتحدث النـــاس عن الدعوة ، ولهجوا بذكرها ، فأقبل عليه كثيرون واتبعوا هداه ، ولزموا مجلسه ، وواظبوا على حضور دروسه ، والاستماع الى خطبه ومواعظه ، وقرأوا عليه علوم الحديث والتفسير ، وازدادوا به تعلقاً وله تعظيماً وتوقيراً .

كتاب التوحيد

وألف في تلك الفترة ، كتاب التوحيد ، وهو اول ما سطر وحبّر ، فكان من خيرة الكتب التي ألفت في هذا الباب وأكثرها نفعاً ، وكانت الغاية من تأليفه ونشره ، ان تعم الفكرة وان يتداول الناس ما جاء فيه .

كتاب كشف الشبهات

وواصل التأليف فأتبع كتابه التوحيد الخالد ، بكتاب آخر لا يقل عنه فائدة وأسماه كتاب كشف الشبهات ، فكان آية في البلاغة ، وحجة في الاقناع ، وقد اراد من وضع هذا الاخير ، كشف الشبهـــات التي كانت تعرض للناس وبيان وجه الحق فيها . وأتبعهما بعد ذلك بسلسلة من الكتب والرسائل ، ترى اسماءها في مكانها .

الهجرة الاولى

وانقسم اهل حريملا بالنسبة للدعوة الى قسمين :

قسم يؤيدها ويواليها ويعتقد انها حق وصدق . وآخر ينكرها ويقاومها وهو الاكثر والاقوى .

وكان لأحد رؤساء البلد ، عبيد زاد تعديهم على النـاس وكثرت جرائمهم ، فزجرهم الشيخ وحذرهم ونهاهم ، فكبر ذلك عليهم ، فهموا باغتياله ، واتمروا به ، وانتظروا حتى جن الظلام ، فجاؤا سراً يحاولون تسلق جدار منزله ، وكان ينام فيه ، لاغتياله ، فشعر بهم بعض الجيران وصاحوا بهم ، فولوا منهزمين وأنقذه الله من أيديهم .

وأدرك بعد هذا الحادث ، وهو مؤلم ، ان من الخير له ، أن يهاجر الى «العيينة» وهي دار نشأته الاولى ، وموطن اصدقائه واخوانه ، ولا تبعد كثيراً عن حريملا ، وكلاهما في منطقة واحدة .

ورحبت به العيينـة أصدق ترحيب ، وأنزلتـه على الرحب والسعة ، وبادر شيخها عثمان بن معمر فدخل في الدعوة ومشى تحت لوائهـا ، ونفذ كل ما طلبه الشيخ واراده ، فهدم ما كان هنالك من قبب ومشاهد ، كان العامة يقصدونها للزيارة والتبرك .

واطمأن الشيخ الى مقامه في دار هجرته الجديدة ، وارتاح الى مـــا بلغه وناله . وعكف على القاء الدروس وتعليم الطلاب ، وأرسل الكتب والرسائل الى علمـــاء الديرة وشيوخ الدين يدعوهم الى الدخـول في الدعـوة والرجـوع الى التوحيد ، وهي مثبتة في مكانها من الكتاب .

وأراد الشيخ الخروج الى الجبيلة[1]، لهدم قبة مبنية على قبر زيد بن الخطاب كان العامة يعظمونها، مع هدم ما هنالك من القبب والمشاهد وقطع الاشجار، ولم يتردد ابن معمر في الموافقة على الهدم حينما فاتحه، فقال له، ولكني أخشى ان يقاومنا أهل الجبيلة ويفتكوا بنا، ولذلك اطلب اليك ان تكون معنا فوافق بدون تردد، وأعد ٦٠٠ من رجاله خرج على رأسهم في الوقت المعين المحدد.

وجمع أهل الجبيلة جموعهم استعداداً للمقاومة، وتوزعوا في المراكز الاستراتيجية ورابطوا فيها، بيد انهم تراجعوا ولانوا حينما شاهدوا قوة ابن معمر، فسكنوا ولم يجرؤا على المقاومة او الاعتراض.

وهدم الشيخ القبة بمعوله، وهدمت المشاهد الاخرى، واشترك في هذه الحملة مشاري وثنيان شقيقا محمد بن سعود صاحب الدرعية، وكانا من الذين آمنوا بالدعوة ودخلا فيها، فقطع الاول شجرة ديوة وقطع الشيخ بيده ايضاً شجرة الذيب مع بعض اصحابه، وكان العامة يعظمون الشجرتين.

وضجت نجد لهذا الحادث، وكان له صداه الكبير، ودويه العظيم، وتناقل الناس اخباره وأكثروا من الحديث عنه، ذلك ان بعض جهلة العامة كان يعتقد بأن من يقدم على هدم القبة، لا بد ان يصاب بمكروه، وكانوا، تبعاً لذلك، يتوقعون ان يصاب الشيخ بأذى، فلما انقضت مدة وهو يتمتع بأكمل صحة، أقبلوا عليه وعظموا شأنه، واعتقدوا انه على حق، وآمنوا بدعوته.

١) مدينة صغيرة في وادي حنيفة تقع في منتصف الطريق تقريباً بين الدرعية والعيينة، دارت فيها معركة كبرى في حرب الردة سنة ١٢ هـ. بين المسلمين والمرتدين من أهل اليمامة، استشهد فيها عدد من الصحابة من جملتهم زيد هذا شقيق الخليفة عمر بن الخطاب، فدفنوهم في تلك البقعة وبنوا في بعض الروايات قبة على قبر زيد، ومشاهد على قبور الآخرين، فكان العامة يبالغون في تعظيمها ويكثرون من زيارتها.

ومضى الشيخ في تنفيذ خطته ، فدمر كل ما كان في البلاد الخاضعة لابن معمر من مشاهد وأوثان وقباب ، وقطع مـــا كان هنالك أيضاً من اشجار ، فكانت اول بلاد في نجد تطبق مبادىء الدعوة ، وأول من يؤمن بهـا ويدافع عنهـا .

وجاءت الى الشيخ امرأة اعترفت بجريمة الزنا وهي محصنة ، فظن أن في عقلها خللًا أو بها خبل، فاختبرها فوجدها صحيحة العقل والجسم، وقالت له ايضاً انها لم تكن مغصوبة ، فأعرض عنها ، فكررت الاقرار اربع مرات في أيام متوالية ، فأمر برجمها عملًا بالاحكام الشرعية ، فخرج ابن معمر وجماعته فرجموها حتى ماتت ، فأمر بدفنهـــا ، فكان اول حكم شرعي ينفذ في بلاد نجد منذ احقاب متطاولة، وكان لتنفيذه بالطريقة التي نفذ فيهـا ، صداه الكبير في البلاد كلها ، فقرت به عيون اهل التوحيد والايمان وأيقنوا بقرب نصر الله، ووجفت له قلوب اهل البدع والشرك وخافوا نتائجه .

وكان رؤساء المدن الكبرى في نجد ، ورؤساء القبائل ، في مقدمة الناقمين المستنكرين ، فقد سرى في عقيدتهم، ان انتصار الدعوة وفوزها ، معناه خروج الامر من أيديهم ، وكانت ، أي الدعوة ، اكثر مـــا تعول على العامة وعلى الطبقة العاملة ، وطبقة الاوساط ، فقد كان هؤلاء جندها وانصارها .

وانضم الى الناقمين المستنكرين من رؤساء المدن والقبائل ، فريق كبير من علمـاء الجمود وانصار البدع وكان لهم شأنهم في نجد ، وكان يساورهم من الدعوة ما يساور الامراء والشيوخ . وهكذا وحّد كره الدعوة والخوف من فوزهـا بين هؤلاء وهؤلاء ، فانطلقوا يعملون على صعيد واحد لمقاومتها .

وسار سليمان بن عريعر شيخ بني خالد ، من اقوى قبائل نجد، في الطليعة ، فقد جاءه بعض علماء الجمود ينادون ويلًا وثبوراً ، ويلطمون الخدود ويعيدون

ويبدون بأن انتصارالدعوة معناه القضاء على نفوذه، وخروج عشيرته عليه ، وان من مصلحته ومصلحة نجد كلها، أن يبادر الى مقاومتها ، والقضاء عليها، قبل ان تقضي عليه وتخرجه من دياره. فانخدع بأقوالهم وبادر فكتب الى عثمان بن معمر وكانت بينهما صلات ود وثيقة ويجري له جراية مالية ، يأمره بقتل الشيخ فوراً أو اجلائه عن بلده. فأرسل هذا فدعا الشيخ واخبره خبرالكتاب وقال له انه ليس له طاقة بحرب ابن عريعر ، ولا مقاومته ، ولا اغضابه . فقال الشيخ ان هذا الذي قمت به ودعوت اليه وهو كلمة لا إله إلا الله ، واركان الاسلام ، والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فان أنت تمسكت به ونصرته ، فان الله يظهرك على اعدائك ، فلا يزعجك سليمان ولا يفزعك ، فاني أرجو ان ترى من الظهور والغلبة والتمكين ، ما تملك به بلاده ، وما وراءها ، وما دونها . فاستحى عثمان وأعرض عنه .

وعاد عثمان فدعا الشيخ ثانية وقال له ان سليمان أمرنا بقتلك ولا نقدر على اغضابه ومخالفته ، وليس من الشيم ان نقتلك في بلادنا ، فشأنك ونفسك وعليك ان تخلي بلادنا. ثم سأله الى أين يريد ان يمضي، فقال الى الدرعية. فأمر أحد فرسانه ان يركب جواده ويرافقه . وكان الشيخ يمشي وليس بيده سوى المروحة والفارس على جواده، وذلك في إبان اشتداد الحر. وكان إبان الطريق لا يلتفت الى ما ورائه ، ويلهج بقوله تعالى : « ومن يتقي الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

وكان ذلك في سنة ١١٥٨ لي رواية ابن بشر ، وسنة ١١٥٧ – ١١٥٨ في رواية ابن غنام .

اتفاق الدّرعيّة

أطل الشيخ على الدرعية ووصل الى اعلاهـــا وقت العصر ، ولا تبعد عن العيينة اكثر من ٣٠ كم ، وبينهما مدينة الجبيلة ، وهذه المدن الثلاث متجاورة في وادي حنيفة أحد أودية نجد الكبرى، وبين سكانها صلات ود وثيقة .

ومـــا كان امر الدعوة وأمر الشيخ مجهولاً في الدرعية ، فقد كانت تعرفه معرفة جيدة وتعرف اخباره ، وكان فيهـا الكثير من الانصار والاتباع ، كانوا يترددون عليه في العيينة ويحضرون دروسه ويأخذون عنه ، عرفنـا منهم ثنيان ومشاري من اخوة الامير محمد بن سعود ، وعرفنـا منهم احمد بن سويلم ، فقد اشترك هؤلاء الثلاثة في الحملة التي قادها الشيخ بنفسه حينما خرج فهدم قبة زيد ابن الخطاب في الجبيلة . وقد يكون هناك غيرهم كثيرون لم يدونوا اسماءهم .

وكانت هنالك أيضاً مراسلات بينه وبين الفتى عبد العزيز أكبر انجال الامير محمد بن سعود ، فقد طلب اليه وهو في العيينة ان يضع له تفسيراً لسورة الفاتحة فأعده وأرسله اليه .

ويقول ابن بشر انه نزل في ضيافة احمد بن سويلم العريني ، فرحب به هذا

حين وصوله ، ولكن دلائل الاضطراب كانت تقرأ في وجهه ، فسكن روعه وقال له لا تجزع سيجعل الله في ذلك مخرجـــاً ، فنحن لا نبغي سوى الامن والامان وحماية الدعوة .

وزار العربني مشاري وثنيـان شقيقا الامير ، وذكر لهما نبأ وصول الشيخ وقال انه في منزله ، وانه يبغي الحماية والامن والامان له وللدعوة ، فذهبا الى منزل شقيقهما الكبير وتحدثا الى زوجته موضى بنت وطبان ، وكانت مشهورة بوفرة الذكاء والنباهة وسعة المدارك ، عن وصول الشيخ وعن دعوته ، وقالا انه يطلب الحماية والرعاية ، كما تكلما عن الدعوة نفسها وقالا انهما لا يريان بأساً من الترحيب به والاستجابة له .

وحملت موضى الى زوجها ما سمعته من أخويه ، وختمت بدعوته الى مناصرته وتأييده لأنه يدعو الى الحق والاسلام الصحيح المجرد من الحشويات ففتح الله صدره للايمان فلم يتردد في اعلان موافقته .

ومما تم الاتفاق عليه في هـذا الاجتماع البسيط الذي ضم اقطـــاب البيت السعودي ، ان يبدأ الامير الشيخ بالزيارة في محل نزوله ، اكباراً لشأنه ، وتعظيماً لقدره ، فيكون ذلك بمثابة اعلان عن تأييده . وذهب بالفعل الى دار العربني ومعه شقيقاه ، وبادر الشيخ حين دخوله بالسلام وقال له : أبشر بالخير والعز والمنعة . فرد عليه قائلًا : وانت أبشر بالعز والتمكين والغلبة على جميع بلاد نجد . إنها كلمة لا إله إلا الله ، من تمسك بها ، وعمل لها ، ونصرها ، ملك بها البلاد والعباد . انها كلمة التوحيد وانها اول ما دعا اليه الرسل .

وتناول الشيخ بعد ذلك الحديث ، فأفاض في الكلام عن سيرة الرسول الاعظم وما دعا اليه ، وما قام به اصحابه من بعده من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله . وقال ان كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . وأفاض في الكلام عن البدع المتفشية في نجد وما عليه اهلها من الشقاق والنزاع والبعد عن محجة الشريعة .

وختم الامير محمد الاجتماع ، فقال :

أيها الشيخ

إن هذا دين الله ودين رسوله ، لا شك فيه ، فابشر بالنصرة لما أمرت به ، وبالجهاد لمن يخالفك . على ان لي عليك شرطين لا بد من الوفاء بهما ، اذا نحن قمنا بنصرتك ، والجهاد في سبيل الله تعالى ، وهما :

أولاً : ان تظل لدينا اذا فتح الله لنا البلاد ، ولا تستبدل بنا غيرنا .

وثانياً : ان لي على اهل الدرعية خراجاً اتناوله منهم وقت جني الثمار ، فلا تمنعني عن أخذه .

فقال له : أما عن الاولى ، فامدد يدك ، فمدها ، فقبضها وقال له : « الدم بالدم والهدم بالهدم » .

وأما عن الثاني فقال : « لعل الله يفتح عليك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير من الخراج » .

وهكذا تم الاتفاق بينهما على الجهاد في سبيل الله واعلاء كلمة التوحيد ونشر راياته ، وهو اتفاق شرعي وقد أنتج أفضل النتائج ، كما سنرى .

وقام الشيخ على الاثر فدخل البلد واستقر فيها وشرع في القـــاء الدروس والوعظ والتعليم والارشاد .

وقد عدد ابن غنـام في تاريخه ص ٨١ أسماء الذين عاونوه وناصروه ، وقال ان من أشهرهم ثنيـان بن سعود ، ومشاري بن سعود ، وفرحان بن سعود ، والشيخ احمد بن سويلم ، والشيخ عيسى بن قاسم ، ومحمد الحزيمي ، وعبدالله ابن دغيثر ، وسليمان الوشيقري ، وحمد بن حسين واخوه محمد وغيرهم .

ولما وصلت الى العيينة اخبار اتفاقه مع محمد بن سعود ، مقرونة بأخبـــار الحفاوة الكبرى التي لقيها ، في الدرعية ، توافد اليه فريق من رؤساء قبيلة ابن معمر من أبناء عم عثمان ، وكانوا على خلاف معه . كما توافد اليه الكثيرون من

أبناء المدن المجاورة الذين دخلوا في الدعوة وأشربوا حبها، وآمنوا بها ، فنزلوا على الرحب والسعة بجوار الشيخ الذي آخى بينهم وبين اخوانهم من اهل الدرعية مقتفياً أثره صلى الله عليه وسلم ، في المؤاخاة بين المهاجرين والانصار .

ابن معمر يندم ويعتذر

وندم عثمان بن معمر على ما فرط ، وادرك انه خسر خسارة كبيرة بتخليه عن نصرة الشيخ وحمله اياه على الخروج ، فجاء على رأس نفر من قومه اليه في الدرعية ، تائباً ومظهراً الندم ، وطلب منه الرجوع معه ، فاعتذر له وقال ما الى هذا سبيل ، فقد خرج الامر من يدي وانتقل الى يد محمد بن سعود ، ولا بد من استشارته، فاذا وافق خرجت معك ، وإلا بقيت هنا طبقاً لاتفاقي معه.

وكان جواب هذا لابن معمر حينما جاءه طالباً السماح للشيخ بالخروج ، لا سبيل الى هذا ، فقد وفد الينا ونحن أنزلناه في جوارنا وتعهدنا بحمايته .

ومضت الدعوة بعد هذا الاتفاق في سبيلها ، وسارت في الطريق المرسوم لها ، فحققت الغاية التي دعت اليها ، وأدركت سؤلها ، وأنتجت لنجد ولأهلها خاصة ، وللعرب والمسلمين عامة ، أفضل النتائج ، وما التوفيق إلا من عند الله.

تأسيس الدولة السعودية

يشترط علمـــاء حقوق الدول في تكوين كل دولة ، ان تقوم على الأسس الآتية :

١ ـ ان تكون ذات ارض (وطن) خاص بها ، معروف الحدود .

٢ ـ أن تكون ذات شعب يعيش في داخل حدودها ويخضع لها ، ويلتف حول رايتها .

٣ ـ ان يكون لهـــا هدف معين تسعى لادراكه ، وغاية محدودة تعمل لتحقيقها .

ولقد حقق اتفاق الدرعية بين محمد بن سعود صاحب امارة الدرعية المستقـلة ذات الحدود المرسومة المعروفة ، وذات السكان والمواطنين الخاضعين لهـــا ، والذين يعيشون في داخل دائرتهـا ، وبين الشيـخ محمد بن عبد الوهـاب صاحب دعوة الاصلاح الديني ، التي ترمي الى انهاض المسلمين واعادتهم الى الاسلام الصحيح ، الشروط الثلاثة كاملة غير منقوصة ، فانبثقت عنه الدولة السعودية انبثاقاً طبيعياً فكان مولدها مصدر خير وبركة ، لا لنجد وحدها ، ولا للعرب وحدهم ، بل

للمسلمين عامة ، والشرق كله بوجه أعم وأوسع .

فأما نجد وأبناؤها ، فقد وجدوا دولة جديدة شعارها اعلاء كلمة التوحيد ومحاربة البدع والسير وفق الاحكام التي جاء بها الاسلام ، وأي غاية أسمى من هذه الغايات ، وأي شرف يعادلها ، ويصل الى مرتبتها .

ولقد سارت هذه الدولة على هذه الخطة منذ نشأتها الاولى ولا تزال تسير عليها حتى هذا اليوم وهذه الساعة ، مع انه مضى على تأسيسها ٢٢٦ سنة ، لم تحد عنها ولم تتبدل ، ولم تتغير ، رغم كل ما طرأ على العالم خلال هذه المدة الطويلة من تبدلات وتغيرات ، لا تتهاون في اقامة حكم من احكام الدين ، ولا تتسامح في أي مخالفة تحدث ، وحسبها شرفاً وفخاراً ، انها اعلت مقام الجزيرة في العالمين، وأنالتها مكانة مرموقة، وجعلت لها كلمة مسموعة ، ومنحت شعبها أفضل حكم ، أسعده وضمن له حياة حرة هنيئة ، يغبطها عليها سكان الشرق العربي كافة .

وكانت هذه الحكومة في الوقت نفسه مصدر خير وبركة للعالم العربي ، وحسبها فخاراً انها أول دولة عربية يؤسسها ويرفع قواعدها العرب ، في قلب بلاد العرب ، فقد تسلط الاغيار على البلاد العربية بعد انهيار الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ. ثم جاء الترك في سنة ٩٢٣ ، فحكموا هذه البلاد وساموها الذل والخسف ، وبعدوا بها عن جوهر الدين وروحه ، وشجعوا على نشر البدع ، يريدون ان يبقى الشعب رازحاً تحت نير العبودية ، كما سلطوا عليها حكاماً من أسوأ الحكام ، فجاء انشاء الدولة الجديدة ، في نفس البقاع التي أشرق منها النور المحمدي ، فتحاً مبيناً للعرب بعثهم بعثاً جديداً ، وأعاد اليهم الروح ، وأحيا فيهم عاطفة العزة والكرامة والاباء .

وسرى تأثير هذه النهضة المباركة الى العالم الاسلامي المترامي الاطراف ، فأنعش شعوبه وأممه ، ففتح الباب امام فريق من أبنائه في مختلف البقاع والاصقاع ، فآمنوا بها ورافقوها في تطورها ، وكتبوا عنها. ولئن كان تأثيرها

محدوداً في اول الامر بالنسبة اليهم ، إلا انه اتسع على الزمن ، وأتى أكله مضاعفاً .

تطور نظام الحكم في الدولة الجديدة

يقول ابن غنام في تاريخه المعدل ص٨٤، ان الحل والعقد، والاخذ والعطاء، والتقديم والتأخير ، ظل بيد الشيخ ، فلا يركب جيش ، ولا يصدر رأي من محمد بن سعود وولده عبد العزيز إلا من قوله ورأيه .

الشيخ يعتزل الحكم والسياسة

ويقول أيضاً ان الشيخ اعتزل الحكم بعد فتح الرياض سنة ١١٨٨ ، باعتبار ان الدعوة استقرت وتأمنت السبل ، وانقاد كل صعب ، وجعل الحكم كله بيد الامام عبد العزيز وفوض اليه امور المسلمين وأمور بيت المـــال ، ولزم العبادة وتعليم العلم ، فأثبت بذلك ترفعه ، وأقام الدليل على أنه كان مخلصاً في دعوته ، لا يريد سوى وجه الله ، وانقــاذ أمته ، وتحريرها من ربقة الجهل والشرك . فلما حصل كل ذلك ، اعتزل وانصرف للعبــادة حتى آخر نسمة من حياته .

أول امام من البيت السعودي

ويقول أيضاً في مكان آخر من كتابه ص ١٢٥ ، أن محمد بن سعود اختار ولده عبد العزيز وبايعه بولاية العهد ، بالاتفــاق مع الشيخ رأس ذلك النظــام والمحكم لعقده ، فبايعه الجميع على الاثر خاصتهم وعامتهم ، حضرهم وبدويهم ، دانيهم وقاصيهم .

وعبد العزيز ، أول من حمل لقب الامام في البيت السعودي .

دروس التوحيد

عكف الشيخ بعد ان استقر به المقام في الدرعية وبعد ان اطمأن باله من جهة دعوته ، على التعليم والتدريس ، ديدنه على الدوام . فقد درس وعلم في البصرة ، وفي حريملا ، وفي العيينة ، وفي الدرعية . ذلك كان شأنه على الدوام .

وبدأ دروسه هنا في جامع الدرعية الكبير ، فعلم الناس التوحيد ، والمتفق عليه ، انه بدأ اول كل شيء ، بتعليمهم معنى لا إله إلا الله ، فقال انها نفي وإثبات ، فلا إله تنفي جميع المعبودات ، وإلا الله تثبت العبادة لله وحده لا شريك له سبحانه وتعالى .

وقال ان معرفة الله تعالى تكون بآياته ومخلوقاته الدالة على ربوبيته وألوهيته كالشمس والقمر والنجوم، والليل والنهار والسحاب المسخر بين السماء والارض.

وعلمهم أيضاً معنى الاسلام ، فقال انه تسليم الامر الى الله ، والانقياد لأوامره ، والانزجار عن نواهيه ، ومعرفة الاركان التي بني عليها .

وعلمهم أيضاً سيرة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ومبعثه وهجرته ، ومعرفة أول ما دعى اليه ، وهو لا إله إلا الله، وأثبت ان من أنكر البعث فهو كافر.

وعلمهم أيضاً ، حقيقة الدين الاسلامي (دين محمد وأصحابه) وهو التوحيد .

وعكف الى جانب التدريس والتعليم ، والوعظ والارشاد ، على التأليف والتدريس، فألف سلسلة كتب ورسائل، دلت على غزارة علمه ، وعلى دقة فهمه لأسرار الشريعة ، كما دلت على سعة أفق تفكيره ، ونضوجه العقلي والعلمي .

وظل هذا شأنه ، يعلم ويدرس ، ويعظ ويهدي حتى آخر حياته .

وقد أثبتنـــا الكثير من دروسه ومواعظه ، ورسائله وكتبه ، في متن الكتاب .

سيرُ الدّعوة

أول ما يلاحظه دارس سيرة الشيخ والمتعمق فيها ، انه رحمه الله ، كان يسترشد بسيرة الرسول الاعظم ، ويتخذها قدوة ونبراساً ، لا يبتعد عنها ، ولا يخرج عن دائرتها ، في كل ما يعمل ويفعل .

لقد بدأ الرسول الاعظم حينما شرح الله صدره للاسلام وأناره بنور اليقين ، فلزم غار حراء ، يتعبد ويتهجد ، ويستنزل الوحي ، وينتظر الامر الالهي ، وظل هذا شأنه حتى جاءه جبريل يأمره بأن يبدأ برسالته ، ويدعو بدعوته ، فانطلق يبشر وينذر ، فلقي الامرين من قريش وعنتها ، سواء في مكة أو الطائف وفي كل مكان ، مما جعله يبحث في خارج هذه الدائرة عن أنصار ومؤيدين يستعين بهم ، فيشدون ازره بعدما أعياه أمر قومه .

وهداه البحث ، وقاده الحظ والتوفيق ، فاجتمع في السنة التاسعة للبعثة ببعض شيوخ الاوس والخزرج من أبناء طيبة وفدوا ، لزيارة البيت الحرام في عامهم ذاك ، فبايعوه على الحماية والرعاية إذا لجأ اليهم ، وبأن يمنعوه عن كل طلب. وتجددت البيعة في السنة التالية ، فبعث ذلك الاطمئنان الى نفسه .

وائتمرت قريش به ، وصممت على اغتياله، ورسمت خطتها، وأعدت عدتها، فرأى أن الهجرة ومغادرة الدار ، خير ما يفعله وانتدب ابن عمه علي بن أبي طالب ، وكان يعيش في كنفه ، فنام ليلة المؤامرة في فراشه ، فأسقط في يد المتآمرين حينما دخلوا عليه ، ورد الله كيدهم في نحرهم ، وأنجا الله رسوله منهم فوصل سالماً الى المدينة ، فاستقبله أهلها بالترحيب، فاستقر فيها وأسس مسجده. ثم لحق به اتباعه من مكة فأطلقوا عليهم اسم المهاجرين ، كما اطلقوا على أهل المدينة الذين نصروه اسم الانصار. ومن هذين القبيلين العظيمين: فريق المهاجرين وفريق الانصار ، تكوّن المجتمع الاسلامي الجديد الذي انبثقت عنه الدولة الاسلامية الكبرى ، دولة الخلفاء الراشدين ، فملأت الارض عدلاً .

وساء قريش من الدعوة ، ما ادركته من نجاح وتوفيق في دار هجرتها ، وما بلغه الرسول من عز وسؤدد ، وكبر عليها ان يفلت من يديها ، فأجمعت أمرها على قتاله ، وانطلقت بفرسانها وصناديدها تبغي اطفاء انوار الدعوة ، فنكس الله اعلامها ، وسربلها بسربال الخزي والهوان ، فاستأنفت الكرة وواصلت النضال سحابة ست سنوات ، أي حتى صلح الحديبية ، ما كلت ، ولا ونت ، فكان هذا الصلح فتحاً مبيناً للاسلام ولدينه الكريم .

واتجه الرسول بعد ان اطمأن على دعوته، وبعد ان استقرت قواعد دولته، وبعد ان ذاع صيته ، الى نشر رسالته خارج الجزيرة ودعوة الناس في كل مكان الى الايمان بها ، والدخول تحت لوائها. ونحن نثبت اسماء الملوك والرؤساء الذين خاطبهم وأرسل اليهم رسله ، ليبلغوهم الدعوة ، وهم :

١ – قيصر الروم ، ارسل اليه دحية بن خليفة الكلبي ، فأبلغه الرسالة في دمشق .

٢ – كسرى ابرويز ملك العجم ، حملها اليه عبدالله بن حذافة السهمي

٣ – المقوقس ملك مصر ، حملها اليه حاطب بن ابي بلتعة

٤ – النجاشي ملك الحبشة ، « « عمرو بن امية الضمري

٥ – هوذة صاحب اليمامة حملها اليه سليط بن عمرو البدري

٦ – الحرث بن ابي شمر امير دمشق ، حملها اليه شجاع بن وهب

٧ – عبدالله بن الجلندي صاحب عمان « « عمرو بن العاص

٨ – المنذر بن ساوي العبدي صاحب البحرين حملها اليه ابو العلاء الحضرمي

٩ – الحرث صاحب بصرى ، حملها اليه الحرث بن عمير الاسدي

١٠ – اكيدر صاحب دومة الجندل ، حملها اليه الاضبع بن عمرو الكلبي

هؤلاء هم الملوك والرؤساء الذين خاطبهم وأرسل اليهم رسله لابلاغهم الدعوة وحضهم على الدخول فيها . ومما يستحق الذكر ، ان اكثر ملوك وأمراء العرب الذين أرسلت اليهم الدعوة ، استجابوا حالاً ، وفي مقدمتهم عبدالله بن الجلندي صاحب عمان ، والمنذر بن ساوي صاحب البحرين ، وأكيدر صاحب دومة الجندل .

اقتداء الشيخ بالرسول

واقتفى الشيخ اثر الرسول ، فانه ما كاد يستتب امر الدعوة ، حتى ارسل رسائله الى علماء نجد وشيوخها، يبلغهم خبر الدعوة، ويدعوهم الى الدخول فيها، فرد عليه بعض شيوخها مثيراً خلافات ، فرد مبيناً وجه الصواب .

وقد أثبتنا كل ما عثرنا عليه من رسائله في متن الكتاب .

بين الدعوة وخصومها

وتكرر في عهد الدعوة ما حدث في عهد البعثة، فقد وجدت نفسها مضطرة لحماية نفسها والدفاع عن كيانها ، ورد عادية خصومها ، الذين أزعجهم فوزها وانتصارها ، فجاؤا لقتالها ، وهدم كيانها ، فاضطرت لقتالهم ورد عاديتهم ، فتكرر بذلك ما حدث في عهد صاحب الرسالة حين اضطر المسلمون الاولون للقتال دفاعاً عن أنفسهم وكيانهم .

وكما انتصرت الدعوة الاولى وقهرت خصومها وشادت دولتها، فقد انتصرت الدعوة الاخرى على أعدائها وهزمتهم وأسست دولتها ، وعززت كيانها .

والنصر للمؤمنين والخذلان للمشركين .

رسائل الدعوة

والى جانب اشتغاله بالتدريس والتدوين وتعليم الطلاب ، بدأ يكاتب علماء نجد وقضاتها ، وكان لكل مدينة نجدية مرشدها الخاص ، يعلم ابناءهـا فروض الدين ، ويؤمهم في الصلاة ويقضي بينهم .

وبدأ من الناحية الاخرى يجـادل بعض الذين انطلقوا يقاومون الدعوة ويصدونها عن سبيلها ، ويدحض شبهاتهم ، ويكذب مفترياتهم .

ونثبت هنا بعض كتبه الى بعض البلدان النجدية بدعوتها للدخول في الايمان وهو عبارة عن منشور عام كما نقول في اصطلاح هذا العصر :

— ١ —

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب ، الى من يصل اليه هذا الكتاب من المسلمين :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاعلموا رحمكم الله ، ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى النـاس بشيراً ونذيراً ، مبشراً لمن اتبعه بالجنة ، ومنذراً لمن لا يتبعه بالنار . وقد علمتم اقرار كل من له معرفة ، ان التوحيد الذي بينه للناس هو الذي أرسل الله به رسله ، وان الذي عليه غالب الناس من الاعتقادات في الصـالحين وفي غيرهم هو الشرك ، الذي قال الله فيه : « ان من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار » .

فاذا تحققتم هـذا ، وعرفتم انهم يقولون ، لو يترك اهل العارض التكفير والقتال كانوا على دين الله ورسوله ، ونحن مـا جئناكم في التكفير والقتال ، لكن لننصحكم بهذا الذي قطعتم انه دين الله ورسوله ، ان تعلموه وتعملوا به ان كنتم امة محمد باطناً وناظرا .

وأنا أبين لكم هذا بمسألة القبلة : ان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأمته يصلون ؛ والنصارى يصلون ، ولكل قبلته ، صلى الله عليه وسلم ، وأمته ، بيت الله . وقبلة النصارى ، مطلع الشمس. فالكل منا يصلي ، ولكن اختلفنا في القبلة ، ولو ان رجلاً من أمة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، يقر بهذا ، ولكن يكره من يستقبل القبلة ، ويحب من يستقبل الشمس ، أتظنون ان هذا مسلم ؟ وهذا ما نحن فيه ، فالنبي صلى الله عليه وسلم ، بعثه الله بالتوحيد وان لا يدعو مع الله احداً ، لا نبي ولا وغيره ، والنصـارى يدعون عيسى رسول الله ، ويدعون الصالحين ، يقولون ليشفعوا لنـا عند الله. فاذا كان كل (مطوع) مقراً بالتوحيد ، فاجعلوا التوحيد مثل القبلة واجعلوا الشرك مثل استقبال الشرق ، مع ان هذا اعظم من القبلة .

وأنا أنصحكم وأنخاكم (استثير نخوتكم) لا تضيعوا حظكم من الله ، وتحبوا دين النصارى على دين نبيكم ، فمـا ظنكم بمن واجه الله وهو يعلم من قلبه انه عرف ان التوحيد دينه ودين رسوله ، وهو يبغضه ويبغض من اتبعه ، أتظنون ان الله يغفر لهذا .

والنصيحة لمن خاف عذاب الآخرة . وأما القلب الخالي من ذلك ، فلا حيلة لنا فيه .

- ٢ -

وسلم فاضل بن مزيد رئيس بادية الشام رسالة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى الشيخ فاضل آل مزيد ، زاده الله من الايمان وأعاذه من نزغات الشيطان .

أما بعد ، فالسبب في المكاتبة ، ان راشد بن مربان ذكر لنا عنك كلاماً حسناً سر الخاطر ، وذكر عنك انك طالب مني المكاتبة بسبب ما يجيئك من كلام العدوان من الكذب والبهتان . وهذا هو الواجب من مثلك ، انه لا يقبل كلاماً إلا اذا تحققه .

وأنا اذكر لك أمرين قبل أن أذكر لك صفة الدين : الامر الاول ، اني اذكر لمن خالفني ان الواجب على الناس اتباع ما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم ، أمته واقول لكم : الكتب عندكم انظروا فيها ولا تأخذوا من كلامي شيئاً ، لكن اذا عرفتم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي في كتبكم فاتبعوه ، ولو خالفه اكثر الناس .

والامر الثاني : ان هذا الذي أنكروه علي ، وأبغضوني وعادوني من أجله، اذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن او غيرهم ، يقول : هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله ، ولكن ما اقدر ان اظهره في مكاني لأجل ان الدولة ما يرضون ، وابن عبد الوهاب اظهره الله لأن الحاكم في بلده ما أنكره ، بل لما عرف الحق اتبعه . هذا كلام العلماء وأظن انه وصلك كلامهم .

فأنت تفكر في الامر الاول وهو قولي : لا تطيعوني ولا تطيعوا إلا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي في كتبكم . وتفكر في الامر الثاني : ان كل عاقل مقر به لكن ما يقدر ان يظهره .

فقدم لنفسك ما ينجيك عند الله . واعلم انه لا ينجيك إلا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدنيـــا زائلة ، والجنة والنـــار مـــا ينبغي للعاقل ان ينساها .

وصورة الامر الصحيح اني أقول : ما يدعى إلا الله وحده لا شريك له كما قال تعالى في كتابه (فلا تدعو مع الله أحداً) وقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم « قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً » ، فهذا كلام الله والذي ذكره لنا رسول الله ، ووصانا به ، ونهى الناس ان لا يدعوه .

مثلما ذكرت لكم ان هذه المقامات التي في الشام والحرمين وغيرهـا ، انها على خلاف أمر الله ورسوله ، وان دعوة الصالحين والتعلق بهم ، هو الشرك بالله الذي قال الله فيه « ان من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار . فلما اظهرت هذا أنكروه وكبر عليهم ، وقالوا أجعلتنا مشركين وهذا ليس اشراكاً .

هذا كلامهم ، وهذا كلامي اسنده عن الله ورسوله ، وهـذا هو الذي بيني وبينهم ، فان ذكر عني شيء غير هذا ، فهو كذب وبهتان . والذي يصدق كلامي هذا ان العالم ما يقدر ان يظهره حتى من علمـاء الشام – من يقول هذا هو الحق ولكن لا يظهره إلا من يحارب الدولة ، وانت ولله الحمد مـا تخاف إلا الله .

نسأل الله ان يهدينا واياكم الى دين الله ورسوله .

والله اعلم .

- ٣ -

كتابه الى شريف مكة أحمد بن سعيد

وأرسل شريف مكة احمد بن سعيد ، كتاباً في سنة ١١٨٢ الى الشيخ والامير عبد العزيز ، طلب فيه منهما أن يرسلا فقيهاً وعالماً من جماعتهم ، يبين حقيقة ما يدعون اليه من الدين ، ويناظر علماء مكة . فأرسلا اليه الشيخ عبد العزيز الحصين ومعه الرسالة الآتية من الشيخ ، وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

المعروض لديك ، أدام الله فضل نعمه عليك ، حضرة الشريف احمد ابن الشريف سعيد ، أعزه الله في الدارين ، وأعز به دين جده سيد الثقلين :

ان الكتاب لما وصل الى اخيك ، وتأمل ما فيه من الكلام الحسن ، رفع يديه بالدعاء الى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ومن تبعها ، وعداوة من خرج عنها ، وهذا هو الواجب على ولاة الامور .

ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم ، امتثلنا الامر ، وهو واصل اليكم ويحضر في مجلس الشريف ، اعزه الله تعالى ، هو وعلماء مكة ، فان اجتمعوا ، فالحمد لله على ذلك، وان اختلفوا ، أحضر الشريف كتبهم وكتب الحنابلة ، والواجب على كل منا ومنهم ، ان يقصد بعلمه وجه الله ونصر رسوله ، كما قال تعالى : « واذ اخذ الله ميثاق النبيين » ، الى قوله « لتؤمنن به ولتنصرنه » .

فاذا كان الله سبحانه قد أخذ الميثاق على الانبياء ان ادركوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، على الايمان به ونصرته ، فكيف بنا امته ، فلا بد من الايمان به ، ولا بد من نصرته ، لا يكفي احدهما عن الآخر، وأحق الناس بذلك وأولاهم أهل البيت الذين بعثه الله منهم وشرفهم على اهل الارض ، وأحق اهل البيت بذلك ، من كان من ذريته صلى الله عليه وسلم .

ثم أنتم في حفظ الله وحسن رعايته .

- ٤ -

وأرسل الى (علماء) سدير والوشم والقصيم ، رسالة قال فيها :

من محمد بن عبد الوهاب ، الى من يصل اليه هذا الكتاب من المسلمين :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، خصوصاً محمد بن عبيد ، وعبد القادر العديلي ، وعبدالله بن سحيم ، وعبدالله بن غصيب ، وحميدان بن تركي ، وعلي بن زامل ، ومحمد أبا الخيل ، ومسلم بن عبدالله .

أما بعد

فان الله تبارك وتعالى ، أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم ، الينا على حين فترة من الرسل فهدى الله به الى الدين الكامل ، والشرع التام ، وأعظم ذلك وأكبره ، وزبدته هو اخلاص الدين لله بعبادته لا شريك له ، والنهي عن الشرك ، وهو ان لا يدعى احد من دونه من الملائكة والنبيين فضلًا عن غيرهم ، فمن ذلك انه لا يسجد إلا لله ، ولا يركع إلا له ، ولا يدعى لكشف الضر إلا هو ، ولا لجلب الخير إلا هو ، ولا ينذر إلا له ، ولا يحلف إلا به ، ولا يذبح إلا له ، وجميع العبادات لا تصلح إلا له وحده لا شريك له . وهذا معنى قول « لا إله إلا الله » فان اجابوه فهو المقصود المعتمد عليه ، وهذا أمر هين عند من لا يعرفه ، كبير عظيم عند من عرفه ، فمن عرف هذه المسألة عرف ان أكثر الخلق قد لعب بهم الشيطان ، وزين لهم الشرك بالله ، وأخرجه في قالب حب الصالحين وتعظيمهم .

والكلام في هذا ينبني على قاعدتين عظيمتين :

الاولى : ان تعرف ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعرفون الله ويعظمونه ، ويحجون ، ويعتمرون ، ويزعمون انهم على دين ابراهيم الخليل ، وانهم يشهدون انه لا يخلق ، ولا يرزق ، ولا يدبر الامر إلا الله وحده

لا شريك له ، كما قال تعالى « قل من يرزقكم من السماء والارض » الآية .

فاذا عرفت ان الكفار يشهدون بهذا كله ، فاعرف القاعدة الثانية : وهي انهم يدعون الصالحين ، مثل الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم ، وكل من ينتسب الى شيء من هؤلاء ، سماه إلهاً ، ولا يعني بذلك انه يخلق أو يرزق ، بل يدعون الملائكة وعيسى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، ويقولون «ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى » .

والإله في لغتهم ، هو الذي يسمى في لغتنا « الذي فيه سر » والذي يسمونه الفقراء « شيخهم » يعنون بذلك انه يدعى وينفع ويضر ، وإلا فانهم مقرون لله بالتفرد بالخلق والرزق . وليس ذلك معنى الاله ، بل الاله المقصود المدعو المرجو ، لكن المشركين في زماننا ، أضل من الكفار الذين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهين :

أحدهما : ان الكفار انما يدعون الانبياء والملائكة في الرخاء ، وأما في الشدائد فيخلصون لله الدين كما قال تعالى « واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه » الآية .

والثاني : إن مشركي زماننا يدعون اناساً لا يوازنون عيسى والملائكة . اذا عرفتم هذا فلا يخفى عليكم ما ملأ الارض من الشرك الاكبر وهو عبادة الاصنام: هذا يأتي الى قبر نبي ، وهذا يأتي الى قبر صحابي كالزبير وطلحة ، وهذا الى قبر رجل صالح ، وهذا يدعوه في الضراء وفي غيبته ، وهذا ينذر له ، وهذا يدخل عليه (أي يستجير ويستغيث) من مضرة الدنيا والآخرة ، وهذا يسأل خير الدنيا والآخرة . فان كنتم تعرفون ان هذا الشرك من جنس عبادة الاصنام الذي يخرج الرجل من الاسلام ، وقد ملأ البر والبحر ، وشاع وذاع ، حتى ان كثيراً ممن يفعله يقوم الليل ، ويصوم النهار ، وينتسب الى الصلاح والعبادة – فما بالكم

لم تفشوه بين الناس ، وتبينوا لهم ان هذا كفر بالله ، مخرج عن الاسلام . أرأيتم لو ان بعض النـاس او اهل بلدة تزوجوا اخواتهم او عماتهم جهلاً منهم ، أفيحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، ان يتركهم ولا يعلمهم ان الله حرم الاخوات والعمات ؟ فان كنتم تعتذرون ان قصاصهن اعظم مما يفعله الناس اليوم عند قبور الاولياء الصحابة وفي غيبتهم عنها ، فاعلموا انكم لم تعرفوا دين الاسلام ولا شهادة ان لا إله إلا الله . ودليل هذا مما تقدم من الآيات التي بينها الله في كتابه ، وان عرفتم ذلك فكيف يحل لكم كتمان ذلك والاعراض عنه وقد « اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيينه للناس ولا تكتمونه » .

فان كان الاستدلال بالقرآن عندكم هزؤاً وجهلاً ، كما هي عادتكم ولا تقبلونه ، فانظروا في « الاقناع » في باب « حكم المرتد » ومـا ذكر فيه من الامور الهائلة التي ذكر ان الانسان اذا فعلهـا ــ فقد ارتد وحل دمه » مثل الاعتقاد في الانبياء والاولياء والصالحين وجعلهم وسائط بينه وبين الله ، ومثل الطيران في الهواء ، والمشي في الماء ، فاذا كان من فعل هذه الامور منكم ، مثل السائح الاعرج ونحوه ــ تعتقدون صلاحه وولايته ، وقد صرح في «الاقناع» بكفره ، فاعلموا انكم لم تعرفوا معنى شهادة ان لا إله إلا الله .

فان بان لكم في كلامي هذا شيء من الغلو ، من ان هذه الافاعيل لو كانت حراماً فلا تخرج من الاسلام ، وان فعل اهل زماننـــا في الشدائد ، في البر والبحر ، وعند قبور الانبيـاء والصالحين ، ليست هذه ــ بينوا لنـــا الصواب وارشدونا اليه .

وان تبين لكم ان هـذا هو الحق الذي لا ريب فيه ، وان الواجب اشاعته في الناس ، وتعليمه الرجال والنساء ، فرحم الله من أدى الواجب عليه ، وتاب الى الله وأقر على نفسه ، فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له .

وعسى الله ان يهدينا واياكم واخواننا لما يحب ويرضى ، والسلام عليكم .

- ٥ -

رسالته الى السويدي في بغداد

وأرسل الى الشيخ عبد الرحمن السويدي من علماء بغداد الكتاب الآتي جواباً على كتابه اليه وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب ، الى عبد الرحمن بن عبدالله

سلام الله ورحمته وبركاته : أما بعد ، فقد وصل كتابك وسر الخاطر ، جعلك الله من أئمة المتقين ، ومن الدعاة الى دين سيد المرسلين .

وأخبرك اني ولله الحمد متبع ولست بمبتدع ، عقيدتي وديني الذي أدين الله به هو مذهب اهل السنة والجماعة ، الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الاربعة وأتباعهم الى يوم القيامة ، لكني بينت للناس اخلاص الدين لله ، ونهيتهم عن دعوة الاحياء والاموات من الصالحين وغيرهم ، وعن اشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح ، والنذر ، والتوكل ، والسجود ، وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل . وهو الذي دعت اليه الرسل من اولهم الى آخرهم ، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة .

وبينت لهم ان أول من ادخل الشرك في هذه الامة ، هم الرافضة الذين يدعون علياً وغيره ، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات .

فأنكر هذا بعض الرؤساء لأنه خالف عقيدة نشأوا عليها .

وأيضاً ألزمت من تحت يدي باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وغير ذلك من

فرائض الله ، ونهيتهم عن الربا ، وشرب المسكر ، وأنواع المنكرات ، فلم يمكن الرؤساء القدح في هذا وعيبه ، لكونه مستحسناً عند العوام ، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما آمر به من التوحيد ، وأنهي عنه من الشرك ، ولبسوا على العوام ، ان هذا خلاف ما عليه اكثر الناس ، وكبرت الفتنة جداً ، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله .

منها : اشاعة البهتان بما يستحي العاقل ان يحكيه ، فضلاً عن ان يفتريه . ومنها : ما ذكرتم اني اكفر جميع الناس إلا من اتبعني ، وأزعم ان انكحتهم غير صحيحة . ويا عجباً كيف يدخل هذا في عقل عاقل ! هل يقول هذا مسلم او كافر ، او عارف ، او مجنون ؟

وكذلك قولهم انه يقول : لو اقدر اهدم قبة النبي صلى الله عليه وسلم ، لهدمتها .

وأما « دلائل الخيرات » فله سبب ، وذلك اني اشرت على من قبل نصيحتي من اخواني ألا يعبد في قلبه اجل من كتاب الله ، ويظن ان القراءة فيه اجل من قراءة القرآن ، وأما احراقه والنهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي لفظ كان ، فهذا من البهتان .

والحاصل ان ما ذكر عنا من الاسباب غير دعوة الناس الى التوحيد والنهي عن الشرك ، فكله من البهتان ، وهذا لو خفي على غيركم ، فلا يخفى على حضرتكم . ولو ان رجلاً من اهل بلدكم ، ولو كان احب الخلق الى الناس ، قام يلزم الناس الاخلاص ويمنعهم من دعوة اهل القبور ، وله اعداء وحساد اشد منه بأساً ، وأكثر اتباعاً ، وقاموا يرمونه بمثل هذه الاكاذيب ويوهمون الناس ان هذا تنقص بالصالحين ، وان دعوتهم من اجلالهم واحترامهم ، لعلمتم كيف يجري عليه . ومع هذا واضعافه ، فلا بد من الايمان بما جاء به الرسول ونصرته ، كما اخذ الله على الانبياء قبله واممهم في قوله تعالى «واذ اخذ الله ميثاق

النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » فلما فرض الله الايمان لم يجز ترك ذلك .

وأنا ارجو الله ان يكرمك بنصر دينه ونبيه ، وذلك بمقتضى الاستطاعة ، ولو بالقلب والدعاء . وقد قال صلى الله عليه وسلم « اذا امرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » فان رأيت عرض كلامي على من ظننت انه يقبله من اخواننا ، فان الله لا يضيع اجر من احسن عملاً .

ومن أعجب ما جرى من الرؤساء المخالفين ، اني لما بينت لهم كلام الله وما ذكر اهل التفسير في قوله « أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب » ، وقوله « ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ، وقوله « وما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى » ، وما ذكر الله من اقرار الكفار في قوله « قل من يرزقكم من السماء والارض » الآية . وغير ذلك قالوا القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالنا ، ولا بكلام الرسول ، ولا بكلام المتقدمين ، ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون . قلت لهم انا اخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية ، والمالكي والشافعي والحنبلي كل اخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم ، فلما ابوا ذلك ، نقلت لهم كلام العلماء من كل مذهب . وذكرت ما قالوا بعد ما حدثت الدعوة، عن القبور والنذر لها ، فعرفوا ذلك وتحققوه ولم يزدهم إلا نفوراً .

وأما التكفير ، فأنا اكفر من عرف دين الرسول — ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه ، وعادى من فعله ، فهذا الذي اكفره ، واكثر الامة ولله الحمد ليسوا كذلك .

وأما القتال فلم نقاتل أحداً الى اليوم إلا دون النفس والحرمة ، وهم الذين اتونا في ديارنا ، ولا أبقوا ممكناً . ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة « وجزاء سيئة سيئة مثلها » وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرفه والسلام — اه

- ٦ -

رسالته الى الشيخ عبد الله بن محمد عبداللطيف عالم الحسا

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبدالوهاب، الى عبدالله بن محمد بن عبد اللطيف حفظه الله تعالى

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته: أما بعد ، فقد وصل الينا من ناحيتكم مكاتيب فيها انكار وتغليظ علي . ولما قيل انك كنبت معهم ، وقع في الخاطر بعض الشيء لأن الله سبحانه ، نشر لك من الذكر الجميل ، وأنزل في قلوب عباده لك من المحبة ما لم يؤته كثيراً من الناس، لما يذكر عنك من مخالفة حكام السوء ، وأيضاً لما اعلم منك من محبة الله ورسوله وحسن الفهم ، واتباع الحق ولو خالفك فيه كبار أئمتكم ، لأني اجتمعت بك من عشرين سنة وتذاكرت انا واياك في شيء من التفسير والحديث ، وأخرجت لي كراريس من البخاري كتبتها ونقلت على هوامشها من الشروح ، وقلت في مسألة الايمان – التي ذكر البخاري في اول الصحيح : هذا هو الحق الذي أدين الله به . فأعجبني هذا الكلام لأنه خلاف مذهب أئمتكم المتكلمين .

وذاكرتني ايضاً في بعض المسائل ، فكنت احكي لمن يتعلم مني ، ما منّ الله به عليك من حسن الفهم ، ومحبة الله والدار الآخرة .

فلأجل هذا ، لم اظن فيك المسارعة في هذا الامر ، لأن الذين قاموا فيه مخطئون على كل تقدير ، لأن الحق ، ان كان مع خصمهم ، فواضح ، وان كان معهم . فينبغي للداعي الى الله ، ان يدعو بالتي هي احسن ، إلا الذين ظلموا منهم ، وقد أمر الله رسوليه موسى وهارون ، ان يقولا لفرعون ، قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى .

وينبغي للقاضي ، أعزه الله بطاعته ، لما ابتلاه الله بهذا المنصب ، ان يتأدب بالآداب التي ذكرها في كتابه الذي أنزله ليبين للناس ما اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يوقنون . فمن ذلك لا يستخفنه الذين لا يوقنون ، ويتثبت عند سعايات الفساق والمنافقين ولا يعجل .

وقد وصف الله المنافقين في كتابه بأوصافهم ، وذكر شعب النفاق لتجتنب ويجتنب اهلها ايضاً، فوصفهم بالفصاحة والبيان، وحسن اللسان، وحسن الصورة في قوله : « واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم ». الآية. ووصفهم بالمكر والكذب ، والاستهزاء بالمؤمنين في اول « البقرة » ، ووصفهم بكلام ذي الوجهين ، ووصفهم بالدخول في المخاصمات بين الناس بما لا يحب الله ورسوله في قوله «يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر» (الآية). ووصفهم باحتقار المؤمنين وعدم الرضا بأفعالهم . ووصفهم بغير هذا في «البقرة» و « براءة » وسورة « القتال » وغير ذلك . كل ذلك نصيحة لعباده ليجتنبوا الاوصاف ومن تلبس بها . ونهى الله نبيه عن طاعتهم في غير موضع .

فكيف يجوز من مثلك ان يقبل من مثل هؤلاء ، واعظم من ذلك ، ان تعتقد انهم من اهل العلم وتزورهم في بيوتهم ، وتعظمهم . وأنا لا اقول هذا عن واحد بعينه ، ولكن نصيحة وتعريف بما في كتاب الله من سياسة الدين والدنيا ، لأن اكثر الناس قد نبذه وراء ظهره .

وأما ما ذكر لكم عني ، فاني لم آت بجهالة ، بل اقول ، ولله الحمد والمنة ، وبه القوة ، انني هداني ربي الى صراط مستقيم ديناً قيما ملة ابراهيم حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين . ولست ولله الحمد ، أدعو الى مذهب صوفي ، أو فقيه ، أو متكلم ، أو امام من الأئمة الذين اعظمهم ، مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم . بل أدعو الى الله وحده لا شريك له ، وأدعو الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي اوصى بها اول امته وآخرهم ، وارجو اني لا ارد الحق اذا اتاني ، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه ، ان أتانا منكم

كلمة من الحق لاقبلنها على الراس والعين ، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من اقوال الحمقى. حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانه لا يقول إلا الحق.

وصفة الامر : غير خاف عليكم ، ما درج عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واصحابه ، والتابعون وأتباعهم ، والأئمة كالشافعي ، وأحمد وامثالهما ، بمن اجمع اهل الحق على هدايتهم ، وكذلك ما درج عليه من سبقت له من الله الحسنى من اتباعهم .

وغير خاف عليكم ، ما احدث الناس في دينهم من الحوادث ، وما خالفوا فيه طريق سلفهم، ووجدت المتأخرين اكثرهم قد غير وبدل ، وسادتهم وأئمتهم، وأعلمهم وأعبدهم ، وأزهدهم مثل ابن القيم ، والحافظ الذهبي ، والحافظ العماد ابن كثير ، والحافظ بن رجب ، قد اشتد نكيرهم على اهل عصرهم الذين هم خير من ابن حجر وصاحب «الاقناع» بالاجماع .

فاذا استدل عليهم أهل زمنهم بكثرتهم واطباق على طريقتهم، قالوا هذا من اكبر الادلة على انه باطل ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد اخبر ان أمته تسلك مسالك اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة ، حتى ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه .

وقد ذكر الله في كتابه انهم فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، وانهم كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هذا من عند الله ، وانهم تركوا كتاب الله والعمل به ، وأقبلوا على ما أحدثه اسلافهم من الكتب . واخبر انه وصاهم بالاجتماع ، وانهم لم يختلفوا لخفاء الدين بل اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم « فتقطعوا امرهم بينهم زبراً ، كل حزب بما لديهم فرحون » . والزبر الكتب .

فاذا فهم المؤمن قول الصادق الصدوق : « لتتبعن سنن من كان قبلكم » وجعله قبلة قلبه ، تبين له ان هذه الآيات واشباهها ليست على ما ظن الجاهلون انها كانت في قوم كانوا فبانوا ، بل يفهم ما ورد عن عمر رضي الله عنه ، انه قال في هذه الآيات مضى القوم ، وما يعني بها غيركم .

وقد فرض الله على عباده ، في كل صلاة ، ان يسألوه الهداية الى الصراط المستقيم، صراط الذين انعم عليهم ، الذين هم غير المغضوب عليهم، ولا الضالين، فمن عرف دين الاسلام وما وقع الناس فيه من التغيير له ، عرف مقدار هذا الدعاء وحكمة الله فيه .

والحاصل ان صورة المسألة : هل الواجب على كل مسلم ان يطلب علم ما أنزل الله على رسوله ولا يعذر أحد في تركه البتة ؟ أم يجب عليه ان يتبع « التحفة » مثلاً ، فاعلم المتأخرين وسادتهم منهم : ابن القيم ، قد انكروا هذا غاية الانكار ، وانه تغيير لدين الله ، واستدلوا على ذلك بما يطول وصفه من كتاب الله الواضح ، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، البين لمن نوّر الله قلبه ، والذين يجيزون ذلك او يوجبونه، يدلون بشبهة واهية ، لكن اكبر شبهتهم على الاطلاق : إنا لسنا من اهل ذلك ولا نقدر عليه ، ولا يقدر عليه إلا المجتهد ، وإنا وجدنا آباءنا على امة ، وإنا على آثارهم مهتدون .

ولأهل العلم في ابطال هذه الشبهة ما يحتمل مجلداً ، ومن اوضحه قول الله تعالى « اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله » ، وقد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في حديث عدي بهذا الذي انتم عليه اليوم في الاصول والفروع ، لا اعلمهم يزيدون عليكم مثقال حبة خردل ، بل يبين مصداق قوله: « حذو القذة بالقذة » الى آخره ، . وكذلك فسرها المفسرون ، لا اعلم بينهم اختلافاً ، ومن احسنه ما قاله أبو العالية : أما انهم لم يعبدوهم ، ولو أمروهم بذلك ما اطاعوهم ، ولكنهم وجدوا كتاب الله فقالوا لا نسبق علماءنا بشيء ، ما أمرونا به ائتمرنا ، وما نهونا عنه انتهينا .

وهذه رسالة لا تحتمل اقامة الدليل، ولا جواباً عما يدلي به المخالف ، لكني اعرض عليه من نفسي الانصاف والانقياد للحق، فان اردتم الرد علي بعلم وعدل فعندكم كتاب «اعلام الموقعين» لابن القيم عن ابن فيروز في مشرفة ، فقد بسط الكلام فيه على هذا الاصل بسطاً كبيراً ، ومرد من شبه أئمتكم ما لا تعرفون

انتم ولا آباؤكم ، واجاب عنها ، واستدل لها بالدلائل الواضحة القاطعة ، منها : نهى الله ورسوله على امركم هـــذا بعينه ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وصفوه من قبل ان يقــع ، وحذروا الناس منــه ، واخبروا انه لا يصير على الدين إلا الواحد بعد الواحـد ، وان الاسلام يصير غريباً كما بدأ . وقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمـا سأله عمرو بن عبسة في اول الاسلام ، من معك على هذا ، قال : حر وعبد . يعني أبا بكر ، وبلالا .

فاذا كان الاسلام يعود كما بدأ ، فمـــا اجهل من استدل بكثرة الناس واطباقهم ، واشباه هذه الشبهة التي هي عظيمة عند اهلها ، حقيرة عند الله ، ثم عند اولي العلم من خلقه ، كما قال تعالى «بل قالوا مثل ما قال الاولون » ، فلا اعلم لكم حجة تحتجون بها ، إلا وقد ذكر الله في كتابه أن الكفار اشترطوا بها على تكذيب الرسل . مثل اطباق الناس وطاعة الكبراء ، وغير ذلك . فمن من الله عليه بمعرفة دين الاسلام الذي دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عرف قدر هذه الآيات والحجج وحاجة الناس اليها .

فان زعمتم ان ذكر هؤلاء الائمة، لهذا لمن كان من اهله، فقد صرحوا بوجوبه على الاسود والاحمر ، والذكر والانثى ، وان ما بعد الحق إلا الضلال ، وان قولي من قال ذلك صعب ، مكيدة من الشيطان كاد بهـــا الناس عن سلوك الصراط المستقيم، الحنيفية ملة ابراهيم ، وان بان لكم انكم مخطؤون ، فبينوا لي الحق حتى ارجع اليه .

وإنما كتبت لكم هذا معذرة من الله ، ودعوة الى الله لأحصل ثواب الداعين الى الله ، والا انا اظن انكم لا تقبلونه وانه عندكم من انكر المنكرات ، وان الذي يعيب هذا عندكم مثل من يعيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لكن انت ، من سبب ما اظن فيك من طاعة الله ، لا ابعد ان يهديك الله الى الصراط المستقيم ، فاذا قرأته ، فان انكره قلبك فلاعجب ، فان العجب ممن نجا كيف نجا ، فان اصغى اليه قلبك بعض الشيء ، فعلبك بكثرة التضرع الى

الله ، والانطراح بين يديه ، خصوصاً اوقات الاجابة ، كآخر الليل ، وادبار الصلوات ، وبعد الاذان . وكذلك بالادعية إلى هؤلاء ، خصوصاً الذي ورد في الصحيح ، انه صلى الله عليه وسلم ، كان يقول « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ، فاطر السموات والارض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك ، انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » .

فعليك بالالحاح بهذا الدعاء بين يدي من يجيب المضطر اذا دعاه ، وبالذي هدى ابراهيم لمخالفة الناس كلهم ، وقل يا معلم ابراهيم ، علمني ، وان صعب عليك مخالفة الناس ففكر في قول الله تعالى «ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ، ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون ، انهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً ، وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ، والله ولي التوفيق » ، وقوله تعالى « وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله »

وتأمل قوله ، صلى الله عليه وسلم ، في الصحيح : « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « ان الله لا يقبض العلم » الى آخره . وقوله « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي » . وقوله « إياكم ومحدثات الامور ، فان كل بدعة ضلالة » . والآيات والاحاديث في ذلك كثيرة ، افردت بالتصنيف .

فاني احبك ، وقد دعوت لك في صلاتي ، من قبل هذه المكاتيب ، ان يهديك الله لدينه القيم . ولا يمنعني من مكاتبتك إلا ظني انك لا تقبل وتسلك مسلك الاكثر ، ولكن لا مانع لما اعطى الله ، والله لا يتعاظم شيئاً اعطاه . وما احسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقاً لدين الله كعمر رضي الله عنه ، في اوله ، فانك لو تكون معنا ، لانتصفنا ممن اغلظ علينا .

وأما هذا الخيال الشيطاني الذي اصطاد به الناس : ان من سلك هذا المسلك فقد نسب نفسه للاجتهاد وترك الاقتداء بأهل العلم وزخرفه بأنواع الزخارف ،

فليس هذا بكثير من الشيطان وزخارفه كما قال تعالى « يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً » .

فانما الذي أنا عليه ، وأدعوكم اليه ، هو في الحقيقة الاقتداء بأهل العلم ، فانهم قد وصوا الناس بذلك ، ومن اشهرهم كلاماً ذلك امامكم الشافعي ، قال: « لا بد ان تجدوا عني ما يخالف الحديث ، فكل ما خالفه فأشهدكم اني قد رجعت عنه »

وأيضاً أنا في مخالفتي هذا العالم لم أخالفه وحدي . فاذا اختلفت انا وشافعي مثلًا في أبوال مأكول اللحم وقلت : القول بنجاسته يخالف حديث العرنيين ويخالف حديث أنس : ان النبي صلى الله عليه وسلم ، صلى في مرابض الغنم : فقال هذا الجاهل ، انت اعلم بالحديث من الشافعي . قلت أنا لم اخالف الشافعي من غير امام اتبعته ، بل اتبعت من هو مثل الشافعي أو اعلم منه ، قد خالفه واستدل بالاحاديث ، فاذا قال : انت اعلم من الشافعي ، قلت انت اعلم من مالك واحمد فقد عارضته بمثل ما عارضني به وسلم الدليل من المعارض ، واتبعت قول الله تعالى « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » الآية. واتبعت من اتبع الدليل في هذه المسألة من اهل العلم . لم استدل بالقرآن او الحديث وحدي حتى يتوجه علي ما قيل . وهذا على التنزيل وإلا فمعلوم ان اتباعكم لابن حجر في الحقيقة ، ولا تعبأون بمن خالفه من رسول او صاحب او تابع ، حتى الشافعي نفسه لا تعبأون بكلامه اذا خالف نص ابن حجر . وكذلك غيركم ، انما اتباعهم لبعض المتأخرين لا للأئمة ، فهؤلاء الحنابلة من اقل الناس بدعة ، واكثر «الاقناع» و«المنتهى» مخالف لمذهب احمد ونصه ، يعرف ذلك من عرفه .

ولا خلاف بيني وبينكم ، ان اهل العلم اذا أجمعوا وجب اتباعهم ، وانما الشأن اذا اختلفوا ، هل يجب عليّ ان اقبل الحق ممن جاء به ، وارد المسألة الى الله ورسوله ، مقتدياً بأهل العلم ، أو انتحل بعضهم ، من غير حجة ، وازعم

ان الصواب في قوله .

فأنتم على هذا الثاني ، وهو الذي ذمه الله وسماه شركاً ، وهو اتخاذ العلماء أرباباً . وأنا على الاول ، ادعو الله ، وأناظر عليه ، فان كان عندكم حق رجعنا اليه وقبلناه معكم ، وان أردت النظر في « اعلام الموقعين » فعليك بمناظرة في أثنائه عقدها بين مقلد وصاحب حجة . وان القي في ذهنك ان ابن القيم مبتدع وان الآيات التي استدل بها ليس هذا معناها ، فاضرع الى الله واسأله ان يهديك لما اختلفوا فيه من الحق ، وتجرد الى الله ، ناظراً أو مناظراً ، واطلب كلام اهل العلم في زمانه ، مثل الحافظ الذهبي ، وابن كثير ، وابن رجب وغيرهم .

ومما ينسب للذهبي ، رحمه الله :

العلم قال ، الله قال رسوله　　قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة　　بين الرسول وبين رأي فقيه

فان لم تتبع هؤلاء ، فانظر كلام الأئمة قبلهم كالحافظ البيهقي في كتاب « المدخل » ، والحافظ ابن عبد البر ، والخطابي وأمثالهم من قبلهم ، كالشافعي وابن جرير ، وابن قتيبة ، وابن عبيد ، فهؤلاء اليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله ، وكلام السلف ، واياك وتفاسير المحرفين للكلم عن مواضعه وشروحهم فانها القاطعة عن الله وعن دينه . تأمل ما في كتاب « الاعتصام » للبخاري وما قال اهل العلم في شرحه ، وهل يتصور شيء مما صح عنه صلى الله عليه وسلم ان امته ستفترق على اكثر من سبعين فرقة ـ اخبر انهم كلهم في النار إلا واحدة ، ثم وصف تلك الواحدة انها التي على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه ، وانتم مقرون انكم على غير طريقتهم . وتقولون ما نقدر عليها ولا يقدر عليها إلا المجتهد ، فجزمتم انه لا ينتفع بكلام الله وكلام رسوله إلا المجتهد ، وتقولون يحرم على غيره ان يطلب الهدى من كلام الله وكلام رسوله

وكلام اصحابه ، فجزمتم وشهدتم انكم على غير طريقتهم ، معترفين بالعجز عن ذلك . واذا كنتم مقرين ان الواجب على الاولين اتباع كتاب الله وسنة رسوله، لا يجوز العدول عن ذلك ، وان هذه الكتب والتي خير منها ، لو تحدث في زمن عمر بن الخطاب، لفعل بها وبأهلها اشد الفعل، ولو تحدث في زمن الشافعي واحمد ، لاشتد نكيرهم لذلك ، فليت شعري متى حرم الله هـذا الواجب وأوجب هذا المحرم .

ولما حدث قليل من هذا – لا يشبه ما انتم عليه – في زمن الامام احمد ، اشتد انكاره لذلك ، ولمـا بلغه عن بعض اصحابه ، انه يروى عنه مسائل بخراسان ، قال اشهد اني قد رجعت عن ذلك . ولما رأى بعضهم يكتب كلامه انكر عليه ، وقال تكتب رأياً لعلي قد ارجع عنه غداً. اطلب العلم كما طلبناه. ولما سئل عن كتاب ابي ثور ، قال كل كتاب ابتدع فهو بدعة . ومعلوم ان أبا ثور من كبار اهل العلم ، وكان يثني عليه ، وكان ينهي الناس عن النظر في كتب اهل العلم الذين يثني عليهم ويعظمهم .

ولما أخذ بعض أئمة الحديث كتب ابي حنيفة ، هجره احمد وكتب اليه : ان تركت كتب ابي حنيفة ، أتيناك تسمعنا كتب ابن المبارك ، ولما ذكر له بعض اصحابه ان هذه الكتب لا فائدة منها لمن لا يعرف الكتاب والسنة ، قال ان عرفت الحديث لم تحتج اليها ، وان لم تعرفه ، لم يحل لك النظر فيها . وقال عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته ، يذهبون الى رأي سفيان ، والله يقول «فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم » قال أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، ومعلوم ان الثوري عنده غاية وكان يسميه أمير المؤمنين .

فاذا كان هذا كلام احمد في كتب نتمنى الآن ان نراهـا ، فكيف بكتب قد أقر أهلها على أنفسهم أنهم ليسوا من أهل العلم ؟ وشهد عليهم بذلك ، ولعل

بعضهم مات وهو لا يعرف مـا دين الاسلام الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

وشبهتكم التي القيت في قلوبكم انكم لا تقدرون على فهم كلام الله ورسوله والسلف الصـالح ، وقد قدمنـا ، ان النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة » الى آخره ، فتأمل هذه الشبهة أعني : قولكم لا نقدر على ذلك ، وتأمل ما حكى الله عن اليهود في قوله « وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم » ، وقوله « ولقد أنزلنـا اليك آيات بيـنات وما يكفر بها إلا الفاسقون» ، وقوله « إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » وقوله « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» .

واطلب تفسير هذه الآيات من كتب اهل العـلم واعرف من نزلت فيه ، واعرف الاقوال والافعال التي كانت سبباً لنزول هذه الآيات ، ثم اعرضها على قولهم : لا نقدر على فهم القرآن والسنة — تجد مصداق قوله « لتتبعن سنن من كان قبلكم » ، وما في معناه من الاحاديث الكثيرة .

فلتكن قصة سلمـــان الفارمي منكم على بال ، ففيها انه لم يكن على دين الرسل إلا الواحد بعد الواحـد ، حتى ان آخرهم قال عند موته ، لا اعلم على وجه الارض احداً على ما نحن عليه، ولكن قد أظل زمان نبي واذكر مع هذا قول الله تعالى « فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلًا ممن انجينا منهم » .

فحقيق لمن نصح نفسه وخاف عذاب الآخرة ، ان يتأمل ما وصف الله به اليهود في كتابه ، خصوصاً ما وصف به علمـاءهم ورهبانهم من كتمان الحق ، ولبس الحق بالباطل ، والصد عن سبيل الله . وما وصفهم الله ، أي علمـاءهم ، من الشرك والايمان بالجبت والطـاغوت ، وقولهم للذين كفروا « هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلًا » لأنه عرف ان كل ما فعلوا لا بد ان تفعله هذه الامة وقد فعلت .

وان صعب عليك مخالفة الكبراء ، ولم يقبل ذهنك هذا الكلام ، فاحضر بقلبك ان كتاب الله احسن الكتب وأعظمها بياناً، وأشفى لداء الجهل وأعظمها فرقاً بين الحق والباطل . والله سبحانه قد عرف تفرق عباده واختلافهم قبل ان يخلقهم ، وقد ذكر في كتابه « وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة »، واحضر قلبك هذه الاصول وما يشابهها في ذهنك واعرضها على قلبك فانه ان شاء الله ، يؤمن بها على سبيل الاجمال ، فتأمل قوله « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا » وتكرير هذا الاصل في مواضع كثيرة . وكذلك قوله « أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » .

فكل حجة تحتجون بهـــا تجدها مبسوطة في القرآن ، وبعضهـــا في مواضع كثيرة .

فاحضر بقلبك ان الحكيم الذي انزل كتابه شفاء من الجهل- فارقاً بين الحق والباطل ، لا يليق به ان يقرر هذه الحجج ويكررها مع عدم حاجة المسلمين اليها ، ويترك الحجج التي يحتاجون اليهـا ، ويعلم الله ان عباده يفترقون ، حاشا أحكم الحاكمين .

ومما يهون عليك، مخالفة من خالف الحق، وان كان من أعلم الناس وأذكاهم وأعظمهم جاهاً ، ولو تبعه اكثر الناس ، ما وقع في هذه الامة من افتراقهم في اصول الدين وصفات الله تعالى ، وغالباً من يدعي المعرفة وما عليه المتكلمون ، وتسميتهم طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حشواً وتشبيهـاً وتجسيماً ، مع انك اذا طالعت في كتاب من كتب الكلام مع كونه يزعم ان هذا واجب على كل احـد وهو اصل الدين - تجد الكتاب من أوله إلى آخره ، لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله ، ولا حديث عن رسول الله ، اللهم ان يذكره ليحرفه عن مواضعه ، وهم معترفون انهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي، بل من عقولهم ، ومعترفون انهم مخـالفون للسلف في ذلك مثل ما ذكر في

« فتح الباري » في مسألة الايمان على قول البخاري : وهو قول وعمل ويزيد وينقص . فذكر اجماع السلف على ذلك ، وذكر عن الشافعي انه نقل الاجماع على ذلك، وكذلك ذكر ان البخاري نقله ، ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يرده. فان نظرت في كتاب التوحيد في آخر الصحيح . فتأمل تلك التراجم، وقرأت في كتب اهل العلم من السلف ومن اتباعهم من الخلف ونقلهم الاجماع على وجوب الايمان بصفات الله تعالى وتلقيها بالقبول ، وان من جحد شيئاً منها او تأول شيئاً من النصوص ، فقد افترى على الله وخالف اجماع اهل العلم ونقلهم الاجماع ان علم الكلام بدعة وضلالة حتى قال ابو عمر بن عبد البر : اجمع اهل العلم في جميع الاعصار والامصار ، ان اهل الكلام أهل بدع وضلالات لا يعدون عند الجميع من طبقات العلماء ، والكلام في هذا يطول .

والحاصل انهم عمدوا الى شيء اجمع عليه المسلمون كلهم، بل واجمع عليه اجهل الخلق بالله عبدة الاوثان ، الذين بعث فيهم النبي ﷺ ، فابتدع هؤلاء كلاماً من عند انفسهم كابروا به العقول ايضاً ، حتى انكم لا تقدرون ان تغيروا عوامكم عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها ، ثم مع هذا كله تابعهم جمهور من يتكلم في علم هذا الامر ، إلا من سبقت لهم من الله الحسنى ، وهم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود ، يبغضونهم الناس ويرمونهم بالتجسيم .

هذا وأهل الكلام واتباعهم من احذق الناس وافطنهم ، حتى ان لهم من الذكاء والحفظ والفهم ما يحير اللبيب، وهم واتباعهم مقرون انهم مخالفون للسلف حتى ان أئمة المتكلمين ، لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم في آيات الامر والنهي مثل قولهم : المراد بالصيام كتمان اسرارنا ، والمراد بالحج زيارة مشايخنا ، والمراد بجبريل العقل الفعال وغير ذلك من افكهم ، ردوا عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الاسلام . فقال لهم الفلاسفة : انتم جحدتم علو الله في خلقه ، واستواءه على عرشه، مع انه مذكور في الكتب على ألسنة الرسل، وقد اجمع عليه المسلمون كلهم وغيرهم من اهل الملل ، فكيف

يكون تأويلنا تحريفاً ، وتأويلكم صحيحاً ؟ فلم يقدر احد من المتكلمين ان يجيب عن هذا الايراد .

والمراد ان مذهبهم ، مع كونه فاسداً في نفسه ، مخالفاً للعقول ، هو ايضاً مخالف لدين الاسلام والكتاب والرسول والسلف كلهم ، ويذكرون في كتبهم ايضاً انهم مخالفون للسلف ، ثم مع هذا راجت بدعتهم على العالم والجاهل حتى طبقت مشارق الارض ومغاربها .

وأنا أدعوك الى التفكر في هذه المسألة ، وذلك ان السلف قد كثر كلامهم وتصانيفهم في اصول الدين وابطال كلام المتكلمين وتكفيرهم ، ومن ذكر هذا من متأخري الشافعية : البيهقي ، والبغوي ، واسماعيل التيمي . ومن بعدهم كالحافظ الذهبي. وأما متقدموهم كابن مريح ، والدراقطني وغيرهما ، فكلهم على هذا الامر ، فتش في كتب هؤلاء فان أتيتني بكلمة واحدة ان منهم رجلًا واحداً لم ينكر على المتكلمين ولم يكفرهم ، فلا تقبل مني شيئاً ابداً. ومع هذا كله وظهوره غاية الظهور، راج عليكم حتى ادعيتم ان اهل السنة هم المتكلمون، والله المستعان .

ومن العجب ، انه يوجد في بلدكم من يفتي الرجل بقول امام، والثاني بقول آخر ، والثالث بخلاف القولين ، ويعد فضيلة وعلماً وذكاءً ، ويقال هذا يفتي في مذهبين او اكثر. ومعلوم عند الناس ان مراده في هذا العلو والرياء ، وأكل أموال الناس بالباطل .

فاذا خالفت قول عالم لمن هو أعلم منه او مثله ، اذا كان معه الدليل ، ولم آت بشيء من عند نفسي ، تكلمتم بهذا الكلام الشديد ، فان سمعتم اني أفتيت بشيء خرجت فيه من اجماع اهل العلم توجه علي القول .

وقد بلغني انكم في هذا الامر قمتم وقعدتم ، فان كنتم تزعمون ان هذا انكار للمنكر، فيا ليت قيامكم هذا كان في عظائم في بلدكم تضاد اصل الاسلام

شهادة ان لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول الله ، منهـــا وهو اعظمها ، عبادة الاصنام عندكم من بشر وحجر ، هذا يذبح له ، وهذا ينذر له ، وهذا يطالب اجابة الدعوات ، واغاثة اللهفات ، وهذا يدعوه المضطر في البر والبحر ، وهذا يزعمون ان من التجـأ اليه ينفعه في الدنيا والآخرة ، ولو عصى الله ، فان كنتم تزعمون ان هذا ليس هو عبادة الاصنام والاوثان المذكورة في القرآن ، فهذا من العجب ، فاني لا اعلم احداً من اهل العلم ، يختلف في ذلك ، اللهم إلا ان يكون احد منهم ، وقع فيما وقع فيه اليهود من ايمانهم بالجبت والطاغوت .

وإن ادعيتم انكم لا تقدرون على ذلك ، فان لم تقدروا على الكل قدرتم على البعض كيف وبعض الذين انكروا علي هـذا الامر ، وادعوا انهم من اهل العلم ملتبسـون بالشرك الاكبر ويدعون اليه ولو يسمعون انساناً يجرء التوحيد لرموه بالكفر والفسوق ، ولكن نعوذ بالله من رضاء النـــاس بسخط الله ، ومنهـا ما يفعله كثير من اتبـاع ابليس واتبـاع المنجمين والسحرة والكهان ممن ينتسب الى الفقر ، وكثير ممن ينتسب الى العـلم ، من هـــذه الخوارق التي يوهمون بها الناس ويشبهونها بمعجزات الانبياء وكرامات الاولياء ، ومرادهم أكل اموال الناس بالبـاطل ، والصد عن سبيل الله ، حتى أن بعض انواعهـا ، يعتقد فيه من يدعي العلم ، انه من العلم الموروث عن الانبياء ، من علم الاسماء وهو من الجبت والطاغوت ، ولكن هذا مصداق قوله ﷺ : «لتتبعن سنن من كان قبلكم » ومنها هذه الحيلة الربوية التي مثل حيلة اصحاب السبت او اشد .

وأنا أدعو من خالفني الى احد اربع : اما الى كتاب الله ، واما الى سنة رسوله ﷺ ، واما الى اجماع اهل العلم ، فان عاند دعوته الى المباهلة ، كما دعا اليهـا ابن عباس في بعض مسائل الفرائض ، وكما دعا اليها سفيان ، والاوزاعي في مسألة رفع اليدين ، وغيرهما من اهل العلم .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم .

-٧-

كتابه الى شريف مكة غالب بن ساعد

وأرسل الشريف غالب بن ساعد شريف مكة سنة ١٢٠٤، رسالة الى الامير عبد العزيز ، ذكر فيهـــا انه يريد رجلا عارفاً من اهل الدين ، يعرفه حقيقة الامر ، ليكون فيه على بصيرة ، فأرسل اليه عبد العزيز الحصين ، وأرسل معه الشيخ رسالة للشريف ، يبين فيها دعوته ، وهذه هي(١) :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب ، الى العلماء الاعلام في بلد الله الحرام ، نصر الله بهم سيد الانام ، عليه افضل الصلاة والسلام، وتابعي الأئمة الاعلام، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد : فقد جرى علينا من الفتنة مـا بلغكم وبلغ غيركم ، وسببه هدم بنيان في ارضنـــا على قبور الصالحين ، ومع هذا نهينـاهم عن دعوة الصالحين ، وأمرناهم باخلاص الدعاء لله . فلما أظهرنا هذه المسألة ، مع ما ذكرنا من هدم البناء الذي على القبور ، كبر على العامة وعاضدهم بعض من يدعي العلم لاسباب ما تخفى على امثالكم ، اعظمها اتباع الهوى ، مع اسباب أخر .

فأشاعوا عنا ، إنا نسب الصالحين ، وإنا على غير جادة العلماء ، ورفعوا الامر الى الشرق والغرب ، وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها .

---

١) سبق للشريف أحمد بن سعيد ان أرسل مثل هـــذه الرسالة ، وطلب ارسال عالم ، سنة ١١٨٣ فأرسلوا اليه الشيخ عبد العزيز الحصين نفسه .

وأنا اخبركم بما نحن فيه ، بسبب ان مثلكم ما يروج عليه الكذب على الناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام ، فنحن ولله الحمد ، متبعون لا مبتدعون على مذهب الامام احمد بن حنبل .

وتعلمون أعزكم الله ، ان المطاع في كثير من البلدان ، لا يتبين بالعمل بهاتين المسألتين ، انها تكبر على العامة الذين درجوا وآباؤهم على ضد ذلك .

وأنتم تعلمون — رحمكم الله — ان في ولاية الشريف احمد بن سعيد ، وصل اليكم الشيخ عبد العزيز بن عبدالله ، وأشرفتم انتم على ما عندنا بعدما احضروا كتب الحنابلة التي عندنا عمدة ، كالتحفة ، والنهاية عند الشافعية .

فلما طلب منا الشريف غالب أعزه الله ونصره ، امتثلنا ، وهو اليكم واصل ، فان كانت المسألة اجماعاً ، فلا كلام . وان كانت مسألة اجتهاد ، فمعلومكم انه لا انكار في مسائل الاجتهاد ، فمن عمل بمذهبه في محل ولايته ، لا ينكر عليه .

وأنا ، أشهد الله وملائكته ، وأشهدكم ، اني على دين الله ورسوله ، واني متبع لأهل العلم .

— ٨ —

رسالته الى عبدالله بن سحيم مطوع المجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب ، الى عبدالله بن سحيم حفظه الله تعالى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أما بعد ، فقد وصل كتابك . تطلب شيئاً من معنى كتاب « المويس » الذي ارسله لأهل الوشم . وأنا أجيبك عن

الكتاب جملة ، فان كان الصواب فيه ، فنبهني وارجع الى الحق ، وان كان الامر كما ذكرت لك من غير مجازفة — بل انا مقتصر، فالواجب على المؤمن ان يدور مع الحق حيث دار .

وذلك ان كتابه مشتمل على الكلام في ثلاثة انواع من العلوم ، الاول : علم الاسماء والصفات الذي يسمى علم اصول الدين ، ويسمى ايضاً العقائد . والثاني الكلام على التوحيد والشرك . والثالث ، الاقتداء بأهل العلم واتباع الادلة ، وترك ذلك .

أما الاول :

فانه أنكر على اهل الوشم ، انكارهم على من قال : ليس بجوهر ، ولا جسم ، ولا عرض . وهذا الانكار جمع فيه بين اثنتين ، احداهما انه لم يفهم كلام ابن عيدان وصاحبه . الثانية ، انه لم يفهم صورة المسألة ، وذلك ان مذهب الامام احمد وغيره من السلف ، انهم لا يتكلمون في هذا النوع ، إلا بما تكلم الله به ورسوله ، فما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته رسوله ، اثبتوه مثل الفوقية ، والاستواء ، والكلام ، والمجيء وغير ذلك . وما نفاه الله عن نفسه ، ونفاه عنه رسوله ، نفوه مثل : المثل ، والند ، والسمي وغير ذلك. وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله ، اثباته ونفيه ، مثل الجوهر ، والجسم ، والعرض ، والجهة وغير ذلك ، لا يثبتونه ولا ينفونه . فمن نفاه مثل صاحب الخطبة التي انكرها ابن عيدان وصاحبه ، فهو عند احمد والسلف ، مبتدع . ومن أثبته ، مثل هشام بن الحكم وغيره ، فهو عندهم مبتدع، والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع ، اقتداء بالنبي ﷺ واصحابه .

هذا معنى كلام احمد الذي في رسالة « المويس » ، انه قال: لا أرى الكلام إلا ما ورد عن النبي ﷺ ، فمن العجب استدلاله بكلام الامام احمد على ضده، ومثاله في ذلك ، كمثل حنفي يقول : الماء الكثير ، ولو بلغ قلتين ينجس بمجرد

الملاقاة من غير تغير ، فاذا سئل عن الدليل ، قال : قوله ﷺ « وعاء طهور لا ينجسه شيء » ، فيستدل بدليل خصمه . فهل يقول هذا من يفهم ما يقول :

وأنا اذكر لك قول الحنابلة في هذه المسألة :

قال الشيخ تقي الدين – بعد كلام له على من قال ، انه ليس بجوهر ولا عرض ، ككلام صاحب الخطبة ، قال رحمه الله : « فهذه الالفاظ لا يطلق اثباتها ولا نفيها كلفظ الجوهر والجسم ، والتحيز ، والجهة ، ونحو ذلك من الالفاظ . ولهذا لما سئل ابن سريج عن التوحيد ، فذكر توحيد المسلمين قال : واما توحيد اهل الباطل فهوالخوض في الجواهر والاعراض، وانما بعث النبي ﷺ بانكار ذلك . وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام واهله ، مبسوط في غير هذا الموضع . والمقصود ان الأئمة كأحمد وغيره ، لما ذكر لهم اهل البدع ، الالفاظ المجملة كلفظ الجسم ، والجوهر ، والحيز ، لم يوافقوهم لا على اطلاق الاثبات ، ولا على اطلاق النفي » .

انتهى كلام الشيخ تقي الدين .

اذا تدبرت هذا ، عرفت ان انكار ابن عيدان وصاحبه على « الخطيب » الكلام في هذا هو عين الصواب . وقد اتبعهما في ذلك ، امامهما احمد بن حنبل وغيره في انكارهم ذلك على المبتدعة، ففهم صاحبكم انهما يريدان اثبات ضد ذلك، وان الله جسم ، وكذا وكذا تعالى الله عن ذلك . وظن ايضاً ان عقيدة اهل السنة هي نفي انه لا جسم ولا جوهر ، ولا كذا ، ولا كذا . وقد تبين لكم الصواب ، ان عقيدة اهل السنة هي السكوت : من اثبت بدعوه ، ومن نفى بدعوه . فالذي يقول ليس بجسم ، ولا ، ولا ، هم الجهمية والمعتزلة ، والذين يثبتون ذلك هو هشام واصحابه . والسلف بريئون من الجميع: من اثبت بدعوه ، ومن نفى بدعوه .

فالمويس لم يفهم كلام الاحياء ، ولا كلام الاموات ، وجعل النفي الذي

هو مذهب الجهمية والمعتزلة ، مذهب السلف ، وظن ان من انكر النفي انه يريد الاثبات كهشام واتباعه . ولكن أعجب من ذلك ، استدلاله على ما فهم بكلام أحمد المتقدم .

ومن كلام ابي الوفاء بن عقيل ، قال « انا أقطع ان أبا بكر وعمر ، ماتا ما عرفا الجوهر والعرض ، فان رأيت ان طريقة ابي علي الجبائي ، وابي هاشم خير لك من طريقة ابي بكر وعمر ، فبئس ما رأيت » انتهى .

وصاحبكم يدعي ان الرجل لا يكون من أهل السنة حتى يتبع أبا علي ، وأبا هاشم بنفي الجوهر والعرض، فان أنكر الكلام فيهما، مثل ابي بكر وعمر فهو عنده على مذهب هشام الرافضي ، فظهر بما قررناه ان الخطيب الذي يتكلم بنفي العرض والجوهر ، أخذه من مذهب الجهمية والمعتزلة ، وان ابن عيدان وصاحبه انكرا ذلك مثل ما أنكره احمد والعلماء كلهم على اهل البدع .

وقوله في الكتاب : ومذهب أهل السنة ، اثبات من غير تعطيل ولا تجسيم ولا كيف ولا أين ، الى آخره . وهذا من أبين الادلة على انه لم يفهم عقيدة المبتدعة ، وذلك ان انكار « الاين » من عقائد اهل الباطل ، واهل السنة يثبتونه اتباعاً لرسول الله ﷺ ، كما في الصحيح انه قال للجارية أين الله ؟ فزعم هذا الرجل ان اثباتها مذهب المبتدعة ، وان انكارها مذهب اهل السنة كما قيل، وعكسه بعكسه .

وأما الجسم ، فتقدم الكلام ان اهل الحق لا يثبتونه ولا ينفونه ، فغلط عليهم في اثباته . واما التعطيل والكيف ، فصدق في ذلك ، فجمع لكم اربعة ألفاظ نصفها حق من عقيدة الحق ، ونصفها باطل على عقيدة الباطل ، وساقها مساقاً واحداً ، وزعم انه مذهب أهل السنة والجماعة ، فجهل وتناقض .

وقوله أيضاً : ويثبتون ما أثبته الرسول ﷺ ، من السمع ، والبصر ، والحياة ، والقدرة ، والارادة ، والعلم ، والكلام الى آخره . وهذا أيضاً من اعجب جهله ، وذلك ان هذا مذهب طائفة من المبتدعة ، يثبتون الصفات السبع

وينفون مـــا عداها ، ولو كان في كتاب الله ، ويؤلونه . وأما اهل السنة ، فكل ما جاء عن الله ورسوله أثبتوه ، وذلك صفات كثيرة ، لكن أظنه نقل هذا من كلام المبتدعة ، وهو لا يميز بين كلام اهل الحق ، من كلام اهل الباطل.

اذا تقرر هذا ، فقد ثبت خطأه من وجوه :

الاول : انه لم يفهم الرسالة التي بعثت اليه

الثاني : انه بهت اهلها باثبات الجسم وغيره

الثالث : انه نسبهم الى الرافضة ، ومعلوم ان الرافضة من ابعد الناس عن هذا المذهب واهله .

الرابع : انه نسب من أنكر هذه الالفاظ ، الى الرفض والتجسيم ، وقد تبين ، ان الامام احمد وجميع السلف ينكرونه ، فلازم كلامه ان مذهب الامام احمد وجميع السلف ، مجسمة على مذهب الرفض .

الخامس : انه نسب كلامهما الى الفرية الجسمية ، فجعل عقيدة امامه واهل السنة فرية جسمية .

السادس : انه زعم ان البدع اشتعلت في عصر الامام احمد ، ثم ماتت حتى احياها اهل « الوشم » ، فمفهوم كلامه ، بل صريحه ، ان عصر الامام احمد وأمثاله ، عصر البدع والضلال ، وعصر ابن اسماعيل ، عصر السنة والحق .

السابع : انه نسبهما الى التعطيل ، والتعطيل إنما هو جحد الصفات .

الثامن : يتهمهما انهما نسبا من قبلهما من العلماء ، الى التعطيل ، لكونهما أنكرا على خطيب من المبتدعة ، وهذا من البهتان الظاهر .

التاسع : انه نسبهما الى وراثة هشام الرافضي .

العاشر : ان المسلم اخو المسلم ، فاذا أخطـــأ أخوه ، نصحه سراً وبين له الصواب ، فاذا عاند أمكنه المجاهرة بالعداوة. وهذا لما راسلاه ، صنف عليهما ما

علمت وأرسله الى البلدان : أعرفوني ، أعرفوني . تراني جاي من الشام .

وأما التناقض ، وكون كلامه يكذب بعضه بعضاً ، فمن وجوه :

منها : انه نسبهما تارة الى التجسيم ، وتارة الى التعطيل. ومعلوم ان التعطيل ضد التجسيم ، واهل هذا ، اعداء لأهل هذا ، والحق وسط بينهما .

ومنها : نسبهما الى الجهمية ، والى المجسمة ، والجهمية والمجسمة ، بينهما من التناقض والتباعد كما بين السواد والبياض ، واهل السنة وسط بينهما .

ومنها : انه يقول مذهب أهل الحق اثبات الصفات . ثم يقول : ولا اين ولا ، ولا . وهذا تناقض .

ومنها انه يقول : ما أثبته الله ورسوله ، أثبت . ثم يخص ذلك بالصفات السبع ، فهذا عين التناقض . فعقيدته التي نسبت لأهل السنة ، جمعها من نحو اربع فرق من المبتدعة ، يناقض بعضهم بعضاً ، ويسب بعضهم بعضاً ، ولو فهمت حقيقة هذه العقيدة ، لجعلتها ضحكة .

ومنها : انه يذكر عن احمد ان الكلام في هذه الاشياء مذموم ، إلا ما نقل عن رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعيهم . ثم ينقل لكم اثبات كلام المبتدعة ونفيهم ، ويتكلم بهذه العقيدة المعكوسة ويزعم انها عقيدة اهل الحق .

هذا ما تيسر كتابته عجلاً على السراج في الليل ، والمأمول فيك انك تنظر فيها بعين البصيرة وتتأمل هذا الامر ، واعرض هذا عليه واطلب منه الجواب عن كل كلمة من هذا ، فان أجابك بشيء ، فاكتبه وان عرفته باطلاً ، وإلا فراجعني فيه أبينه لك ، ولا تستحقر هذا الامر ، فان حرصت عليه جداً ، عرفك عقيدة الامام احمد وأهل السنة، وعقيدة المبتدعة ، وصارت هذه الواقعة أنفع لك من القراءة في علم العقائد شهرين او ثلاثة ، بسبب ان الخطأ ، والاختلاف مما يوضح الحق ويبين الخطأ فيه .

وأما النوع الثاني :

فهو الكلام في الشرك والتوحيد ، وهو المصيبة العظمى والداهية الصما ، والكلام على هذا النوع ، والرد على هذا الجاهل ، يحتمل مجلداً ، وكلامه فيه كما قال ابن القيم : اذا قرأه المؤمن ، تارة يبكي وتارة يضحك ، ولكن انبهك منه على كلمتين :

الاولى : انهما نسبا من قبلهما الى الخروج من الاسلام والشرك الاكبر ، افيظن ان قوم موسى ، لما قالوا اجعل لنا إلهاً ، خرجوا من الاسلام ، أفيظن ان اصحاب رسول الله ﷺ ، لما قالوا اجعل لنا ذات انواط ، فحلف لهم ان هذا مثل قول قوم موسى اجعل لنا إلهاً ، انهم خرجوا من الاسلام . أيظن ان النبي ﷺ ، لما سمعهم يحلفون بآبائهم فنهاهم وقال « من حلف بغير الله فقد أشرك » ، انهم خرجوا من الاسلام ، الى غير ذلك من الادلة التي لا تحصر ، فلم يفرق بين المشرك المخرج عن الملة من غيره ، ولم يفرق بين الجاهل والمعاند.

والكلمة الثانية قوله : ان المشرك لا يقول « لا إله إلا الله » ، فيا عجباً من رجل يدعي العلم وجاء من الشام يحمل كتباً ، فلما تكلم اذا انه لا يعرف الاسلام من الكفر ، ولا يعرف الفرق بين ابي بكر الصديق وبين مسيلمة الكذاب . أما علم ان مسيلمة يشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، ويصلي ويصوم ؟ أما علم ان غلاة الرافضة الذين حرقهم علي ، يقولونها وكذلك الذين يقذفون عائشة ويكذبون القرآن . وكذلك الذين يزعمون ان جبريل غلط ، وغير هؤلاء ممن اجمع اهل العلم على كفرهم ، منهم من ينتسب الى الاسلام ، ومنهم من لا ينتسب اليه كاليهود ، وكلهم يقولون لا إله إلا الله . وهذا أبين عند من له اقل معرفة بالاسلام — من ان يحتاج الى تبيان . واذا كان المشركون لا يقولونها ، فما معنى باب « حكم المرتد » الذي ذكر الفقهاء من كل مذهب ؟ هل الذين ذكروهم الفقهاء وجعلوهم مرتدين لا

يقولونها . هذا الذي ذكر اهل العلم انه الكفر من اليهود والنصارى . وقال بعضهم من شك في كفر اتباعه ، فهو كافر . وذكرهم في « الاقناع » في باب حكم المرتد ، وامامهم ابن عربي ، أيظنهم لا يقولون لا إله إلا الله . لكن هو آت من الشام ، وهم يعبدون ابن عربي ، جاعلين على قبره صنماً يعبدونه ، ولست اعني أهل الشام كلهم ، حاشا وكلا ، بل لا تزال طائفة على الحق ، وان قلت واغتربت .

لكن العجب العجاب ، استدلاله ان رسول الله ﷺ ، دعا الناس الى قول لا إله إلا الله ، ولم يطالبهم بمعناها . وكذلك اصحاب رسول الله ﷺ ، فتحوا بلاد الاعاجم وقنعوا منهم بلفظها ، الى آخر كلامه . فهل يقول هـــذا من يتصور ما يقول ؟

فنقول اولاً : هو الذي نقض كلامه وكذبه بقوله دعاهم الى ترك عبـادة الاوثان ، فاذا كان لم يقنع منهم الا بترك عبادة الاوثان ، تبين ان النطق بهـا لا ينفع إلا بالعمل بمقتضاهـا ، وهو ترك الشرك ، وهذا هو المطلوب . ونحن انما نهينا عن الاوثان المجعولة على قبر الزبير وطلحة وغيرهما في الشام او في غيره . فان قلتم ليس هذا من الاوثان وإنما دعاء اهل القبور والاستغاثة بهم في الشدائد ليست من الشرك مع كون المشركين الذين في عهد رسول الله ﷺ ، يخلصون لله في الشدائد ولا يدعون اوثانهم ، فهذا كفر ، وبيننا وبينكم كلام العلمـاء من الاولين الى الآخرين ، الحنابلة وغيرهم . وان أقررتم ان ذلك كفر وشرك وتبين ان قول لا إله إلا الله لا ينفع الا مع ترك الشرك ، فهذا هو المطلوب وهو الذي نقول : وهو الذي أكثرتم النكير فيه وزعمتم انه لا يخرج الا من خراسان . وهذا القول كما في أمثال العامة « لا وجه سميح ولا بنت رجال » لا اقول صواباً إلا خطأ ظاهراً وسباً لدين الله. ولا هو أيضاً قول باطل يصدق بعضه بعضاً ، بل مع كونه خطأ ، فهو متناقض يكذب بعضه بعضاً لا يصدر إلا ممن هو اجهل الناس .

وأما دعواه ان الصحابة لم يطلبوا من الاعاجم إلا مجرد هذه الكلمة ، ولم يعرفوهم بمعناها ، فهذا قول من لا يفرق بين دين المرسلين ودين المنافقين الذين هم في الدرك الاسفل من النار ، فان المؤمنين يقولونها ، والمنافقين يقولونها ، لكن المؤمنين يقولونها مع معرفة قلوبهم بمعناها ، وعمل جوارحهم بمقتضاها ، والمنافقين يقولونها من غير فهم لمعناها ، ولا عمل بمقتضاها ، فمن اعظم المصائب واكبر الجهل من لا يعرف الفرق بين الصحابة والمنافقين ، لكن هذا لا يعرف النفاق ولا يظنه في اهل زماننا ، بل يظنه في زمن رسول الله ﷺ وأصحابه ، وأما زمانه فصلح بعد ذلك . واذا كان زمانه وبلدانه ينزهون عن البدع ، ويخرجها من خراسان ، فكيف بالشرك والنفاق ؟ ويا ويح هذا القائل ما أجرأه على الله ، وما أجهله بقدر الصحابة وعلمهم حيث ظن انهم لا يعلمون الناس : لا إله إلا الله . اما علم هذا الجاهل انهم يستدلون بها على مسائل الفقه فضلًا عن مسائل الشرك، ففي الصحيحين ان عمر رضي الله عنه ، لما اشكل عليه قتال مانعي الزكاة لأجل قوله ﷺ : « أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فاذا قالوها ، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» قال ابو بكر فان الزكاة من حقها، فاذا كان منع الزكاة من منع حق لا إله إلا الله ، فكيف بعبادة القبور ، والذبح للجن ، ودعاء الاولياء وغيرهم مما هو دين المشركين . وصرح الشيخ تقي الدين في «اقتضاء الصراط المستقيم» بأن من ذبح للجن فالذبيحة حرام من جهتين : من جهة انها مما اهل لغير الله ، ومن جهة انها ذبيحة مرتد ، فهي كخنزير مات من غير ذكاة ، ويقول : ولو سمى الله عند ذبحها ، اذا كانت نية ذبحها للجن . ورد على من قال انه ان ذكر اسم الله ، حل الأكل منها مع التحريم .

وأما ما سألت عنه من قوله: اللهم صل على محمد ، الى آخره ، فهذه المحامل

التي ذكر غير بعيدة لو كان الانكار على الرجل الميت الذي صنفها ، والانكار انما هو على الخطباء والعامة الذين يسمعون ، فان كان يزعم ان عامة اهل هذه القرى كل رجل منهم يفهم هذا التأويل ، فهذا مكابرة ، وان كان يعرف انهم ما قصدوا الا المعاني التي لا تصلح إلا لله ، لم يمنع من الانكار عليهم. ولو تبين انه شرك لكون الذي قالها أولاً قصد معنى صحيحاً ، كما لو ان رجلاً من اهل العلم كتب الى عامة ، ان نكاح الاخوات حلال ، ففهموا منه ظاهره ، وجعلوا يتزوجون اخواتهم ، خاصتهم وعامتهم – لم يمنع من الانكار عليهم ، ولو تبين ان الله حرم نكاح الاخوات ، لكون القائل انما أراد الاخوات في الدين ، كما قال ابراهيم عليه السلام ، لسارة هي اختي . وهذا واضح بحمد الله ، ولكن من انفتح له تحريف الكلم عن مواضعه انفتح له باب طويل عريض .

وأما النوع الثالث :

وهو الكلام على التقليد والاستدلال ، فكلامه فيه من ابطل الباطل ، وأظهر الكذب ، وهو ايضاً كلام جاهل ينقض بعضه بعضاً ، ونحن ما أردنا المعنى الذي ذكر . والكلام على هذا طويل ، ولكن انا كتبت له كلاماً في هذا مع رسالة طويلة ، فاطلبه وراجعه وتأمله ، وتكلم لله ، في سبيل الله ، بما يرضي الله ورسوله ، واحذر من فتنة « إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم مقتدون » ، فمن نجا منها فقد نجا من شر كثير . ولا تغفل عن قوله في خطبة « شرح الاقناع » : « من عثر على شيء مما طغى به القلم » الى آخره . وقوله في آخرها : « اعلم رحمك الله ان الترجيح اذا اختلفت بين الاصحاب الى آخره. وان طمعت بالزيارة والمذاكرة من الرأس ، لعلك ايضاً تحقق علم العقائد ، وتميز بين حقه وباطله ، وتعرف ايضاً علوم الايمان بالله وحده ، والكفر بالطاغوت ، فترى أشير وألزم ، فان رأيت امر الله ورسوله ، فهو المطلوب ،

والا فقد وهبك الله من الفهم ما تميز به بين الحق والباطل ، ان شاء الله تعالى .

وهذا الكتاب لا تكتمه عن صاحب الكتاب ، بل اعرضه عليه ، فان تاب وأقر ورجع الى الله ، فعسى ، وان زعم ان له حجة ، ولو في كلمة واحدة ، أو ان في كلامي مجازفة ، فاطلب الدليل ، فان أشكل شيء عليك فراجعني فيه حتى تعرف كلامي و كلامه . نسأل الله ان يهدينا واياك والمسلمين الى مـــا يحبه ويرضاه . وأنت لا تلمني على هذا الكلام ، تراني استدعيته اولاً بالملاطفة ، وصبرت منه على أشياء عظيمة . والآن اشرفت منه على امور مـــا ظننتها لا في عقله ، ولا في دينه منها : انه كتب الى أهل الاحساء يعاونهم على سب دين الله ورسوله ..

- ٩ -

رسالته الثانية الى عبدالله بن سحيم

وأرسل سليمان بن محمد بن سحيم رسالة الى اهل البصرة والاحساء، يشنع فيها على الشيخ ويفتري عليه، فسأله عنها عبدالله بن سحيم ، فرد عليه بالرسالة الآتية:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى عبدالله بن سحيم

وبعد ، ألفينا مكتوبك ، ومـــا ذكرت فيه من ذكرك ما بلغك . ولا يخفاك ان المسائل التي ذكرت انها بلغتك في كتاب من العارض جملتهـــا ٢٤ مسألة ، بعضها حق ، وبعضها بهتان وكذب . وقبل الكلام فيهـا ، لا بد من تقديم اصل : وذلك ان اهل العلم اذا اختلفوا ، والجهـال اذا تنازعوا ، ومثلي ومثلكم ، اذا اختلفنا في مسألة — هل الواجب اتباع امر الله ورسوله واهل العلم

أو الواجب اتباع عادة الزمان التي ادركنا الناس عليها ، ولو خالفت ما ذكره العلماء في جميع كتبهم ؟ وانما ذكرت هذا ، ولو كان واضحاً ، لأن بعض المسائل التي ذكرت أنا قلتها ، لكن هي موافقة لما ذكره العلماء في كتبهم : الحنابلة وغيرهم . ولكن هي مخالفة لعادة الناس التي نشأوا عليها ، فأنكرها علي من أنكرها لأجل مخالفة العادة ، وإلا فقد رأوا تلك في كتبهم عياناً وأقروا بها ، وشهدوا أن كلامي هو الحق ، لكن أصابهم ما اصاب الذين قال الله فيهم : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » الآية . وهذا هو ما نحن فيه بعينه ، فان الذي راسلكم هو عدو الله ابن سحيم ، وقد بينت ذلك له فأقر به ، وعندنا كتب يده في رسائل متعددة : ان هذا هو الحق ، وأقام على ذلك سنين ، لكن أنكر آخر الامر لأسباب اعظمها البغي « ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده » ، وذلك ان العامة قالوا له ولأمثاله : اذا كان هذا هو الحق ، فلأي شيء لم تنهونا عن عبادة « شمسان » وأمثاله ؟ فتعذروا انكم ما سألتمونا . قالوا وان لم نسألكم ؟ كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحونا ؟ وظنوا أن يأتيهم في هذا غضاضة ، وان فيه شرفاً لغيرهم .

وأيضاً لما أنكرنا عليهم أكل السحت والرشا ، الى غير ذلك من الامور ، فقام يدخل عندكم وعند غيركم بالبهتان ، والله ناصر دينه ولو كره المشركون. وأنت لا تستهون مخالفة العادة على العلماء ، فضلاً عن العوام . وأنا أضرب لك مثلاً بمسألة واحدة ، وهي مسألة الاستجمار ثلاثاً فصاعداً ، من غير عظم ولا روث ، وهو كاف مع وجود الماء عند الأئمة الاربعة وغيرهم ، وهو اجماع الامة لا خلاف في ذلك، ومع هذا لو يفعله احد، لصار هذا عند الناس أمراً عظيماً ، ولنهوا عن الصلاة خلفه ، وبدعوه مع اقرارهم بذلك ، ولكن لأجل العادة .

اذا تبين هذا ، فالمسائل التي شنع بها ، منها ما هو من البهتان الظاهر وهي

قوله اني مبطل كتب المذاهب . وقوله اني اقول ان النـاس من ستماية سنة ، ليسوا على شيء . وقوله اني أدعي الاجتهـاد . وقوله اني خـارج عن التقليد . وقوله اني اقول ان اختلاف العلماء نقمة. وقوله اني اكفر من توسل بالصالحين. وقوله اني أكفر البوصيري لقوله « يا اكرم الخلق » . وقوله اني اقول ، لو اقدر على هدم حجرة الرسول ، لهدمتهـا . ولو اقدر على الكعبة ، لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب . وقوله اني انكر زيارة قبر النبي ﷺ . وقوله اني انكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم . واني أكفر من يحلف بغير الله .

فهذه أثنتا عشرة مسألة جوابي فيها ان اقول « سبحانك هذا بهتان عظيم ». ولكن قبله من بهت النبي محمداً ﷺ ، انه يسب عيسى بن مريم، ويسب الصالحين « تشابهت قلوبهم » . وبهتوه بأنه يزعم ان الملائكة وعيسى وعزيرا في النـار ، فأنزل الله في ذلك : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ».

وأمـا المسائل الأخر وهي اني اقول : لا يـتم اسلام الانسان حتى يعرف معنى « لا إله إلا الله » ومنها : اني اعرف من يأتيني بمعناها . ومنهـا اني اقول الاله هو الذي فيه السر . ومنهـا تكفير الناذر اذا اراد به التقرب لغير الله ، وآخذ النذر كذلك . ومنها : ان الذبح للجن كفر ، والذبيحة حرام ، ولو يسمي الله اذا ذبحها للجن .

فهذه خمس مسائل كلها حق ، وأنا قائلهـــا . ونبدأ بالكلام عليها لأنها أم المسائل وقبل ذلك اذكر معنى « لا إله إلا الله » فنقول :

التوحيد نوعان : توحيد الربوبية ، وهو ان الله سبحانه ، متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والانبياء وغيرهم . وهذا حق لا بد منه ، لكن لا يدخل الرجل في الاسلام ، لأن اكثر الناس مقرون به ، قال الله تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار » . الى قوله « أفلا تتقون » . وان الذي يدخل الرجل في الاسلام هو توحيد الالوهية ، وهو ان لا يعبد إلا الله ، لا ملكاً مقرباً ، ولا نبيـــاً مرسلًا ، وذلك ان النبي ﷺ

بعث واهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله ، فمنهم من يدعو الاصنام ، ومنهم من يدعو عيسى ، ومنهم من يدعو الملائكة ، فنهاهم عن هذا . واخبرهم ان الله ارسله ليوحد ، ولا يدعى أحد من دونه ، لا الملائكة ولا الانبياء ، فمن تبعه ووحد الله ، فهو الذي شهد « ان لا إله إلا الله » ، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة واستنصرهم ، والتجأ اليهم ، فهو الذي جحد « لا إله إلا الله » ، مع اقراره ، انه لا يخلق ولا يرزق الا الله . وهذه جملة لها بسط طويل، لكن الحاصل ان هذا مجمع عليه بين العلماء .

ولما جرى في هذه الامة ما أخبر به نبيها ﷺ ، حيث قال: « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وكان من قبلهم كما ذكر الله عنهم « اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله » . فصار ناس من الضالين يدعون اناساً من الصالحين الى الشدة والرخاء ، مثل عبد القادر الجيلاني ، وأحمد البدوي ، وعدي بن سافر وأمثالهم من اهل العبادة والصلاح ، فأنكر عليهم اهل العلم غاية الانكار، وزجروهم عن ذلك، وحذروهم غاية التحذير والانذار من جميع المذاهب الاربعة في سائر الاقطار والامصار ، فلم يحصل منهم انزجار بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار . وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فما شأنهم من ذلك .

وبين اهل العلم ، أن امثال هذا هو الشرك الاكبر . وأنت ذكرت في كتابك تقول ، يا أخي ، ما لنا والله دليل الامن كلام اهل العلم . وأنا اقول كلام اهل العلم رضى، وانا أنقله لك، وأنبهك عليه ، فتفكر فيه ، وقم لله ساعة ناظراً ومناظراً مع نفسك ومع غيرك ، فان عرفت ان الصواب معي ، وان دين الاسلام اليوم من اغرب الاشياء ، اعني دين الاسلام الصرف الذي لا يمزج بالشرك والبدع .. أما الاسلام الذي ضده الكفر ، فلا شك ان أمة محمد ﷺ آخر الامم ، وعليها تقوم الساعة .

فان فهمت ان كلامي هو الحق ، فاعمل لنفسك ، واعلم ان الامر عظيم ،

والخطب جسيم ، فان أشكل عليك شيء ، فسفرك الى المغرب في طلبه غير كثير . واعتبر لنفسك ، حيث كتبت لي فيما مضى : ان هذا هو الحق الذي لا شك فيه ، لكن لا نقدر على تغيير ، وتكلمت بكلام حسن ، فلما غربلك الله بولد المويس ولبس عليك، وكتب لأهل «الوشم» يستهزىء بالتوحيد، ويزعم انه بدعة وانه خرج من خراسان ، ويسب دين الله ورسوله ، لم تفطن لجهله وعظيم ذنبه ، وظننت ان كلامي فيه من باب الانتصار للنفس ، وكلامي هذا لا يغيرك فان مرادي ان تفهم ان الخطب جسيم ، وان أكابر اهل العلم يتعلمون هـذا ويغلطون فيه ، فضلاً عنا وعن أمثالنا ، فلعله ان أشكل عليك ، تواجهني ، هذا ان عرفت انه حق ، وان كنت نقلت لك عبارات العلمـاء ، وعرفت اني لم افهم معناهـا ، وان الذين نقلت اليك كلامهم أخطأوا ، وانهم خالفهم أحد من اهل العلم ، فنبهني على الحق وأرجع اليه ان شاء الله تعالى .

فنقول :

قال الشيخ تقي الدين : وقد غلط في مسمى التوحيـد ، طوائف من اهل النظر ، ومن اهل العبـادة ، حتى قلبوا حقيقته . فطائفة ظنت ان التوحيد هو نفي الصفات ، وطائفة ظنوا انه الاقرار بتوحيد الربوبية . ومنهم من اطال في تقرير هذا الموضع وظن انه بذلك قرر الوحـدانية ، وان الألوهية هي القدرة على الاختراع ونحو ذلك . ولم يعلم ان مشركي العرب كانوا مقرين بهذا التوحيد قال الله تعـالى « قل لمن الارض ومن فيهـا ان كنتم تعلمون » الآيات . وهذا حق لكن لا يخلص به عن الاشراك بالله الذي لا يغفره الله ، بل لا بد أن يخلص الدين لله ، فلا يعبد إلا الله ، فيكون دينه لله ، والإله هو المألوه الذي تألهه القلوب . وأطال رحمه الله الكلام .

وقال ايضاً في الرسالة السنية التي ارسلها الى طائفة من اهل العبادة، ينتسبون الى بعض الصالحين ، ويغلون فيه ، فذكر حديث الخوارج ، ثم قال :

فاذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ممن ينتسب الى الاسلام ، من مرق منه ، مع عبادته العظيمة ، فليعلم ان المنتسب إلى الاسلام قد يمرق من الدين، وذلك بأمور منها: الغلو الذي ذمه الله، مثل الغلو في عدي بن مسافر او غيره ، بل الغلو في علي بن ابي طالب ، بل الغلو في المسيح ونحوه . فكل من غلا في نبي ، او صحابي ، أو رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الألوهية ، مثل ان يقول : يا سيدي فلان اغثني ، او أنا في حسبك ، ونحو هذا ، فهذا كافر يستتاب ، فان تاب ، وإلا قتل ، فان الله سبحانه إنما ارسل الرسل وأنزل الكتاب ، ليعبد ولا يدعى معه إله آخر ، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى ، مثل الشمس ، والقمر ، والصالحين ، والتماثيل المصورة على صورهم ، لم يكونوا يعتقدون انها تنزل المطر ، او تنبت النبات ، وانما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ، ويقولون « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ، فبعث الله الرسل وانزل الكتب تنهي عن ان يدعى احد من دونه ، لا دعاء عبادة ، ولا دعاء استغاثة .

وأطال الكلام رحمه الله . فتأمل كلامه في اهل عصره من اهل النظر الذين يدعون العلم ، ومن اهل العبادة الذين يدعون الصلاح .

وقال في «الاقناع» ، في باب « حكم المرتد » في اوله « فمن اشرك بالله او جحد ربوبيته او وحدانيته » ... الى ان قال « او استهزأ بالله أو رسله ، قال الشيخ ، او كان مبغضاً لرسوله او لما جاء به اتفاقاً ، او جعل بينه وبين الله وسائط : « يدعوهم ، ويتوكل عليهم ، ويسألهم – كفر اجماعاً » الى ان قال : « او أنكر الشهادتين او احداهما » .

فتأمل هذا الكلام بقلبك، وتأمل هل قالوا هذا في اشياء وجدت في زمانهم

واشتد نكيرهم على أهلها ، او قالوها ولم تقع ؟ وتأمل الفرق بين جحد الربوبية والوحدانية ، والبغض لما جاء به الرسول .

وقال ايضاً في اثناء الباب : « ومن اعتقد ان لأحد طريقاً الى الله غير متابعة محمد ﷺ ، أو لا يجب عليه اتباعه ، او لغيره خروجاً عن اتباعه ، او قال : انا محتاج اليه في علم الظاهر دون علم الباطن ، او في علم الشريعة دون علم الحقيقة ، او قال ان من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى – كفر في هذا كله .

ولو تعرف من قال هذا الكلام فيهم ، وجزم بكفرهم ، وعلمت ما هم عليه من الزهد والعبادة ، وانهم عند أكثر اهل زماننا من اعظم الاولياء ، لقضيت بالعجب .

وقال ايضاً في الباب : ومن سب الصحابة واقترن بسبه دعوى ان علياً إله او نبي ، او ان جبريل غلط ، فلا شك في كفر من توقف في تكفيره .

فتأمل هذا ، اذا كان كلامه هذا في علي ، فكيف بمن ادعى ان ابن عربي او عبد القادر إله . وتأمل كلام الشيخ في معنى الإله الذي تألهه القلوب ، واعلم ان المشركين في زماننا ، قد زادوا على الكفار في زمان النبي ﷺ ، بأنهم يدعون الصالحين في الرخاء والشدة ، ويطلبون منهم تفريج الكربات ، وقضاء الحاجات . والكفار زمن النبي ، مع كونهم يدعون الملائكة والصالحين ويريدون شفاعتهم ، والتقرب بهم ، والا فهم مقرون بأن الامر لله ، فهم لا يدعونهم الا في الرخاء ، فاذا جاءتهم الشدائد ، أخلصوا لله . قال الله تعالى : « فاذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم » . الآية .

وقال ايضاً في « الاقناع » في الباب : ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله . وهو عقد ورقى ، وكلام يتكلم به او يكتبه ، او يعمل شيئاً يؤثر في بدن

المسحور ، او قلبه ، او عقله . ومنه مـــا يقتل ، ومنه ما يمرض ، ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ، ومنه ما يبغض احدهما للآخر ، ويحبب بين اثنين ، ويكفر بتعلمه وفعله ، سواء اعتقد تحريمه او اباحته .

فتأمل هذا الكلام ، ثم تأمل مــــا جرى في النـــاس ، خصوصاً الصرف والعطف – تعرف ان الكفر ليس ببعيد ، وعليك بتأمل هذا الباب في «الاقناع» وشرحه ، تأملًا جيداً ، وقف عند المواضع المشكلة وذاكر فيها ، كما تفعل في باب الوقف والاجارة ، يتبين لك ان شاء الله امر عظيم .

وأمـا الحنفية ، فقال الشيخ قاسم في شرح «درر البحار» : النذر الذي يقع من اكثر العوام ، وهو ان يأتي الى قبر بعض الصلحاء قائلًا : يا سيدي فلان ، ان رد غائبي ، او عوفي مريضي ، او قضيت حاجتي فلك كذا وكذا – باطل اجماعاً ، لوجوه منها : ان النذر للمخلوق لا يجوز . ومنهـــا ، ظن ان الميت يتصرف في الامر ، واعتقاد هذا كفر ... الى ان قال اذا عرف هذا ، فمـــا يؤخذ من الدراهم ، والشمع ، والزيت ونحوهما ، وينقل الى ضرائح الاولياء ، فحرام باجماع المسلمين ، وقد ابتلى الناس بهذه ، لا سيما في مولد أحمد البدوي .

فتأمل قول صاحب النهر مع انه بمصر ، ومقر العلمـاء كيف شاع بين اهل مصر ، ما لا قدرة للعلماء على دفعه . فتأمل قوله « من اكثر العوام » أتظن ان الزمان صلح بعده .

وأمـا المالكية فقـال الطرطوشي في كتاب « الحوادث والبدع » : روى البخاري عن ابي واقد الليثي قال « خرجنـــا مع رسول الله ﷺ الى حنين ، ونحن حديثو عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون حولهـا وينوطون بهـا اسلحتهم يقال لها « ذات انواط » ، فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنـا ذات انواط كما لهم ذات انواط ، فقال ، الله أكبر ، هذا كما قال بنو اسرائيل لموسى « أجعلنا لنا إلهاً كما لهم آلهة لتركبن سنن من كان قبلكم » .

فانظروا رحمكم الله ، أينما وجدتم سدرة يقصدها الناس وينوطون بها الخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها . وقال ﷺ : بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون اذا فسد الناس » . ومعنى هذا ، ان الله لما جاء بالاسلام ، فكان الرجل اذا أسلم في قبيلة غريباً مستخفاً باسلامه قد جفاه العشيرة ، فهو بينهم ذليل خائف ، ثم يعود غريباً لكثرة الاهواء المضلة والمذاهب المختلفة حتى يبقى اهل الحق غرباء في الناس ، لقلتهم وخوفهم على انفسهم . وروى البخاري عن ام الدرداء ، عن ابي الدرداء قال « والله ما اعرف فيهم من امر محمد الا انهم يصلون جميعاً » وذلك انه انكر اكثر افعال اهل عصره . وقال الزهري : دخلت على انس بن مالك بدمشق وهو يبكي ، فقلت ما يبكيك ؟ فقال : ما اعرف فيهم شيئاً مما ادركت الا هذه الصلاة . وهذه الصلاة قد ضيعت .

انتهى كلام الطرطوشي .

فليتأمل اللبيب هذه الاحاديث ، وفي أي زمان قيلت ، وفي اي مكان ، وهل انكرها احد من اهل العلم ، والفوائد فيها كثيرة ، ولكن مرادي منها ما وقع من الصحابة ، وقول الصادق الصدوق انه مثل كلام الذين اختارهم الله على العالمين لنبيهم ، اجعل لنا إلهاً : يا عجباً اذا جرى هذا من أولئك السادة ، كيف ينكر علينا ان رجلاً من المتأخرين غلط في قوله يا اكرم الخلق ، كيف تعجبون من كلامي فيه ، وتظنونه خيراً واعلم منهم .

ولكن هذه الامور لا علم لكم بها ، وتظنون ان من وصف شركاً او كفراً انه الكفر الاكبر المخرج عن الملة ، ولكن اين كلامك هذا من كتابك الذي ارسلت الي قبل ان يبتليك الله بصاحب الشام ، وتذكر وتشهد ان هذا هو الحق ، وتعتذر انك لا تقدر على الانكار .

ومرادي ان أبين لك كلام الطرطوشي وما وقع في زمانه من الشرك

بالشجر ، مع كونه في زمن القاضي ابي يعلي ، أتظن ان الزمان صلح بعده .

وأما كلام الشافعية ، فقال الامام محدث الشام ابو شامة في كتاب «الباعث على انكار البدع والحوادث » وهو في زمن الشارح وابن حمدان ، وقد وقع من جماعة من النابذين لشريعة الاسلام المنتمين الى الفقر الذي حقيقته الافتقار من الايمان ، من اعتقادهم في مشايخ لهم ضالين مضلين ، فهم داخلون تحت قوله : « ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » ، وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادىء ظهور الكفر: من عادة الاصنام وغيرها . ومن هذا القسم ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان ، والعمد ، واسراج مواضع في كل بلد ، يحكي لهم حاك ، انه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح ، فيفعلون ذلك ويظنون انهم يتقربون الى الله ، ثم يجاوزون ذلك ، الى ان يعظم وقع تلك الاماكن في قلوبهم ويرجون الشفاء لمرضاهم ، وقضاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهي بين عيون ، وشجر ، وحائط ، وحجر . وفي دمشق ، صانها الله ، من ذلك مواضع متعددة ، كعوينة الحمى ، والشجرة الملعونة خارج باب النصر ، سهل الله قطعها ، فما اشبهها بذات انواط. ثم ذكر كلاماً طويلاً ، الى ان قال : اسأل الله الكريم ، معافاته من كل ما يخالف رضاه ، ولا يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه .

فتأمل ذكره في هذا النوع ، انه نبذ لشريعة الاسلام ، وانه خروج عن الايمان . ثم ذكر انه عم الابتلاء به في الشام .

فأنت قل لصاحبكم : هؤلاء العلماء من الأئمة الاربعة ، ذكروا ان الشرك عم الابتلاء به وغيره ، وصاحوا بأهله من اقطار الارض وذكروا ان الدين عاد غريباً ، فهو بين اثنين ، اما ان يقول : كل هؤلاء العلماء جاهلون ، ضالون ، مضلون ، خارجون واما ان يدعى ان زمانه وزمان مشايخه صلح بعد ذلك .

ولا يخفاك اني عثرت على اوراق عند ابن عزاز ، فيها اجازات

له من عند مشايخه ، وشيخ مشايخه رجل يقـال له عبد الغني ، ويثنون عليه في اوراقهم ، ويسمونه العـارف بالله وهـذا اشتهر عنه ، انه على دين ابن عربي الذي قال العلمـــاء عنه انه أكفر من فرعون ، حتى قال ابن المقري الشافعي : من شك في كفر طائفة ابن عربي ، فهو كافر . فاذا كان امام دين ابن عربي والداعي اليه، هو شيخهم ويثنون عليه انه العارف بالله ، فكيف يكون الامر؟ ولكن اعظم من هذا كله ، ما تقدم من أبي الدرداء ، وانس ، وهما بالشام ، ذلك الكلام العظيم ، واحتـج به اهل العـلم على ان زمانهم اعظم ، فكيف بزماننا . وقال ابن القيم رحمه الله ، في « الهدي النبوي » في الكلام على حديث وفد الطائف، لما اسلموا وسألوا النبي ﷺ ، ان يترك لهم اللات لا يهدمها سنة ، ولما تكلم ابن القيم على المسائل المأخوذة من القصة ، قال : ومنهـا انه لا يجوز ابقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وابطالهـا يوماً واحداً ، فانها شعائر الشرك والكفر ، وهي أعظم المنكرات ، فلا يجوز الاقرار عليهـا مع القدرة البتة . وهـذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخـذت اوثاناً تعبد من دون الله . والاحجـــار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل ، لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ، بل اعظم شركاً عندهم وبها ، والله المستعان .

ولم يكن احد من ارباب هذه الطواغيت ، يعتقد انها تخلق وترزق ، وانما كانوا يفعلون عندها وبها ، ما يفعله اخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم فاتبع هؤلاء سنن من قبلهم ، وسلكوا سبيلهم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة ، وغلب الشرك على اكثر النفوس ، لغلبة الجهل وخفاء العلم ، وصار المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة ، والبدعة سنة ، ونشأ في ذلك الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وطمست الاعلام ،

واشتدت غربة الاسلام ، وقل العلماء ، وغلب السفهاء ، وتفاقم الامر ، واشتد اليأس ، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس .

انتهى كلامه .

وقال ايضاً في الكلام على هذه القصة : لما ذكر ان النبي ﷺ ، اخذ مال اللات وصرفه في المصالح ، ومنهـا جواز صرف الامام الاموال التي تصير الى هذه الطواغيت في الجهاد ، ومصالح المسلمين ، فيجب عليه ان يأخذ اموال هذه الطواغيت التي تساق اليها ، ويصرفها على الجند والمقـاتلة ، ومصالح الاسلام ، كما اخذ النبي ﷺ ، اموال اللات ، وكذا الحكم في وقفهـا ، والوقف عليهـا باطل ، وهو مال ضائع ، فيصرف في مصالح المسلمين ، فان الوقف لا يصح الا في قربة وطاعة لله ورسوله . فلا يصح على مشهد ، ولا قبر يسرج عليه ويعظم وينذر له ، ويعبد من دون الله . وهذا ممـــا لا يخالف فيه احد من أئمة الدين ومن اتبع سبيلهم .

انتهى كلامه .

فتأمل كلام هذا الرجل الذي هو من اهل العـلم ، وهو ايضاً من الشام ، كيف صرح انه ظهر في زمانه فيمن يدعي الاسلام في الشام وغيره ، عبادة القبور والمشاهد والاشجار – التي هي اعظم من عبـادة اللات والعزى ، أو مثله ، وان ذلك ظهر ظهوراً عظيمـــاً حتى غلب الشرك على اكثر النفوس ، وحتى صار الاسلام غريباً بل اشتدت غربته . أين هذا من قول صاحبكم لأهل «الوشم» في كتابه ، لمـا ذكروا له ان في بلدانـكم شيئاً من الشرك ، يأبى الله ان يكون ذلك في المسلمين . وكلام هؤلاء الأئمـة من اهل المذاهب الاربعة اعظم واطم مما قال ابن عيدان وصاحبه في اهل زمانهما . أفترى هؤلاء العلمـاء أتوا فرية عظيمة ومقالة جسيمة .

فهذا ما يسر الله نقله من كلام اهل العلم على سبيل العجلة ، فأنت تأمله جيداً، واجعل تأملك لله، مستعيذاً بالله من اتباع الهوى، ولا تفعل فعلك اولاً، لما ذكرت الك انك تتأمل كلامي وكلامه ، فان كان كلامي صحيحاً لا مجازفة فيه ، وان شاميكم لا يعرف معنى لا إله إلا الله، ولا يعرف عقيدة الامام احمد وعقيدة الذين ضربوه، فاعرف قدره فهو بغيره اجهل، واعرف ان الامر جليل فان كان كلامي باطلاً، ونسبت رجلاً من اهل العلم الى هذه الامور العظيمة بالكذب والبهتان ، فالأمر ايضاً عظيم – فأعرضت عن ذلك كله ، وكتبت الي كتاباً في شيء آخر . فان كان مرادك اتباع الهوى ، اعاذنا الله منه ، وانك مع ولد المويس كيف كان ، فاترك الجواب ، فان بعض النـاس يذكرون عنك انك صائر معه لأجل شيء من امور الدنيا ، وان كنت مع الحق فلا اعذرك من تأمل كلامي هذا ، وكلامي الاول ، وتعرضها على كلام اهل العلم ، وتحررها تحريراً جيداً . ثم تتكلم بالحق .

اذا تقرر هذا ، فخمس المسائل التي قدمت جوابها في كلام العلماء ، واضيف اليهـا مسألة سادسة ، وهي افتائي بكفر شمسان واولاده ومن شابههم وسميتهم طواغيت ، ذلك انهم يدعون الناس الى عبادتهم من دون الله ، عبادة اعظم من عبادة اللات والعزى ، باضعاف ، وليس في كلامي مجازفة ، بل هو الحق ، لأن عباد اللات والعزى، يعبدونها في الرخاء ، ويخلصون لله في الشدة ، وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم اياهم في شدائد البر والبحر .

فان كان الله اوقع في قلبك معرفة الحق، والانقياد له ، والكفر بالطاغوت، والتبرؤ ممن خالف هذه الاصول ، ولو كان اباك او أخـاك ، فاكتب الي وبشرني ، لأن هذا ليس مثل الخطأ في الفروع ، بل ليس الجهل بهذا – فضلاً عن انكاره مثل الزنا والسرقة ، بل والله ثم والله، ان الامر اعظم ، وان وقع في قلبك اشكال ، فاضرع الى مقلب القلوب ، ان يهديك لدينه ودين نبيه .

وأما بقية المسائل ، فالجواب عنها ممكن اذا خلصنا من شهادة ان لا إله إلا الله ، وبيننا وبينكم فيها كلام اهل العلم ، لكن العجب من قولك انا هادم قبور الصحابة ، وعبارة « الاقناع » في الجنائز : يجب هدم القباب التي على القبور لأنها أسست على معصية الرسول . والنبي ﷺ ، صح عنه انه بعث علياً ليهدم القبور . ومثل صاحب كتابكم لو كتب لكم : ان ابن عبد الوهاب ابتدع لأنه انكر على رجل تزوج اخته ، فالعجب كيف راج عليكم كلامه فيه .

وأما قولي : ان الاله الذي فيه السر ، فمعلوم ان اللغات تختلف : فالمعبود عند العرب ، والاله الذي يسمونه عوامنا « السيد » و « الشيخ » و « الذي فيه السر » ، والعرب الاولون يسمون الالوهية ما يسميها عوامنا « السر » لأن السر عندهم ، هو القدرة على النفع والضر ، وكونه يصلح ان يدعى ويرجى ويتوكل عليه ، فاذا قال رسول الله ﷺ «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وسأل بعض العامة ما فاتحة الكتاب ، ما فسرت له الا بلغة بلده ، فتارة تقول له هي فاتحة الكتاب ، وتارة تقول هي ام القرآن ، وتارة تقول هي الحمد . وأشباه هذه العبارات التي معناها واحد . ولكن ان كان «السر» في لغة عوامنا ليس هذا ، وان هذا ليس هو الإله في كلام اهل العلم ، فهذا وجه الانكار فبينوا لنا .

وأما قول ابن سحيم في اول الرسالة : انه عمد الى شهداء اصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة: زيد بن الخطاب واصحابه ، وهدم قبورهم وبعثرها لأجل انهم في حجارة ولا يقدرون ان يحفروا لهم ، فطووا على اضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع ، والدافن لهم خالد بن الوليد واصحاب رسول الله ﷺ ، وعمد ايضاً الى مسجد في ذلك المكان وهدمه .. الى آخره . فهذا الكلام ذكر فيه ما هو حق وصدق ، وذكر فيه ما هو كذب وزور وبهتان .

فالذي جرى من الشيخ رحمه الله وأتباعه، انه هدم البناء الذي على القبور،

والمسجد المجعول في المقبرة على القبر الذي يزعمون انه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك كذب ظاهر ، فان قبر زيد رضي الله عنه ، ومن معه من الشهداء ، لا يعرف اين موضعه ، بل المعروف ان الشهداء من اصحاب رسول الله ﷺ ، قتلوا في ايام مسيلمة في هذا الوادي ، ولا يعرف اين موضع قبورهم من قبور غيرهم ، ولا يعرف قبر زيد من قبر غيره وانما كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس هذا قبر زيد ، فافتتنوا به وصاروا يأتون اليه من جميع البلاد بالزيارة ويجتمع عنده جمع كثير ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات. فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذي على قبره وذلك المسجد المبنى على المقبرة، اتباعاً لما امر الله به ورسوله من تسوية القبور ، والنهي الغليظ الشديد في بناء المساجد عليها ، كما يعرف ذلك من له ادنى ملكة من المعرفة والعلم .

وقوله « وبعثرها لأجل انهم في حجارة ولا يقدرون ان يحفروا لهم فطووا على اضرحتهم قدر ذراع ، ليمنعوا الرائحة والسباع » فكل هذا كذب وزور وتشنيع على الشيخ عند الناس بالباطل والفجور. وكلامه هذا تكذبه المشاهدة فان الموضع الذي فيه تلك القبور ، موضع سهل لين للحفر ، وأهل العيينة ، والجبيلة وغيرهما من بلدان العارض ، يدفنون موتاهم في تلك المقبرة شمالاً وجنوبا ولكن هذا العدو وأشباهه ، يرمون هذا الشيخ بالامور الفظيعة والاهوال الهائلة الشنيعة ، لكي ينفر السامعون لذلك عن الدخول في دين الله . وليس ذلك ببدع من الشيطان وحزبه .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

- ١٠ -

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب ، الى الأخ محمد بن عباد وفقه الله لما يحبه ويرضاه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، وصلنا اوراق في التوحيد ، فيها كلام من احسن الكلام ، وفقك الله للصواب . وتذكر فيه ان ودك نبين لك ان كان فيها شيء غاترك (أي غامض) ، فاعلم ارشدك الله ، ان فيها مسائل غلط :

الاولى - قولك : اول واجب على كل ذكر وأنثى ، النظر في الوجود ثم معرفة العقيدة ، ثم علم التوحيد . وهذا خطأ ، وهو من علم الكلام الذي اجمع السلف على ذمه ، وانما الذي أتت به الرسل : اول واجب هو التوحيد ، ليس النظر في الوجود ولا معرفة العقيدة ، كما ذكرته انت في الاوراق . ان كل نبي يقول لقومه : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .

الثانية - قولك في الايمان بالله وملائكته ، الى آخره : والايمان هو التصديق الجازم بما اتى به الرسول » : فليس كذلك . وابو طالب عمه جازم بصدقه ، والذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . والذين يقولون الايمان هو التصديق الجازم ، هم الجهمية . وقد اشتد نكير السلف عليهم في هذه المسألة .

الثالثة : قولك : اذا قيل للعامي ونحوه ، ما الدليل على ان الله ربك ، ثم ذكرت ما الدليل ، على اختصاص العبادة بالله وذكرت الدليل على توحيد الألوهية ، فاعلم ان الربوبية والألوهية ، يجتمعان ويفترقان ، كما في قوله « اعوذ

برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس » وكما يقال رب العالمين ، وإله المرسلين ، وعند الافراد يجتمعان كما في قول القائل : من ربك ؟ مثاله : الفقير والمسكين نوعان في قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، ونوع واحد في قوله : « افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد الى فقرائهم » ، اذا ثبت هذا فقول الملكين الرجل في القبر من ربك معناه من إلهك ، لأن الربوبية التي اقر بها المشركون ما يمتحن أحد بها . وكذلك قوله : « الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » . وقوله « قل اغير الله ابغي رباً » . وقوله : «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا» ، فالربوبية في هذا هي الألوهية، ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة عند الاقتران ، فينبغي التفطن لهذه المسألة .

الرابعة — قولك في الدليل على إثبات نبوة محمد ﷺ ودليله الكتاب والسنة . ثم ذكرت الآيات . كلام من لم يفهم المسألة . لأن المنكر للنبوة او الشاك فيها ، اذا استدللت عليه بالكتاب والسنة يقول : « كيف تستدل على شيء ما أتى به الا هو . والصواب ان المسألة ، ان تستدل عليه بالتحدي بأقصر سورة من القرآن أو شهادة علماء اهل الكتاب ، كما في قوله « أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل » ، ولكونهم يعرفونه قبل ان يخرج ، كما في قوله تعالى « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » الآية . الى غير ذلك من الآيات التي تفوت الحصر وتقطع الخصم .

الخامسة — قولك : اعلم يا اخي ، لا علمت مكروهاً . فاعلم ان هذه كلمة تضاد التوحيد ، وذلك ان التوحيد لا يعرفه الا من عرف الجاهلية ، والجاهلية هي المكروه ، فمن لم يعلم المكروه ، لم يعلم الحق . فمعنى هذه الكلمة ، اعلم لا علمت خيراً ، ومن لم يعلم المكروه ليجتنبه ، لم يعلم المحبوب ، وبالجملة فهي كلمة عامية ، جاهلية ، ولا ينبغي لأهل العلم ان يقتدوا بالجهال .

السادسة — جزمك بأن النبي ﷺ ، قال : « اطلبوا العلم ولو في الصين »

فلا ينبغي أن يجزم الانسان على رسول الله ﷺ ، بما لا يعلم صحته ، وهو من القول بلا علم . فلو انك قلت: وروى ، او ذكر فلان ، او ذكر في الكتاب الفلاني – لكان هذا مناسباً . وأما الجزم بالأحاديث التي لم تصح ، فلا يجوز . فتفطن لهذه المسألة ، فما أكثر من يقع فيها .

السابعة – قولك في سؤال الملكين : والكعبة قبلتي وكذا وكذا . فالذي علمناه عن رسول الله ﷺ ، انهما يسألان عن ثلاث : عن التوحيد ، وعن الدين ، وعن محمد ﷺ . فان كان في هذا عندكم رابعة ، فأفيدونا . ولا يجوز الزيادة على ما قاله الله ورسوله .

الثامنة – قولك في الايمان والقدر : ان الايمان بالله لا يكون صغير ولا كبير الا بمشيئة الله وارادته ، وان يفعل المأمورات ويترك المنهيات . وهذا غلط ، لأن الله سبحانه ، له الخلق والامر ، والمشيئة ، والارادة ، وله الشرع والدين . فاذا ثبت هذا ، ففعل المأمورات ، وترك المنهيات ، هو الايمان بالامر وهو الايمان بالشرع والدين ، ولا يذكر في حد الايمان بالقدر .

التاسعة – قولك : الآيات التي في الاحتجاج بالقدر ، كقوله تعالى « وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء » الآية . ثم قلت ، فاياك والاقتداء بالمشركين في الاحتجاج على الله . وحسيب من القدر الايمان به . فالذي ذكرنا في تفسير هذه الآيات ، غير المعنى الذي اردت . فراجعه وتأمل بقلبك ، فان اتضح لك ، والا فراجعني فيه لأنه كلام طويل .

العاشرة – وأخرناها لشدة الحاجة اليها قولك : ان المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ، قد أقروا بتوحيد الربوبية ، ثم أوردت الادلة الواضحة على ذلك ، وانما قاتلهم رسول الله ﷺ عند توحيد الالوهية . ولم يدخل الرجل في الاسلام بتوحيد الربوبية ، الا اذا انضم اليه توحيد الالوهية ، فهذا كلام من احسن الكلام وأبينه تفصيلاً ، ولكن في العام (أي في العام الماضي) لما وجهنا

ابراهيم ، كتبوا له علماء «سدير» مكاتبة ، وبعثها لنـا ، وهي عندنا الآن . ولم يذكروا فيهـــا الا توحيـد الربوبية . فاذا كنت تعرف هذا ، فلأي شيء ما اخبرت ابراهيم ونصحته ان هؤلاء مـــا عرفوا التوحيد ، وانهم منكرون دين الاسلام . وكذلك احمد بن يحيي ، راعى « رغبة » عدواته لتوحيـد الالوهية والاستهزاء بأهل «العارض» لما عرفوه ، وان كان يقر به احياناً، عداوة ظاهرة لا يمكن انها لا تبلغك. وكذلك ابن اسماعيل ، انه نقض ما ابرمت في التوحيد وتعرف ان عنده الكتاب الذي صنفه رجل من اهل البصرة ، كله من اوله الى آخره ، في انكار توحيـــد الالوهية ، وأتاكم به ولد محمد بن سليمان راعي « وثيثية » وقرأه عندكم ، وجادل به جماعتنـــا . وهذا الكتاب مشهور عند « المويس » وأتباعه مثل ابن سحيم ، وابن عبيد ، يحتجون به علينا ، ويدعون الناس اليه ، ويقولون هذا كلام العلماء .

فاذا كنت تعرف ان النبي ﷺ ، ما قاتل الناس الا عند توحيد الالوهية ، وتعلم ان هؤلاء قاموا وقعدوا ، ودخلوا وخرجوا ، وجـاهدوا ليلًا ونهاراً في صد الناس عن التوحيد ، يقرأون عليهم مصنفـات اهل الشرك ، لأي شيء لم نظهر عداوتهم وانهم كفار مرتدون ؟ فان كان باين لك ان أحداً من العلماء لا يكفر من انكر التوحيد ، او انه يشك في كفره ، فاذكره لنـــا وأفدنا . وان كنت تزعم ان هؤلاء فرحوا بهذا الدين وأحبوه ، ودعوا النـاس اليه ، ولما أتاهم تصنيف اهل البصرة في انكار التوحيد، كفروه وكفروا من عمل به. وكذلك لما أتاهم كتاب ابن عفالق الذي ارسله «المويس» لابن اسماعيل ، وقدم به عليكم العـام ، وقرأه على جماعتكم ، يزعم فيه ان التوحيد دين ابن تيمية ، وانه لما أفتى به كفره العلماء ، وقامت عليه القيامة ، ان كنت تقول ما جرى من هذا شيء ، فهذه مكابرة ، وان كنت تعرف ان هـذا هو الكفر الصراح والردة الواضحة . ولكن تقول اخشى النـاس ، فالله أحق ان نخشاه .

ولا تظن ان كلامي هذا معاتبة وكلام عليك ، فوالله الذي لا إله إلا هو

انه نصيحة ، لأن كثيراً ممن واجهناه وقرأ علينا ، يعلم هذا ويعرفه بلسانه ، فاذا وقعت المسألة لا يعرفها ، بل اذا قال له بعض المشركين ، نحن نعرف ان رسول الله ، لا يملك لنفسه نفعاً ، ولا ضراً ، وان النافع الضار هو الله ، يقول : جزاك الله خيراً . ويظن ان هذا هو التوحيد . ونحن نعلمه اكثر من سنة ان هذا توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون . فالله الله في التفطن لهذه المسألة ، فانها الفارقة بين الكفر والاسلام . ولو ان رجلاً قال شروط الصلاة تسعة ، ثم سردها كلها ، فاذا رأى رجلاً يصلي عرياناً بلا حاجة ، أو على غير وضوء ، او لغير القبلة ، لم يدر ان صلاته فاسدة . لم يكن قد عرف الشروط ولو سردها بلسانه ، ولو قال الاركان اربعة عشر ، ثم سردها كلها ، ثم رأى من لا يقرأ الفاتحة ، ومن لا يركع ، ومن لا يجلس للتشهد ولم يفطن أن صلاته باطلة ، لم يكن قد عرف الاركان ولو سردها . فالله الله في التفطن لهذه المسألة. ولكن اشير عليك بعزيمة انك تواصلنا ونتذاكر معك . وكذلك ايضاً من جهة البدع ، قيل لي انك تقول فيها شيئاً ، ما يقوله الذي هو عارف مسألة البدع .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

- ١١ -

بشأن اجازة الوقف

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه كلمات جواب عن الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجنف والاثم . ونحن نذكر قبل ذلك صورة المسألة ، ثم نتكلم على الادلة :

وذلك ان السلف اختلفوا في الوقف الذي يراد به وجه الله على غير من يرثه ، مثل : الوقف على الايتام ، وصوام رمضان ، او المساكين ، أو أبناء السبيل .

فقال شريح القاضي وأهل الكوفة : لا يصح ذلك الوقف ، حكاه عنهم الامام أحمد .

وقال جمهور أهل العلم: هذا وقف صحيح ، واحتجوا بحجج صحيحة صريحة ترد قول أهل الكوفة .

فهذه الحجج التي ذكرها أهل العلم يحتجون بها على علماء أهل الكوفة ، مثل قوله : « صدقة جارية » ومثل وقف عمر ، وأوقاف أهل المقدرة من الصحابة على جهات البر التي أمر الله بها ورسوله — ليس فيها تغيير لحدود الله .

وأما مسألتنا فهي : اذا اراد الانسان ان يقسم ماله على هواه ، وفر من قسمة الله ، وتمرد عن دين الله مثل ان يريد أن امرأته لا ترث من هذا النخل ولا تأكل منه الا حياة عينها ، أو يريد أن يزيد بعض اولاده على بعض فراراً من وصية الله بالعدل ، أو يريد أن يحرم نسل البنات ، أو يريد ان يحرّم على ورثته بيع هذا العقار لئلا يفتقروا بعده، ويفتي له بعض المفتين، ان هذه البدعة الملعونة صدقة برٍ تقرب الى الله ، ويوقف على هذا الوجه قاصداً وجه الله .

فهذه مسألتنا :

فتأمل هذا بشراشر قلبك ، ثم تأمل ما نذكره من الأدلة فنقول: من اعظم المنكرات وأكبر الكبائر ، تغيير شرع الله ودينه ، والتحيل على ذلك بالتقرب اليه ، وذلك مثل أوقافنا هذه اذا أراد ان يحرم من اعطاه الله ، من : امرأةٍ ، او امرأة ابنٍ ، او نسل بناتٍ ، او غير ذلك ، او بعض من حرمه الله ، او يزيد أحداً عما فرض الله ، او ينقصه من ذلك ، ويريد التقرب الى الله بذلك — مع كونه مبتعداً عن الله .

فالأدلة على بطلان هذا الوقف، وعوده طلقاً، وقسمه على قسم الله ورسوله – اكثر من ان تحصر .

ولكن من أوضحها، دليل واحد، وهو ان يقال لمدعي الصحة: اذا كنت تدعي ان هذا مما يحب الله ورسوله وفعله أفضل من تركه، وهو داخل فيما حض عليه النبي ﷺ من الصدقة الجارية، وغير ذلك فمعلوم ان الانسان مجبول على حبه لولده، وايثاره على غيره، حتى اصحاب رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: «إنما اموالكم وأولادكم فتنة» فاذا شرع الله لهم ان يوقفوا اموالهم على أولادهم، ويزيدوا من شاؤا، أو يحرموا النساء والعصبة ونسل البنات، فلأي شيء لم يفعل ذلك أصحاب رسول الله ﷺ ؟ ولأي شيء لم يفعله التابعون ؟ ولأي شيء لم يفعله الأئمة الاربعة وغيرهم ؟ أتراهم رغبوا عن الاعمال الصالحة، ولم يحبوا اولادهم، وآثروا البعيد عليهم وعلى العمل الصالح، ورغب في ذلك اهل القرن الثاني عشر ؟ أم تراهم خفي عليهم حكم هذه المسألة، ولم يعلموها حتى ظهر هؤلاء فعلموها ؟ سبحان الله ما اعظم شأنه، وأعز سلطانه!

فان ادعى احد ان الصحابة فعلوا هذا الوقف فهذا عين الكذب والبهتان والدليل على هذا ان هذا الذي تتبع الكتب، وحرص على الادلة لم يجد إلا ما ذكره، ونحن نتكلم على ما ذكره :

فأما حديث ابي هريرة الذي فيه «صدقة جارية» فهذا حق، وأهل العلم استدلوا به على من أنكر الوقف على اليتيم وابن السبيل والمساجد، ونحن أنكرنا على من غير حدود الله، وتقرب بما لم يشرعه، ولو فهم اصحابه واهل العلم هذا الوقف من هذا الحديث لبادروا اليه .

وأما حديث عمر : انه تصدق بالارض على الفقراء، والرقاب، والضيف، وذوي القربى، وأبناء السبيل – فهذا بعينه من أبين الأدلة على مسألتنا. وذلك ان من احتج على الوقف على الاولاد ليس له حجة إلا هذا الحديث، لأن عمر قال : لا جناح على من وليه ان يأكل بالمعروف، وان حفصة وليته، ثم وليه

عبدالله بن عمر . فاحتجوا بأكل حفصة وأخيها دون بقية الورثة . وهذه الحجة من أبطل الحجج ، وقد بينه الشيخ الموفق رحمه الله والشارح ، وذكرا ان أكل الوليّ ليس زيادة على غيره ، وإنما ذلك أجرة عمله ، كما كان في زماننا هذا يقول صاحب الضحية : لوليها الجلد والاكارع .

ففي هذا دليل من جهتين :

الاول : ان من وقف من الصحابة – من عمر وغيره – لم يوقفوا على ورثتهم ، ولو كان خيراً لبادروا اليه . وهذا المصحح لم يصحح بقوله : « ثم أدناك أدناك » . فاذا كان وقف عمر على اولاده أفضل – من الفقراء وأبناء السبيل ، فما باله لم يوقف عليهم ؟ أتظنه اختار المفضول وترك الفاضل ؟ أم تظن انه – هو ورسول الله ﷺ الذي أمره – لم يفهما حكم الله ؟

الثاني : ان من احتج على صحة الوقف على الاولاد وتفضيل البعض – لم يحتج إلا بقوله : تليه حفصة ثم ذوو الرأي ، وانه يأكل بالمعروف . وقد بينا معنى ذلك ، وانه لم يبدأ أحداً وانما جعل ذلك للولي عن تعبه في ذلك .

فاذا كان المستدل لم يجد على الصحة إلا هذا ، تبين لك ان قولهم : تصدق ابو بكر بداره على ولده ، وتصدق فلان وفلان ، وان الزبير خص بعض بناته – ليس معناه كما فهموا ، وإنما معناه انهم تصدقوا بما ذكر صدقةً عامةً على المحتاجين ، فكان اولاده – اذا قدموا البلد ، نزلوا تلك الدار لأنهم من أبناء السبيل ، كما يوقف الانسان مسقاةً ويتوضأ فيها وينتفع بها هو وأولاده مع الناس ، وكما يوقف مسجداً ويصلي فيه .

وعبارة البخاري في صحيحه : « وتصدق أنسٌ بدارٍ ، فكان اذا قدم نزلها ، وتصدق الزبير بدوره ، واشترط للمردودة من بناته ان تسكنها » . فتأمل عبارة البخاري ، يتبين لك ان ما ذكر عن الصحابة ، مثل : من وقف نخلًا على المفطرين من الفقراء في هذا المسجد . ويقول: ان افتقر احد من ذريتي فليفطر معهم . فأين هذا من وقف الجنف والاثم ؟

على ان هذه العبارة كلام الحميدي ، والحميدي في زمن القاضي ابي يعلى ، واجمع اهل العلم ان مراسيل المتأخرين لا يجوز الاحتجاج بها ، فمن احتج بها فقد خالف الاجماع ، هذا لو فرضنا انه يدل على ذلك ، فكيف وقد بينا معناه ولله الحمد .

واذا تبين لك ان من أجاز الوقف على الاولاد والتفضيل ، لم يجد إلا حديث عمر، وقوله: ليس على من وليه جناح ، وان الموفق وغيره ردوا على من احتج به – يتبين لك ان حديث عمر من أبين الأدلة على بطلان الوقف الجنف والاثم .

وأما قوله : لم يكن من اصحاب رسول الله ﷺ ذو مقدرة إلا وقف ، فهل هذا يدل على صحة وقف الجنف والاثم ؟ وما مثله إلا كمن رأى رجلا يصلي في اوقات النهي فانكر عليه ، فقال: «أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلى»، ويقول : ان اصحاب رسول الله ﷺ يصلون ، او يذكر فضل الصلاة !

وكذلك مسألتنا اذا قلنا : « يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » ، و « لهن الربع مما تركتم» ، وغير ذلك. او قلنا : « ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » ، أو قلنا : « ان النبي ﷺ غلظ القول فيمن تصدق بماله كله » ، او قلنا : « اتقوا الله واعدلوا بين اولادكم » – ادعوا علينا ان الصحابة وقفوا . هل انكرنا الوقف كأهل الكوفة حتى يُحتج علينا بذلك ؟

وأما قول احمد : من رد الوقف فكأنما رد السنّة ؛ فهذا حق ، ومراده وقف رسول الله ﷺ واصحابه ، كما ذكره احمد في كلامه . وأما وقف الاثم والجنف ، فمن رده فقد عمل بالسنة ، ورد البدعة ، واتبع القرآن .

وأما قوله : ان في صدقة رسول الله ﷺ ان يأكل بالمعروف ، وان زيداً وعمراً سكنا داريهما اللتين وقفا ؛ فيا سبحان الله من أنكر هذا ؟ وهذا كمن وقف مسجداً وصلى فيه وذريته ، او وقف مسقاة واستسقى منها وذريته .

وقول الخرقي : والظاهر انه عن شرط ، فكذلك ؛ وهذا شرط صحيح ، وعمل صحيح ، كمن وقف داره على المسجد ، او ابناء السبيل ، واستثنى سكناها مدة حياته . وكل هذا يردون به على اهل الكوفة ، فان هذا ليس من وقف الجنف والاثم .

وأما قوله : « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول » ، وقوله « صدقتك على رحمك صدقة وصلة » ، وقوله « ثم ادناك ادناك » وأشباه ذلك - فكل هذا صحيح لا اشكال فيه ، لكن لا يدل على تغيير حدود الله.

فاذا قال : « يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » ووقف الانسان على اولاده ، ثم اخرج نسل الاناث محتجاً بقوله : « ثم ادناك ادناك » او صلة الرحم - فمثله كمثل رجل اذا اراد ان يتزوج خالةً او عمةً فقيرةً ، فتزوجها يريد الصلة ، واحتج بتلك الاحاديث .

فان قال : ان الله حرم نكاح الخالات والعمات ؛ قلنا : وحرم تعدي حدود الله التي في سورة النساء ، قال: «ومن يعص الله ورسوله ويتعدى حدوده يدخله ناراً خالداً فيها » .

فاذا قال : الوقف ليس من هذا ؛ قلنا : هذا مثل لقوله : « من تزوج خالته اذا تزوجها لفقرها - ليس من هذا » ؛ فاذا كان عندكم بين المسألتين فرق فبينوه .

وأما قول عمر : « ان حدث بي حادث فان ثمغ صدقة » ؛ هذا يستدلون به على تعليق الوقف بالشرط ، وبعض العلماء يبطله ، فاستدلوا به على صحته .

وأما القول بأن عمر وقفه على الورثة ، فيا سبحان الله ، كيف يكابرون النصوص ووقف عمر وشرطه ومصارفه في ثمغ وغيرها معروفة مشهورة ؟

وأما قول عمر : « الا سهمي الذي بخيبر أردت ان اتصدق بها » ، فهذا دليل على اهل الكوفة كما قدمناه . فأين في هذا دليل على صحة هذا الوقف

الملعون الذي بطلانه اظهر من بطلان اصحاب .... بكثير ؟ وأما وقف حفصة الحلى على آل الخطاب ، فيا سبحان الله ، هل وقفت على ورثتها ، او حرمت أحداً اعطاه الله ، او اعطت احداً حرمه الله ، او استثنت غلته مدة حياتها ؟ فاذا وقف محمد بن سعود نخلاً على الضعيف من آل مقرن ، او مثل ذلك ، هل انكرنا هذا ؟ وهذا وقف حفصة ، فأين هذا مما نحن فيه ؟

وأما قولهم : ان عمر وقف على ورثته ؛ فان كان المراد ولاية الوقف فهو صحيح ، وليس مما نحن فيه ، وان كان مراد القائل انه ظن انه وقف يدل على صحة ما نحن فيه ، فهذا كذب ظاهر ، ترده النقول الصحيحة في صفة وقف عمر .

وأما كون صفية وقفت على اخ «يهودي» فهو لا يرثها ، ولا ننكر ذلك.

وأما كلام الحميدي فتقدم الكلام عنه .

ومن المسألة : انك تفهم ان اهل الكوفة يبطلون الوقف على المساجد ، وعلى الفقراء ، والقرابات الذين لا يرثونهم ؛ فرد عليهم اهل العلم بتلك الادلة الصحيحة .

ومسألتنا هي ابطال هذا الوقف الذي يغير حدود الله ، وايتاء حكم الجاهلية وكل هذا ظاهر لا خفاء فيه ، ولكن اذا كان الذي كتبه يفهم معناه ، واراد به التلبيس على الجهال ، كما فعل غيره ، فالتلبيس يضمحل . وان كان هذا قدر فهمه وانه ما فهم هذا الذي تعرفه العوام فالخلق والخليقة على الله .

وأما ختمه الكلام بقوله : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا» ، فيا لها من كلمة ما أجمعها ، ووالله ان مسألتنا هذه من انكارها! وقد أتانا رسول الله ﷺ بلزوم حدود الله ، والعدل بين الاولاد ، ونهانا عن تغيير حدود الله ، والتحيل على محارم الله .

واذا قدرنا ان مراد صاحب هذا الوقف وجه الله لأجل من افتاه بذلك ، فقد نهانا رسول الله ﷺ عن البدع في دين الله ولو صحت نية فاعلها ، فقال :

« من أحدث في امرنا هذا مـــا ليس منه فهو رد » وفي لفظٍ « من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد » وهذا نص الذي قال الله فيه : « وما آتاكم الرسول فخذوه ومـا نهاكم عنه فانتهوا » ، وقال : « وان تطيعوه تهتدوا » ، وقال : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » . فمن قبل ما آتاه الرسول ، وانتهى عما نهى ، وأطاعه ليهتدي واتبعه ليكون محبوباً عند الله - فليوقف كما اوقف رسول الله ﷺ وكما وقف عمر رضي الله عنه ، وكما وقفت حفصة وغيرهم من الصحابة وأهل العلم .

وأما الوقف المحدث الملعون المغير لحدود الله ، فهذا الذي قال الله فيه ، بعد ما حد المواريث والحقوق للأولاد والزوجات وغيرهم : « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » .

وقد علمتم ما قال الرسول فيمن اعتق ستة من العبيد ، وما رد وأبطل من ذلك ، فهو شبيه بمن اوقف ماله كله خالصاً لوجه الله على مسجد ، او صوام ، او غير ذلك ؛ فكيف بما هو اعظم وأطم من هذه الاوقاف ؟

وأما قوله تعالى : « يا أيهـا الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » فوالله الذي لا إله إلا هو ان فعل الخير اتباع ما شرع الله ، وتبطيل من غير حـدود الله والانكار على من ابتدع في دين الله . هذا هو فعل الخير المعلق به الفلاح، خصوصاً مع قوله ﷺ : « وإياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة » وقوله لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود ، فتستحلوا محـارم الله بأدنى الحيـَـل » ، وقوله : « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وأكلوا ثمنها » .

فليتأمل اللبيب الخـالي عن التعصب والهوى ، الذي يعرف ان وراءه جنـة وناراً ، الذي يعلم ان الله يطلع على خفيات الضمير - هذه النصوص ، ويفهمها

فهماً جيداً ، ثم ينزلهـــا على مسألة وقف الجنف والاثم ، فيتبين له الحق ان شاء الله .

وصلى الله على محمد وآله وسلم .

- ١٢ -

رسالة ثانية الى سليمان بن سحيم

وارسل اليه هذه الرسالة بعدما تبين انه معاند للحق والايمان :

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي يعلم به سليمان بن سحيم انك زعجت قرطاسة فيها عجائب ، فان كان هذا قدر فهمك ، فهذا من افسد الافهام ، وان كنت تلبس به على الجهال فما أنت برابح . وقبل الجواب نذكر لك انك أنت وأباك مصرحون بالكفر والشرك والنفاق ، ولكن صائر لكم عند خمامة في معكال قصاصيب وأشباهم ، يعتقدون انكم علماء ، ونداريكم وودنا ان الله يهديكم ويهديهم .

وانت الى الآن أنت وأبوك لا تفهمون شهادة ان لا إله إلا الله . انا اشهد بهذا شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة : انك لا تعرفها الى الآن ، ولا أبوك . ونكشف لك هذا كشفاً بيناً ، لعلك تتوب الى الله وتدخل في دين الاسلام ان هداك الله ، وإلا تبين لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر حالكما ، والصلاة وراءكما ، وقبول شهادتكما ، وحظكما ، ووجوب عدوانكما ، كما قال تعالى : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » .

واكشف ذلك بوجوه :

الأول : انكم تقرون ان الذي يأتيكم من عندنا هو الحق . وأنت تشهد به ليلاً ونهاراً ، وان جحدت هذا شهد عليك الرجل والنساء ، ثم مع هذه الشهادة

أن هذا دين الله ، وأنت وأبوك مجتهدان في عداوة هذا الدين ليـــلاً ونهاراً ، ومن اطاعكما ، وتبهتون ، وترمون المؤمنين بالبهتـان العظيم ، وتصورون على الناس الاكاذيب الكبار ! فكيف تشهد أن هذا دين الله ، ثم تتبين في عدواة من تبعه ؟

الوجه الثـــاني : انك تقول : إني أعرف التوحيـد ، وتقر ان من جعل الصالحين وسائط فهو كافر ، والناس يشهدون عليك انك تروح للمولد ، وتقرأه لهم ، وتحضرهم وهم ينخون ويندبون مشائخهم ، ويطلبون منهم الغوث والمدد وتأكل اللقم من الطعام المعد لذلك . فاذا كنت تعرف ان هذا كفر فكيف تروح لهم وتعاونهم عليه وتحضر كفرهم ؟

الوجه الثالث : ان تعليقهم التمائم من الشرك بنص رسول الله ﷺ ، وقد ذكر تعليق التمائم صاحب «الاقناع» في اول «الجنائز» .

وأنت تكتب الحجب ، وتأخذ عليها شرطاً ، حتى انك كتبت لامرأة حجاباً لعلهـــا تحبل ، وشرطت الك أحمرين وطالبتها تريد الاحمرين ، فكيف تقول: إني أعرف التوحيد ، وأنت تفعل هذه الافاعيل ؟ وان أنكرت فالناس يشهدون عليك بهذا .

الوجه الرابع : انك تكتب في حجبك طلاسم وقد ذكر في «الاقناع» انها من السحر ، والسحر يكفر صاحبه ؛ فكيف تفهم التوحيد وانت تكتب الطلاسم ؟ وان جحدت فهذا خط يدك موجود .

الوجه الخامس : ان الناس فيما مضى، عبدوا الطواغيت عبادة ملأت الارض بهذا الذي تقرأنه من الشرك : ينخونهم ، ويندبونهم ، ويجعلونهـــا وسائط ، وأنت وأبوك تقولان : نعرف هذا لكن مـا سألونا . فـاذا كنتم تعرفونه ، كيف يحل لكم ان تتركا الناس يكفرون ما تنصحونهم ولو لم يسألوكم ؟

الوجه السادس : انا لما أنكرنا عبادة غير الله ، بالغتم في عداوة هـذا الامر

وإنكاره ، وزعمتم انه مذهب خامس ، وأنه باطل ، وإن انكرتمـــا فالناس يشهدون عليكم بذلك ، وانتم مجاهرون به ، فكيف تقولون : هذا كفر ولكن ما سألونا عنه ! فاذا قام من يبين للناس التوحيد ، قلتم : انه مغير الدين وآت بمذهب خامس . فاذا كنت تعرف التوحيد ، وتقر ان كلامي هـذا حق ، فكيف تجعله تغييراً لدين الله ، وتشكونا عند اهل الحرمين ؟

والامور التي تدل على انك أنت وأباك لا تعرفان شهادة أن لا إله إلا الله لا تحصر ، لكن ذكرنا الامور التي لا تقدر تنكرهـــا ؛ وليتك تفعل فعل المنافقين الذين قال فيهم : « ان المنافقين في الدرك الاسفل من النــــار » لأنهم يخفون نفاقهم ، وأنت وأبوك تظهران للخاص والعام .

وأمـا الدليل على انك رجل معاند ، ضال على علم ، مختـــار الكفر على الاسلام ، فمن وجوه :

الاول : اني كتبت ورقة لابن صالح من سنتين ، فيها تكفير الطواغيت : شمسان وامثاله ؛ وذكرتُ فيها كلام الله ورسوله ، وبينتُ الادلة . فلمـــا جاءتك نسختهـا بيدك لموسى بن سليم ثم سجلت عليهـا وقلت ما ينكر هذا إلا اعمى القلب وقرأها موسى في البلدان ، وفي منفرحة ، وفي الدرعية ، وعندنا ، ثم راح للقبلة . فاذا كنت من الاول موافقاً لنا على كفرهم ، وتقول : مـــا ينكر هذا الا من أعمى الله بصيرته – فالعلم الذي جاءك بعد هذا يبين لك انهم ليسوا بكفار ، بينه لنا .

الوجه الثاني : اني ارسلت لك رسالة الشيخ تقي الدين ، التي يذكر فيهـا ان من دعا نبياً ، او صحابياً ، أو ولياً ، مثل ان يقول : يا سيدي فلان انصرني وأغثني – انه كافر بالاجماع ، فلما أتتك استحسنتها ، وشهدت انها حق وانت تشهد به الان ، فما الموجب لهذه العداوة ؟

الوجه الثالث : انه اذا اتاك احد من أهل المعرفة، اقررت ان هذا دين الله، وانه الحق ، وقلته على رؤوس الاشهاد ، واذا خلوتَ مع شياطينك وقصاصيك فلك كلام آخر !

الوجه الرابع : ان عبد الرحمن الشنيفي ومن معه ، لما أتوك وذاكروك أقررت بحضرة شياطينك ، ان هذا هو الحق ، وشهدت ان الطواغيت كفار ، وتبرأت من طالب الحمضي ، وعبد الكريم ، وموسى بن نوح ، فأي شيء بان لك بعد هذا ، ان هذا باطل، وان الذين تبرأت منهم وعاديتهم، انهم على حق ؟

الوجه الخامس : انك لما خرجت من عند الشيوخ ، وأتيت عند الشنيقي ، جحدت الكلام الذي قلت في المجلس فان كان الكلام حقاً فلأي شيء تجحده ؟ وانت وابوك مقران انكما لا تعرفان كلام الله ورسوله ، لكن تقولان : نعرف كلام صاحب «الاقناع» وأمثاله! وأنا اذكر لك كلام صاحب «الاقناع» انه مكفرك ، ومكفر أباك في غير موضع من كتابه :

الاول : انه ذكر في أول سطر من « احكام المرتد » ان الهازل بالدين يكفر ، وهذا مشهور عنك وعن ابن احمد بن نوح الاستهزاء بكلام الله ورسوله وهذا كتابكم كفركم .

الثاني : انه ذكر في اوله ، ان المبغض لما جاء به الرسول ، كافر بالاجماع ولو عمل به ؛ وأنت مقر ان هذا الذي اقول في التوحيد ، امر الله ورسوله ؛ والنساء والرجال يشهدون عليكم انكم مبغضون لهذا الدين ، مجتهدون في تنفير الناس عنه ، والكذب والبهتان على اهله ، فهذا كتابكم كفركم .

الثالث : انه ذكر من انواع الردة ، إسقاط حرمة القرآن . وأنتم كذلك تستهزئون بمن يعمل به ، وتزعمون انهم جهال وانكم علماء .

الرابع : انه ذكر ان من ادعى في علي بن ابي طالب ألوهية انه كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر. وهذه مسألتك التي جادلت بها في مجلس الشيوخ ، وقد صرح في «الاقناع» بان من شك في كفرهم فهو كافر ، فكيف بمن جادل عنهم وادعى انهم مسلمون ، وجعلنا كفاراً لما انكرنا عليهم ؟

الخامس : انه ذكر ان السحر يكفر بتعلمه وتعليمه ، والطلاسم من جملة السحر .

فهذه ستة مواضيع في « الاقناع » في باب واحد ، ان من فعلها فقد كفر وهي دينك ودين أبيك ، فأما ان تبرأوا من دينكم هذا وإلا فأجيبوا عن كلام صاحب «الاقناع» ، وكلامنا هذا لغيرك الذين عليهم الشرهة ، مثل الشيوخ او من يصلي وراءك كادوا ان الله يهديهم ، ويعزلونك أنت وابوك عن الصلاة بالناس ، لئلا تفسد عليهم دينهم ، وإلا فأنا اظنك لا تقبل ولا يزيدك هذا الكلام إلا جهالة وكفراً .

وأما الكلام الذي لبست به على الناس ، فأنا أبينه ان شاء الله كلمة كلمة. وذلك ان جملة المسائل التي ذكرت اربع ؛ الاولى : النذر لغير الله ، تقول : انه حرام ليس بشرك . الثانية : ان من جعل بينه وبين الله وسائط كفر ، أما الوسائط بأنفسهم فلا يكفرون . الثالثة : عبارة العلماء : ان المسلم لا يجوز تكفيره بالذنوب . الرابعة : التذكير ليلة الجمعة لا ينبغي الامر بتركه — هذه المسائل التي ذكرت .

فأما المسألة الاولى: فدليلك قولهم: ان النذر لغيرالله حرام، فاستدللت بقولهم «حرام» على انه ليس بشرك ، فان كان هذا قدر عقلك فكيف تدعي المعرفة ؟ يا ويلك ما تصنع بقول الله تعالى : «قل : تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً » ، فهذا يدل على ان الشرك حرام ليس بكفر . يا هذا الجاهل الجهل المركب ما تصنع بقول الله تعالى « قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن » الى قوله : « وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً» ، هل يدل هذا التحريم على انه لا يكفر صاحبه ؟ يا ويلك في اي كتاب وجدته اذا قيل لك هذا حرام ، انه ليس بكفر . فقولك : ان ظاهر كلامهم انه ليس بكفر ، كذب وافتراء على اهل العلم ، بل يقال : ذكر انه حرام ، واما كونه كفراً فيحتاج الى دليل آخر . والدليل عليه انه صرح في «الاقناع» ان النذر عبادة ، ومعلوم ان «لا إله إلا الله» معناها : لا يعبدوا إلا الله . فاذا كان النذر عبادة ، وجعلتها لغيره ، كيف لا يكون شركاً ؟

وأيضاً مسألة الوسائط، تدل على ذلك، والناس يشهدون ان هؤلاء الناذرين يجعلونهم وسائط ، وهم مقرون بذلك ، وأمـــا استدلالك بقوله : « من قال اندروا لي وانه اذا رضي وسكت لا يكفر فبأي دليل ؟ غاية مـــا يقال انه سكت عن الاخذ الراضي . وعلم من دليل آخر ، والدليل الآخر : ان الرضى بالكفر كفر ، صرح به العلماء ، موالاة الكفار كفر وغير ذلك . هذا اذا قدر انهم لا يقولونه ، فكيف انت وغيرك تشهد عليهم انهم يقولون ، ويبالغون فيه ، ويقصون على الناس الحكايات التي ترسخ الشرك في قلوبهم ، وتبغض اليهم التوحيد ؛ ويكفرون اهل العارض لما قالوا : لا يعبد إلا الله . وأما قولك : ما رأينا للترشيح معنى في كلام العلماء ، فمن انت حتى تعرف كلام العلماء ؟

وأما الثانية ، وهي : ان الذي يجعل الوسائط هو الكافر ، وأمـا المجعول فلا يكفر . فهذا كلام تلبيس وجهالة ، ومن قال ان عيسى وعزيرا، وعلي ابن ابي طالب، وزيد بن الخطاب، وغيرهم من الصالحين يلحقهم نقص بجعل المشركين اياهم وسائط ؟ حاشا وكلا (ولا تزر وازرة وزر اخرى) .

وإنا كفّرنا هؤلاء الطواغيت اهل «الخرج» وغيرهم بالامور التي يفعلونها هم، منها : انهم يجعلون اباءهم واجدادهم وسائط ، ومنها : انهم يدعون النـاس الى الكفر ، ومنهـا : انهم يبغضون عند الناس دين محمد ﷺ ، ويزعمون ان اهل «العارض» كفروا لمـا قالوا : لا يعبد الا الله ؛ وغير ذلك من انواع الكفر . وهذا أمر اوضح من الشمس لا يحتـاج الى تقرير ؛ ولكن انت رجل جاهل مشرك ، مبغض لدين الله ، وتلبس على الجهـال الذين يكرهون دين الاسلام ويحبون الشرك ودين آبائهم ، والا فهؤلاء الجهال – وان مرادهم اتباع الحق – عرفوا ان كلامك من أفسد ما يكون .

وأما المسألة الثالثة ، وهي من اكبر تلبيسك الذي تلبس به على العوام : ان اهل العلم قالوا : لا يجوز تكفير المسلم بالذنب ، وهذا حق ، ولكن ليس هذا ما نحن فيه ، وذلك ان الخوارج يكفرون من زني ، أو من سرق ، او

سفك الدم ، بل كل كبيرة اذا فعلها المسلم كفر . وأما اهل السنة فمذهبهم أن المسلم لا يكفر الا بالشرك ، ونحن ما كفرنا الطواغيت واتباعهم الا بالشرك ، وأنت رجل من أجهل الناس، تظن ان من صلى وادعى انه مسلم - لا يكفر، فاذا كنت تعتقد ذلك، فما تقول في المنافقين الذين يصلون ويصومون ويجاهدون؟ قال الله تعالى فيهم « ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار » . وما تقول في الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : « لئن ادركتهم لأقتلنهم قتل عاد، اينما لقيتموهم فاقتلوهم » ، أتظنهم ليسوا من اهل القبلة ؟ ما تقول في الذين اعتقدوا في علي بن ابي طالب رضي الله عنه - مثل اعتقاد كثير من الناس في عبد القادر وغيره - فأضرم لهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، ناراً فأحرقهم بها ، وأجمعت الصحابة على قتلهم ، لكن ابن عباس انكر تحريقهم بالنار ، وقال : يقتلون بالسيف . أتظن هؤلاء ليسوا من اهل القبلة ؟ أم انت تفهم الشرع ، وأصحاب رسول الله ﷺ لا يفهمونه ؟ أرأيت اصحاب رسول الله ﷺ لما قاتلوا من منع الزكاة ، فلما أرادوا التوبة قال أبو بكر : لا تقبل توبتكم حتى تشهدوا ان قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار - أتظن ان أبا بكر وأصحابه لا يفهمون ، وانت وابوك الذين يفهمون ؟ يا ويلك ايها الجاهل الجهل المركب اذا كنت تعتقد هذا ، وان من أم القبلة لا يكفر . فما معنى هذه المسائل العظيمة الكثيرة التي ذكرها العلماء في باب «حكم المرتد» التي كثير منها في اناس اهل زهد وعبادة عظيمة ، ومنها طوائف ذكر العلماء ان من شك في كفرهم فهو كافر ؟ ولو كان الامر على زعمك لبطل كلام العلماء في حكم المرتد، إلا مسألة واحدة ، وهي الذي يصرح بتكذيب الرسول ، وينتقل يهودياً او نصرانياً او مجوسياً ونحوهم . هذا هو الكفر عندك ، يا ويلك ما تصنع بقوله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تعبد فئام من امتي الاوثان » ؟ وكيف تقول هذا وانت تقر ان من جعل الوسائط كفرَ ؟ فاذا كان اهل العلم في زمانهم حكموا على كثير من اهل زمانهم بالكفر والشرك ، أفتظن انكم صلحتم بعدهم ؟ يا ويلك !

واما مسألة التذكير ، فكلامك فيها من اعجب العجاب ! انت تقول : بدعة حسنة ؛ والنبي ﷺ يقول : « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النـار » ، ولم يستثن شيئاً تشير علينا به فنصدقك انت وابوك لانكم علماء ونكذب رسول الله ! والعجب من نقلك الاجماع فتجمع مع الجهـالة المركبة الكذب الصريح والبهتان ؛ فاذا كان في «الاقناع» في باب «الاذان» قد ذكر كراهيته في مواضع متعددة ، اتظن انك اعلم من صاحب « الاقناع » أم تظنه مخالفـــاً للاجماع ؟ وايضاً لما جاءك عبد الرحمن الشنيفي اقررت لهم ان التذكير بدعة مكروهة ؛ فمتى هذا العلم جاءك ؟ وأمـا قولك : أمر الله بالصلاة على نبيه على الاطلاق ؛ فأيضاً أمر الله بالسجود على الاطـلاق في قوله : « اركعوا واسجدوا » فيدل هذا السجود للأصنام ! او يدل على الصلاة في اوقات النهي ؟ فان قلت : ذاك قد نهى عنه النبي ﷺ ، قلنا : وكذلك نهى النبي ﷺ عن البدع ، وذكر ان كل بدعة ضلالة ؛ ومعلوم ان هذا حادث من زمن طويل، وانكره اهل العلم ، منهم : صاحب «الاقناع» ، وقد ذكر السيوطي في كتاب «الاوائل» ان أول ما حدث التذكير يوم الجمعة – ليتهيـأ الناس للصلاة – بعد السبعمائة ، في زمن الناصر ابن قلاوون ، فأرنا كلام واحد من العلمـاء ارخص فيه ، وجعله بدعة حسنة ، فليس عندك الا الجهل المركب والبهتان والكذب !

وأمـا استدلالك بالأحاديث التي فيها اجماع الامة والسواد الاعظم وقوله : « من شذ شذ في النار » و « يد الله مع الجماعة » وأمثال هذا ، فهذا أيضاً من اعظم ما تلبس به على الجهال وليس هذا معنى الاحاديث باجماع اهل العلم كلهم، فان النبي ﷺ اخبر ان الاسلام سيعود غريبـــاً ، فكيف يأمرنا باتباع غالب الناس ؟ وكذلك الاحاديث الكثيرة ، منها قوله : « يأتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه » ، وأحاديث عظيمة كثيرة يبين فيها ﷺ ان الباطل يصير اكثر من الحق، وان الدين يصير غريباً ؛ ولو لم يكن في ذلك إلا قوله ﷺ : « ستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين

فرقة ، كلها في النار ، إلا واحدة » ، هل بعد هذا البيان بيان ؟ يا ويلك ، كيف تأمر بعد هذا باتباع اكثر الناس ؟ ومعلوم ان اهل ارضنا وارض الحجاز الذي ينكر البعث منهم اكثر ممن يقر به ، وان الذي يعرف الدين اقل ممن لا يعرفه ، والذي يضيع الصلوات اكثر من الذي يحافظ عليها ، والذي يمنع الزكاة اكثر ممن يؤديها . فان كان الصواب عندك اتباع هؤلاء ، فبين لنا ! وان كان عنزة ، وآل ظفير ، وأشباههم من البوادي ، هو السواد الاعظم ، لقيت في علمك وعلم ابيك ان اتباعهم حسن فاذكر لنا .

ونحن نذكر كلام أهل العلم في معنى تلك الاحاديث ، ليتبين للجهال الذين موهت عليهم :

قال ابن القيم رحمه الله ، في اعلام الموقعين : واعلم ان الاجماع والحجة ، والسواد الاعظم ، هو العالم صاحب الحق – وان كان وحده ، وان خالفه اهل الارض . وقال عمرو بن ميمون : سمعت ابن مسعود يقول : « عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة » . وسمعته يقول : « سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن وقتها فصل الصلاة وحدك ، وهي الفريضة « ثم صل معهم فانها لك نافلة ». قلت : يا اصحاب محمد ما ادرى ما تحدثون ! قال : وما ذاك ؟ قلت: تأمرني بالجماعة ، ثم تقول صل الصلاة وحدك ؟ قال : يا عمرو بن ميمون لقد كنت اظنك من افقه اهل هذه القرية ، أتدري ما الجماعة ؟ أتدري ما الجماعة ؟ قلت : لا . قال : جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة ، والجماعة ما وافق الحق – وان كنت وحدك . وقال نعيم بن حماد : اذا فسدت الجماعة فعليك بما كان عليه الجماعة قبل ان تفسد الجماعة ، وان كنت وحدك فانك انت الجماعة حينئذ. وقال بعض الأئمة – وقد ذكر له السواد الاعظم –: أتدري ما السواد الاعظم؟ هو : محمد بن اسلم الطوسي وأصحابه الذين جعلوا السواد الاعظم والحجة والجمهور والجماعة ، فجعلوهم عياراً على السنة ، وجعلوا السنة بدعة ، وجعلوا المعروف منكراً ، لقلة اهله وتفردهم في الاعصار والامصار ، وقالوا « من شذّ شذّ في

النار » وعرف المتخلفون ان الشاذ ما خالف الحق ، وان كان عليه الناس كلهم إلا واحداً فهم الشاذون . وقد شذ الناس كلهم في زمن احمد بن حنبل الا نفراً يسيراً فكانوا هم الجماعة . وكانت القضاة يومئذ والمفتون والخليفة وأتباعهم كلهم هم الشاذون ، وكان الامام احمد وحده هو الجماعة . ولما لم تحمل ذلك عقول الناس قالوا للخليفة يا امير المؤمنين ، أتكون انت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون على الباطل واحمد وحده على الحق؟ فلم يتسع علمه لذلك فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل . فلا إله إلا الله . ما أشبه الليلة بالبارحة .

انتهى كلام ابن القيم باسلامه ولدام سلامه .

هذا كلام الصحابة في تفسير السواد الاعظم ، وكلام التابعين ، وكلام السلف وكلام المتأخرين . حتى ابن مسعود ذكر في زمانه ان اكثر الناس فارقوا الجماعة ، وأبلغ من هذه الاحاديث المذكورة عن رسول الله ﷺ : من غربة الاسلام وتفرق هذه الامة اكثر من سبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. فان كنت وجدت في علمك وعلم ابيك ما يرد به على رسول الله وان عنزة وآل ظفير والبوادي يجب علينا اتباعهم ، فاخبرونا .

كتبه محمد بن عبد الوهاب ؛ وصلى الله على محمد وآله وسلم .

-١٣-

وهذه الرسالة أرسلها الى اهل الرياض ومنفوحة ، وهو إذ ذاك مقيم في بلد العيينة ، وكتب الى عبدالله ابن عيسى قاضي الدرعية يسجل تحتها بما رآه من الكلام ليكون ذلك سبباً لقبول الجهال والطغام ، وهذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى من يصل اليه هذا الكتاب من المسلمين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد قال الله تعالى : « والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد » ، وذلك ان الله ارسل محمداً ﷺ ليبين للناس الحق من الباطل ، فبين ﷺ للناس جميع ما يحتاجون اليه في أمر دينهم بياناً تاماً ، وما مات ﷺ حتى ترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها . فاذا عرفت ذلك ، فهؤلاء الشياطين من مردة الانس ، الذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له — إذا رأوا من يعلم الناس ما أمرهم به محمد ﷺ من شهادة ان لا إله إلا الله ، وما نهاهم عنه مثل الاعتقاد في المخلوقين الصالحين وغيرهم — قاموا يجادلون ، ويلبسون على الناس ، ويقولون : كيف تكفرون المسلمين؟ كيف تسبون الاموات ؟ آل فلان اهل ضيف ، آل فلان اهل كذا وكذا ومرادهم بهذا لئلا يتبين معنى « لا إله إلا الله » ، ويتبين ان الاعتقاد في الصالحين النفع والضرر ، ودعاءهم كفر ينقل عن الملة ؟ فيقولون الناس لهم انكم قبل ذلك جهال ، لأي شيء لم تأمرونا بهذا ؟

وأنا اخبركم عن نفسي : والله الذي لا إله إلا هو لقد طلبت العلم واعتقد من عرفني ان لي معرفة ، وانا ذلك الوقت لا أعرف معنى « لا إله إلا الله » ، ولا أعرف دين الاسلام قبل هذا الخير الذي من الله به ، وكذلك مشايخي — ما منهم رجل عرف ذلك . فمن زعم من علماء «العارض» انه عرف معنى « لا إله إلا الله » أو عرف معنى الاسلام قبل هذا الوقت ، أو زعم عن مشايخه عن احداً عرف ذلك — فقد كذب ، وافترى ، ولبس على الناس ، ومدح نفسه بما ليس فيه . وشاهد هذا ان عبدالله ابن عيسى — ما نعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره اجل منه ، وهذا كلامه واصل اليكم ان شاء الله . فاتقوا الله عباد الله ، ولا تكبروا على ربكم ولا نبيكم ، واحمدوه سبحانه الذي من عليكم ، ويسر لكم ، من يعرفكم بدين نبيكم ﷺ ولا تكونوا من الذين بدلوا نعمة الله كفراً ، وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار .

وإذا عرفتم ذلك ، فاعلموا ان قول الرجل : « لا إله إلا الله » نفي واثبات إثبات الالوهية كلها لله وحده ، ونفيها عن الانبيـاء والصالحين وغيرهم . وليس معنى الألوهية ، انه لا يخلق ولا يرزق ، ولا يدبر ولا يحيي ولا يميت إلا الله ؟ فان الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يقرون بهذا ، كما قال تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والارض ؟ أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله ؟ فقل أفلا تتقون » فتفكروا عبـاد الله فيما ذكر الله عن الكفار انهم مقرون بهذا كله له وحده لا شريك له . وإنمـا كان شركهم انهم يدعون الانبيـاء والصالحين ويندبونهم ، وينذرون لهم ، ويتوكلون عليهم ، يريدون منهم انهم يقربونهم الى الله ، كما ذكر الله عنهم ذلك في قوله تعالى : « والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » .

إذا عرفتم ذلك فهؤلاء الطواغيت الذين يعتقـد النـاس فيهم من « الخرج » وغيرهم - مشهورون عند الخاص والعـام بذلك ، وانهم يترشحون له ويأمرون به الناس كلهم كفار مرتدون عن الاسلام . ومن جادل عنهم ، او انكر على من كفرهم ، أو زعم ان فعلهم هذا لو كان باطلًا فلا يخرجهم الى الكفر . فأقل احوال هذا المجادل انه فاسق ، لا يقبل خطه ولا شهادته ولا يصلي خلفه ، بل لا يصح دين الاسلام الا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم كما قال تعالى : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » . ومصداق هـذا انكم اذا رأيتم من يخـالف هذا الكلام وينكره فلا يخلو : أما ان يدعي انه عارف ، فقولوا له : هذا الامر العظيم لا يغفل عنه فبين لنـا مـا يصدقك من كلام العلمـاء . اذا لم تعرف كلام الله ورسوله . فان زعم ان عنده دليلًا ، فقولوا له يكتبه حتى نعرضه على اهل المعرفة ويتبين لنـا انك على الصواب ونتبعك ، فان نبينا ﷺ قد بين لنا الحق من الباطل .

وان كان المجادل يقر بالجهل ، ولا يدعي المعرفة ، فيـا عباد الله كيف

ترضون بالافعال والاقوال التي تغضب الله ورسوله ، وتخرجكم عن الاسلام ، اتباعاً لرجل يقول : اني عارف ، فاذا طالبتموه بالدليل عرفتم انه لا علم عنده، او اتباعاً لرجل جاهل ، وتعرضون عن طاعة ربكم وما بينه نبيكم ﷺ وأهل العلم بعده ، واذكروا ما قصه الله عليكم في كتابه لعلكم تعتبرون ، فقال : « ولقد ارسلنا الى ثمود أخاهم صالحاً ان اعبدوا الله، فاذا هم فريقان يختصمون». وهؤلاء اهلكهم الله بالصيحة ، وانتم الآن اذا جاءكم من يخبركم بأمر رسول الله ﷺ اذا انكم فريقان تختصمون ، افلا تخافون ان يصيبكم من العذاب ما اصابهم .

والحاصل ان مسائل التوحيد ليست من المسائل العادية ، بل البحث عنها ، او تعلمها ، فرض لازم على العالم والجاهل ، والمحرم والمحل ، والذكر والانثى. وانا لا اقول لكم : اطيعوني ، ولكن الذي اقول لكم : اذا عرفتم ان الله انعم عليكم وتفضل عليكم بمحمد ﷺ والعلماء بعده فلا ينبغي لكم معاندة محمد ﷺ .

وقولكم : اننا نكفر المسلمين ، كيف تفعلون كذا ، كيف تفعلون كذا ؟ فإنا لم نكفر المسلمين ، بل ما كفرنا إلا المشركين .

والعجب كل العجب ، ان الذي يدعي المعرفة يزعم اني لا اعرف كلام الله ولا كلام رسوله ، بل يدعي اني اعرف كلام المتأخرين مثل «الاقناع» وغيره ، وصاحب « الاقناع » قد ذكر ان من شك في كفر هؤلاء السادة والمشائخ فهو كافر . سبحان الله ! كيف يفعلون اشياء في كتابهم : ان من فعلها كفر ، ومع هذا يقولون : نحن اهل المعرفة ، واهل الصواب !

وكذلك ايضاً من جهالة هؤلاء وضلالتهم ، اذا رأوا من يعلم الشيوخ وصبيانهم، او البدو شهادة ان لا إله إلا الله، قالوا: قولوا لهم يتركون الحرام. وهذا من عظيم جهلهم ، فانهم لا يعرفون إلا ظلم الاموال . وأما ظلم الشرك فلا يعرفونه ، وقد قال الله تعالى : « ان الشرك لظلم عظيم » واين الظلم —

الذي اذا تكلم الانسان بكلمة منه ، او مدح الطواغيت ، أو جادل عنهم ، خرج من الاسلام ، ولو كان صائماً قائماً - من الظلم الذي لا يخرج من الاسلام، بل : اما ان يؤدي الى صاحبه بالقصاص ، واما ان يغفره الله ؟ فبين الموضعين فرق عظيم .

وبالجملة ، رحمكم الله ، اذا عرفتم ما تقدم ، ان نبيكم ﷺ قد بين الدين كله ، فاعلموا ان هؤلاء الشياطين قد أحلوا كثيراً من الحرام : في الربا ، والبيع ، وغير ذلك ؟ وحرموا عليكم كثيراً من الحلال ، وضيقوا ما وسعه الله ، فاذا رأيتم الاختلاف ، فاسألوا عما امر الله به ورسوله .

وسلام عليكم ورحمة الله .

- ١٤ -

وهذه ارسلها الى مطاوعة اهل الدرعية وهو اذ ذاك في بلد العيينة قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى عبدالله بن عيسى ، وابنه : عبد الوهاب ، وعبدالله بن عبد الرحمن ، حفظهم الله تعالى .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد ذكر لي احمد انه مشكل عليكم الفتيا بكفر هؤلاء الطواغيت ، مثل اولاد شمسان ، واولاد ادريس ، والذين يعبدونهم مثل : طالب وامثاله . فيقال اولاً : دين الله تعالى ليس لي دونكم ، فاذا أفتيت ، او عملت بشيء ، وعلمتم اني مخطيء ، وجب عليكم تبيين الحق لأخيكم المسلم ، وان لم تعلموا - وكانت المسألة من الواجبات مثل : التوحيد - فالواجب عليكم ان تطلبوا

وتحرصوا حتى تفهموا حكم الله ورسوله في تلك المسألة وما ذكر اهل العلم قبلكم ، فاذا تبين حكم الله ورسوله بياناً كالشمس ، فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر ان يرده لكونه مخالفاً لهواه ، او لما عليه اهل وقته ومشايخه، فان الكفر كما قال ابن القيم في نونية :

فالكفر ليس سوى العناد ورد ما جاء الرسول به لقول فلان
فانظر لعلك هكذا دون التي قد قالها ، فتبوء بالخسران

ومتى لم تتبين لكم المسألة لم يحل لكم الانكار على من افتى ، او عمل حتى يتبين لكم خطؤه، بل الواجب السكوت والتوقف، فاذا تحققتم الخطأ بينتموه، ولم تهدروا جميع المحاسن لأجل مسألة ، او مائة ، او مائتين اخطأت فيهن ، فاني لا أدعي العصمة وأنتم تقرون ان الكلام الذي بينته في معنى « لا إله إلا الله » هو الحق الذي لا ريب فيه . سبحان الله ! اذا كنتم تقرون بهذا فرجل بين الله به دين الاسلام ، وانتم ومشايخكم ومشايخهم لم يفهموه ، ولم يميزوا بين دين محمد ﷺ ، ودين عمرو بن لحي الذي وضعه للعرب ، بل دين عمرو عندهم ، دين صحيح ، ويسمونه : رقة القلب ، والاعتقاد في الاولياء ، ومن لم يفعل فهو متوقف لا يدري ما هذا ولا يفرق بينه وبين دين محمد ﷺ .

وانا الى الآن اطلب الدليل من كل من خالفني ، فاذا قيل له : استدل او اكتب ، او اذكر حاد عن ذلك ، وتبين عجزه . لكن يجتهدون الليل والنهار في صد الجهال عن سبيل الله ويبغونها عوجاً . اللهم ان كنتم تعتقدون ان كلامي باطل وبدعة مثل ما قال غيركم ، وان الاعتقاد في الزاهد ، وشمسان ، والمطيوية ، والاعتماد عليهم — هو الدين الصحيح، وكل ما خالفه بدعة وضلالة، فتلك مسألة أخرى .

اذا ثبت هذا فتكفير هؤلاء المرتدين ، انظروا في كتاب الله من اوله الى آخره ، والمرجع في ذلك الى ما قاله المفسرون والأئمة ، فان جادل منافق بكون الآية نزلت في الكفار ، فقولوا له : هل قال احد من اهل العلم ، أولهم

وآخرهم: ان هذه الآيات لا تعم من عمل بها من المسلمين ، من قال هذا قبلك ؟ وأيضاً فقولوا له : هذا رد على اجماع الامة ، فان استدلاهم بالآيات النازلة في الكفار على من عمل بها ممن انتسب الى الاسلام اكثر من ان يذكر . وهذا ايضاً كلام رسول الله ﷺ ، فيمن مثل هذه الافاعيل ، مثل الخوارج العباد الزهاد الذين يحقر الانسان الصحابة عندهم ، وهم بالاجماع لم يفعلوا ما فعلوا إلا باجتهاد وتقرب الى الله . وهذه سيرة اصحاب رسول الله ﷺ فيمن خالف الدين ممن له عبادة واجتهاد ، مثل تحريق علي رضي عنه ، من اعتقد فيه بالنار ، وأجمع الصحابة على قتلهم وتحريقهم ، إلا ابن عباس رضي الله عنه ، خالفهم في التحريق فقال : يقتلون بالسيف .

وهؤلاء الفقهاء من اولهم الى آخرهم ، عقدوا باب « حكم المرتد » للمسلم اذا فعل كذا وكذا ، ومصداق ذلك من هذه الكتب التي يقول المخالف : جمعوا فيها الثمر ، وهم اعلم منا ، وهم ... وهم ... انظروا في متن « الاقناع » في باب «حكم المرتد» هل صرح ان من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ، انه كافر باجماع الامة ، وذكر فيمن اعتقد في علي بن ابي طالب دون ما يعتقده طالب في حسين وإدريس ، انه لا شك في كفره ، بل لا يشك في كفر من شك في كفره ، وأنا ألزم عليكم انكم تحققون النظر في عبارات « الاقناع » وتقرأونها قراءة تفهم ، وتعرفون ما ذكر في هذا ، وما ذكر من التشنيع على من الاصدقاء — عرفتم شيئاً من مذاهب الآباء وفتنة الاهواء . واذا تحققتم ذلك وطالعتم الشروح والحواشي فاذا اني لم افهمه وله معنى آخر ، فارشدوني ، وعسى الله ان يهدينا واياكم واخواننا لما يحب ويرضى ، ولا يدخل خواطركم غلظة هذا الكلام ، فالله سبحانه يعلم قصدي به .

والسلام .

-١٥-

وهذه أرسلها ايضاً الى عبدالله بن عيسى وابنه عبد الوهاب ، قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى عبدالله عيسى ، وعبد الوهاب :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد ذكر لي انكم زعلانون علي في هذه الايام بعض الزعل ، ولا يخفاك اني زعلان زعلاً كبيراً ، وناقد عليكم نقوداً أكبر من الزعل ، ومعي في هذه الايام بعض تنغص المعيشة والكدر مما يبلغني عنكم ، والله سبحانه اذا أراد امراً ، فلا راد له ، وإلا ما خطر على البـال انكم ترضون لأنفسكم بهذا ، ثم من العجب كفكم عن نفع المسلمين في المسائل الصحيحة ، وتقولون : لا يتعين علينا الفتيا ، ثم تبالغون في مثل هذه الامور ، مثل التذكير الذي صرحت الادلة والاجماع وكلام «الاقناع» بانكاره . ولا ودي انكم – بعد ما انزلكم الله هذه المنزلة ، وأنعم عليكم بما تعلمون وما لا تعلمون ، وجعلكم من اكبر اسباب قبول الناس لدين ربكم وسنة نبيكم ، وجهادكم في ذلك وصبركم على مخالفة دين الآباء – انكم ترتدون على أعقابكم !

وسبب هذا انه ذكر لي عنكم انكم ظننتم اني أعنيكم ببعض الكلام الذي أجبت به من اعتقد حل الرشوة ، وانه مزعلكم . فيـــا سبحان الله ! كيف أعنيكم به وانا كاتب لكم تسجلون عليه وتكونون معي أنصاراً لدين الله .

وقيل لي : انكم منتقدين علي بعض الغلطة فيه على ملقـاه والامر اغاظ ممـا

ذكرنا . ولولا ان بعض الناس الى الآن ما عرفوا دين الرسول وانهم يستنكرون الامر الذي لم يألفوه ــ لكان شأن آخر .

وبالحاضر لا يخفاكم ان معي غيظ عظيم ومضايقة من زعلكم ، وأنتم تعلمون ان رضا الله ألزم ، والدين لا محاباة فيه ، وأنتم من قديم لا تشكون فيّ ، والآن غايتكم قريبة ، وداخلتكم الريبة . واخاف ان يطول الكلام فيجري فيه شيء يزعلكم ، وانا في بعض الحدة . فأنا اشير عليكم والتزم ان عبد الوهاب يزورنا ، سواء كان يومين ولا ثلاثة ، وان كان اكثر يصير قطعاً لهذه الفتنة . ويخاطبني وأخاطبه من الرأس ، وان كان كبر عليه الامر ، فيوصي لي ، وأعني له ، فان الامر الذي يزيل زعلكم ، ويؤلف الكلمة، ويهديكم الله بسببه ، نحرص عليه ولو هو أشق من هذا ، اللهم إلا ان تكونوا ناظرين شيئاً من أمر الله ، فالواجب عليكم اتباعه ، والواجب علينا طاعتكم ، والانقياد لكم ، وان أبينا كان الله معكم وخلقه .

ولا يخفاكم انه وصلني أمس رسالة في صفة مذاكرتكم في التذكير ، وتطلبون مني جواباً عن أدلتكم ، وأنتم ضحكتم على ابن فيروز، وتسافهتموه وتساخفتم عقله في جوابه ، لكن ما انا بكاتب لهم جواباً ، لأن الامر معروف انه منكم ، وأخاف أن اكتب لهم جواباً فينشرونه ، فيزعلكم واشوف غايتكم قريبة ، وتحملون الامر على غير محمله .

والسلام عليكم .

-١٦-

وهذه رسالة كتبها الى عبد الوهاب بن عبدالله بن عيسى ، قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى عبد الوهاب بن عبدالله :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد وصل كتابك وما ذكرت فيه من الظن والتجسس وقبول خبر الفاسق، فكل هذا حق وأريد به باطل . والعجب منك اذا كنت من خمس سنين تجاهد جهاداً كبيراً في رد دين الاسلام ، فاذا جاءك مساعد ، او ابن راجح ، ولا صالح بن سليم ، واشباه هؤلاء الذين تلقنهم شهادة ان « لا إله إلا الله » وان عبادة المخلوقات كفر، وان الكفر بالطاغوت فرض -قمت تجاهد وتبالغ في نقض ذلك والاستهزاء به . وليس الذي يذكر هذا عنك بعشرة ولا عشرين ولا ثلاثين ، ولا انت بمتخفف في ذلك ، ثم تظن في خاطرك ان هـذا يخفى علي . وأنا اصدقك إذا قلت ، ما قلت ، ولو أن الدي جرى عشرة او عشرون او ثلاثون مرة امكن تعداد ذلك . واحسن ما ذكرت انك تقول : « ربنا ظلمنا انفسنا » وتقر بالذنب ، وتجاهد في اطفاء الشرك واظهار الاسلام ، كما جاهدت في ضده ، ويصير ما تقر به كأن لم يكن .

فان كنت تريد الرفعة في الدنيـا والجاه لك بذلك مـا لا يحصل بغيره من الامور بأضعـاف مضاعفة ، وان أردت به الله والدار الآخرة ، فهي التجـارة الرابحة وأتتك الدنيا تبعاً ، وان كنت تظن في خاطرك انا نبغي ان نداهنك في دين الله – ولو كنت اجل عندنا ممـــا كنت – فأنت مخالف . فان كنت تتهمني بشيء من امور الدنيا فلك الشرهة . فان كان اني ادعو لك في سجودي، وانت وأبوك أجل الناس الي وأحبهم عندي. وأمرك هذا أشق علي من أمر اهل الحسا ، فعسى الله ان يهدينـا واياك لدينه القيم ، ويطرد عنا الشيطان ، ويعيذنا من طريق المغضوب عليهم الضالين .

-١٧-

وهذه رسالة كتبها الى احمد بن محمد بن سويلم وثنيان ، وقال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى الاخوين : احمد بن محمد ، وثنيان .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ،

فقد ذكر لي عنكم ان بعض الاخوان تكلم في عبد المحسن الشريف يقول: ان اهل الحسا يحبون على يدك، وانك لابس عمامة خضراء ، والانسان لا يجوز له الانكار الا بعد المعرفة ، فأول درجات الانكار معرفتك ان هذا مخالف لأمر الله .

وأما تقبيل اليد فلا يجوز انكار مثله ، وهي مسألة فيها اختلاف بين اهل العلم ، وقد قبل زيد بن ثابت يد ابن عباس ، وقال : هكذا أمرنا الله نفعل بأهل بيت نبينا . وعلى كل حال فلا يجوز لهم انكار كل مسألة لا يعرفون حكم الله فيها .

أما لبس الاخضر ، فانها احدثت قديماً تمييزاً لأهل البيت لئلا يظلمهم احد أو يقصر في حقهم من لا يعرفهم . وقد أوجب الله لأهل بيت رسول الله ﷺ على الناس حقوقاً . فلا يجوز لمسلم ان يسقط حقهم ، ويظن انه من التوحيد ، بل هو من الغلو .

وقيل انه ذكر عنه انه معتذر عن بعض الطواغيت ، وهذه مسألة جليلة ينبغي التفطن لها ، وهي قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا». فالواجب عليهم – اذا ذكر لهم عن احد منكر – عدم العجلة ،

فاذا تحققوه اتوا صاحبه ، ونصحوه ، فان تاب ورجع ، وإلا انكر عليه ، وتكلم فيه .

فعلى كل حال نبهوهم على مسألتين :

الاولى : عدم العجلة ، ولا يتكلمون إلا مع التحقق ، فان التزوير كثير.

الثانية : ان النبي ﷺ كان يعرف المنافقين بأعيانهم ويقبل علانيتهم ، ويكل سرائرهم الى الله . فاذا ظهر منهم وتحقق ما يوجب جهادهم ، جاهدهم .

والسلام .

- ١٨ -

وهذه ارسلها الى عبدالله ابن سويلم حين غضب على ابن عمه أحمد في شدته على المنافقين قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى عبدالله بن عبد سويلم .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ،

فقد ذكر لي ابن زيدان انك زاعل على احمد بعض الزعل لما تكلم في بعض المنافقين ، ولا يخفاك ان بعض الامور كما قال تعالى : (وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم) وذلك اني لا اعرف شيئاً يتقرب به الى الله افضل من لزوم طريقة رسول الله ﷺ في حال الغربة ، فان انضاف الى ذلك الجهاد عليها للكفار والمنافقين كان ذلك تمام الايمان . فاذا أراد احد من المؤمنين ان يجاهد فاتاه بعض اخوانه فذكر له ان امرك للدنيا اخاف ان يكون هذا من جنس الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات . فانتم تأملوا تفسير الآية ،

ثم نزوله على هذه الواقعة . وايضاً في صحيح مسلم : ان ابا سفيان مر على بلال وسلمان واجناسهما فقالوا ما أخـذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذهـا . فقال ابو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها ؟ ثم اتى النبي ﷺ فذكر له ذلك فقال : يا أبا بكر لئن كنت اغضبتهم لقد اغضبت ربك .

ومن أفضل الجهاد جهاد المنافقين في زمن الغربة. فاذا اخاف احد منكم من بعض احوانه قصداً سيئاً فيلنصحه برفق، واخلاص الدين لله، وترك الرياء والقصد الفاسد، ولا يفل عزمه عن الجهـاد ولا يتكلم فيه بالظن السيء وينسبه الى ما لا يليق . ولا يدخل خاطرك شيء من النصيحة ، فلو ادري انه يدخل خاطرك ما ذكرته ؟ وأنا اجد في نفسي أن ودي من ينصحني كلما غلطت .

والسلام .

- ١٩ -

وهذه كتبها الى احمد بن ابراهيم مطوع مرات من بلدان الوشم وكان قد ارسل اليه رسالة فأجابه بهذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى احمد بن ابراهيم ، هدانا الله راياه ، وبعد ،

ما ذكرت من مسألة التكفير ، وقولك ابسط الكلام فيها ، فلو بيننـــا اختلاف امكنني ان ابسط الكلام او امتنع، وأما إذا اتفقنا على الحكم الشرعي لا أنت بمنكر الكلام الذي كتبت اليك ، ولا انا بمنكر العبارات التي كتبت الى ، وصار الخلاف في أناس معينين اقروا ان التوحيد الذي ندعو اليه دين الله ورسوله ، وان الذي ننهي عنه في الحرمين والبصرة والحسـا هو الشرك بالله . ولكن هؤلاء المعينون هل تركوا التوحيد بعد معرفته ، وصدوا الناس عنه ،

أم فرحوا به وأحبوه ، ودانوا به وتبرؤا من الشرك وأهله ؟ فهذه ليس مرجعها إلى طالب العلم ، بل مرجعهـا الى علم الخاص والعام ، مثال ذلك: إذا صح أن اهل الحسا والبصرة يشهدون ان التوحيـد الذي نقول دين الله ورسوله ، وان هذا المفعول عندهم في الاحياء والاموات هو الشرك بالله، ولكن انكروا علينا التكفير والقتال خاصة . والمرجع في المسألة الى الحضر والبدو والنساء والرجال هل اهل قبة الزبير وقبة الكواز تابوا من دينهم ، وتبعوا مـا أقروا به من التوحيد ، او هم على دينهم ، ولو يتكلم الانسان بالتوحيد فسلامته على اخذ ماله ، فاذا كنت تزعم ان الكواوزة واهل الزبير تابوا من دينهم ، وعادوا من لم يتب ، فتبعوا ما اقروا به وعادوا من خالفه ـ هذا مكابرة وان اقررتم انهم بعد الاقرار اشد عداوة ومسبة للؤمنين والمؤمنـات كما يعرفه الخاص والعـام ، وصار الكلام في اتباع المويس وصالح بن عبدالله هل هم مع اهل التوحيد ؟ ام هم مع اهل الاوثان ، بل اهل الاوثان معهم ، فالكلام في هذا نحيله على الخاص والعام. فودي انك تسرع بالنفور فتتوجه الى الله ، وتنظر نظر من يؤمن بالجنة والخلود فيها ، وتسأله بقلب حاضر ان يهديك الصراط المستقيم .

هذا مع انك تعلم ما جرى مع ابن اسماعيل وولد ابن ربيعه سنة الحبس لما شكونا عند اهل قبة ابي طالب يوم يكسيه صاية وجميـع من معك من خـاص وعام معهم الى الآن ، وتعرف روحة المويس واتباعه لاهل قبة الكواز ، وسية طالب يوم يكسيه صاية ، ويقول لهم : طالع اناس ينكرون قبكم ، وقـد كفروا وحل دمهم ومالهم . وصار هـذا عندك وعند أهل الوشم وعند اهل سدير والقصيم من فضائل المويس ومناقبه ، وهم على دينه الآن مع المكاتيب التي ارسلها علمـاء الحرمين مع المزيودي سنة الحبس عندنا الى الآن تنتظرك . وقد صرحوا فيها ان من اقر بالتوحيد كفر ، وحل ماله ودمه ، وقتل في الحل والحرم . ويذكرون دلائل على دعاء الاولياء في قبورهم منها قوله تعالى (لهم مـا يشاءون عند ربهم) . فان كانت ليست عندك ، ولا صبرت الى ان تجيء ، فأرسل الى ولد محمد بن سليمان في وشيقر ، ولسيف العتيقي ، يرسلونهـا

اليك ، ويجيبون عن قوله : (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) انهم يدعون على انهم المعطون المانعون بالاصالة، واما دعوتهم على انهم شفعاء فهو الدين الصحيح ! ومن انكره قتل في الحل والحرم.

وايضاً جاءنا بعض المجلد الذي صنفه القباني ، واستكتبوه اهل الحسا واهل نجد ، وفيه نقل الاجماع على تحسين قبة الكواز وامثالها ، وعبادتها وعبادة سية طالب . ويقول في تصنيفه انه لم يخالف الا ابن تيمية وابن القيم وعشرة ، أنا عاشرهم ، فالجميع اثنا عشر . فاذا كان يوم القيامة اعتزلوا وحدهم عن جميع الامة . وأنتم الى الآن على ما تعلم ، مع شهادتكم ان التوحيد دين الله ورسوله وان الشرك باطل . وايضاً مكاتيب اهل الحسا موجودة .

ولكن تعرف ابن فيروز انه اقربهم الى الاسلام ، وهو رجل من الحنابلة وينتحل كلام الشيخ وابن القيم خاصة ، ومع هذا صنف مصنفاً ارسله الينا قرر فيه ان هذا الذي يفعل عند قبر يوسف وامثاله هو الدين الصحيح .

وفي مصنف ابن مطلق الاستدلال بقول الشاعر :

وكن لي شفيعاً يوم لاذو شفاعة ‏ ‏ ‏ ‏ بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

ولكن الكلام الاول ، ابلغ من هذا كله ، وهو : شهادة البدو والحضر والنساء والرجل : ان هؤلاء الذين يقولون التوحيد دين الله ورسوله ويبغضونه اكثر من بغض اليهود والنصارى ، ويسبونه، ويصدون الناس عنه ، ويجاهدون في زواله ، وتثبيت الشرك بالنفس والمال . خلاف ما عليه الرسل واتباعهم — فانهم يجاهدون حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله .

فان اردت تجديد الامان على ما بغيت فاكتب لي ، ولكن تعرف حرصي على الكتب ، فان عزمت على الراخنة وعجلتها على قبلك فتراها على بنو الخير ، وان ما جاز عندك كلها فبعضها ولو مجموع ابن رجب ترى مـا جاءنا فهو عارية مؤداة وان لم تأتنا قال ابن القيم في النونية :

يا فرقة جهلت نصوص نبيها وقصوده وحقائق الايمان

فسطوا على اتباعه وجنوده بالبغي والتكفير والطغيان

لله حق لا يكون لغيره ولعبده حق هما حقان

لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً من غير تمييز ولا فرقان

المراد تعريفك ، لما صدقتك ان لك نظراً في الحق ، ان في ذلك الزمان من يكفر العلماء إذا ذكروا التوحيد ، ويظنونه تنقيصاً للنبي ﷺ . فما ظنك بزمانك هذا ؟

ذكر ابن عبد الهادي في مناقب الشيخ لما ذكر المحنة التي نالته بسبب الجواب في شد الرحل : فالجواب الذي كفروه بسببه ذكر ان كلامه في هذا الكتاب ابلغ منه . فالعجب إذا كان هذا الكتاب عندك والعلماء في زمن الشيخ كفروه بكلام دونه فكيف بالمويس وامثاله لا يكفروننا بمحض التوحيد وذكر ابن القيم في النونية ما يصدق هذا الكلام ، لما قالوا انك مثل الخوارج رد عليهم بقوله :

من لي بمثل خوارج قد كفروا بالذنب تأويلا بلا احسان

ثم ذكر في البيت الثاني ان هؤلاء يكفروننا بمحض الايمان والخوارج يكفرون بالذنوب .

وكلامي هذا تنبيه ان انكار التوحيد متقدم ، وكذلك التكفير لمن اتبعه وانت لاتعتقد ان الزمان صلح بعدهم ، ولاتعتقد ان المويس وامثاله اجل وأروع من اوائك الذين كفروا الشيخ واتباعه . وعند ابن عبد الهادي من كتبه كتاب الاغاثة مجلد وجاءنا من الشام مع مربد : وسببه ان رجلاً من فقهاء

الشافعية يقال له ابن البكري ، عثر على جواب للشيخ في الاستغاثـة ، بالموتى في الشدائد فأنكر ذلك ، وصنف مصنفاً في جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ من كل ما يستغاث الله منه . وصرح بتكفير الشيـخ في ذلـك الكتاب ، وجعله مستنقصاً للانبياء ، وأورد فيه آيات واحاديث . فصنف الشيخ كتاب الاستغاثة رداً على ابن البكري ، وقرر فيه مذهب الرسل واتباعهم ، وذكر ان الكفار لم يبلغ شركهم هذا بل ذكر الله عنهم انهم إذا مسهم الضر اخلصوا ونسوا ما يشركون.

والمقصود ان في زمن الشيخ من يدعي العلم والتصنيف من انكر التوحيد ، وجعله سباً للانبياء والاولياء ، وكفر من ذهب اليه فكيف تزعم ان عبدة قبة الكواز وامثالها ما انكروه ، بل تزعم انهم قبلوه ودانوا به وتبرؤا من الشرك ولا انكروا إلا تكفير من لا يكفر.

وأعظم واطم انكم تعرفون ان البـــادية قـد كفروا بالكتاب كله وتبرؤا من الدين كله ، واستهزؤا بالحضر الذين يصدقون بالبعث ، وفضلوا حكم الطـــاغوت على شريعة الله ، واستهزؤا بهـــا عناداً . مع اقرارهم بأن محمداً رسول الله وان كتاب الله عند الحضر - لكن كذبوا ، وكفروا ، واستهزءوا ، عناداً . ومع هذا تنكرون علينـــا كفرهم ، وتصرحون بان من قال « لا اله الا الله » لا يكفر ، ثم تذكر في كتابك انك تشهد بكفر العالم العابد الذي ينكر التوحيد ، ولا يكفر المشركين ويقول : هؤلاء السواد الاعظم ما يتيهون ، فان قلتم : ان الاولين، وان كانوا علماء ، فلم يقصدوا مخالفة الرسول بل جهلوا وانتم وامثالكم تشهدون ليلًا ونهاراً ان هذا الذي بينا للناس من التوحيـد وانكار الشرك انه دين الله ورسوله ولو قدرنا ان غيركم يعذر بالجهل فانتم مصرحون بالعلم .

والله اعلم .

وهذه أرسلها الى عبد الرحمن بن ربيعة مطوع اهل ثاذق ، وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من محمد بن عبد الوهاب الى عبد الرحمن بن ربيعة سلمه الله تعالى ،

وبعد :

فقد وصل كتابك تسأل عن مسائل كثيرة ، وتذكر ان مرادك اتباع الحق، منها : مسألة التوحيد ولا يخفاك ان النبي ﷺ لما بعث معاذاً الى اليمن ، قال له : « ان اول ما تدعوهم اليه ان يوحدوا الله ، فان هم أجابوك لذلك ، فاعلمهم ان الله افترض عليهم خمس صلوات ، الى آخره . فاذا كان الرجل لا يدعى الى الصلوات الخمس إلا بعد ما يعرف التوحيد ويقاد له ، فكيف بمسائل جزئية أختلف فيها العلماء ؟

فاعلم ان التوحيد الذي دعت اليه الرسل من اولهم الى آخرهم : افراد الله بالعبادة كلها ، ليس فيها حق لملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فضلاً عن غيرهم . فمن ذلك لا يدعى إلا إياه ، كما قال تعالى : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً » . فمن عبد الله ليلاً ونهاراً ، ثم دعا نبياً او ولياً عند قبره ، فقد اتخذ إلهين اثنين ، ولم يشهد ان لا إله إلا الله ، لأن الإله هو : المدعو . كما يفعل المشركون اليوم عند قبر الزبير ، أو عبد القادر او غيرهم ، وكما يفعل قبل هذا عند قبر زيد او غيره. ومن ذبح لله الف ذبيحة، ثم ذبح لنبي او غيره، فقد جعل إلهين اثنين ، كما قال تعالى : « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين » الآية . والنسك هو الذبح ، وعلى هذا فقس .

فمن اخلص العبادات كلها لله ، ولم يشرك فيها غيره ، فهو الذي شهد ان لا إله إلا الله ، ومن جعل فيها مع الله غيره ، فهو المشرك الجاحد لقوله « لا إله إلا الله» ، وهذا الشرك الذي ذكره قد طبق اليوم مشارق الارض ومغاربها ، إلا الغرباء المذكورين في الحديث (وقليل ما هم) وهذه المسألة لا خلاف فيها بين اهل العلم من كل المذاهب .

فاذا أردت مصداق هذا ، فتأمل باب « حكم المرتد » في كل كتاب ، وفي كل مذهب ، وتأمل ما ذكروه في الامور التي تجعل المسلم مرتداً ، يحل دمه وماله ، منها : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم كيف حكى الاجماع في «الاقناع» على ردته . ثم تأمل ما ذكروه في سائر الكتب ، فان عرفت ان في المسألة خلافاً — ولو في بعض المذاهب— فنبهني ، وان صح عندك الاجماع على تكفير من فعل هذا ، او رضيه ، او حاول فيه — فهذه خطوط المويس وابن اسماعيل ، واحمد بن يحيي ، عندنا — في انكار هذا الدين ، والبراءة منه ومن اهله ، وهم الآن يجتهدون في صد الناس عنه . فان استقمت على التوحيد وتبينت فيه ، ودعوت الناس اليه بعداوة هؤلاء ، خصوصاً ابن يحيي، وصبرت على الأذى من ذلك ، فأنت اخونا وحبيبنا ، وذلك محل المذاكرة في المسائل التي ذكرت . فان بان الصواب معك وجب علينا الرجوع اليك .

والله أعلم .

-٢١-

وهذه أرسلها جواباً لرجل من أهل الحسا ، يقال له احمد بن عبد الكريم ، وكان قد عرف التوحيد وكفر المشركين ، ثم انه حصلت له شبهة في ذلك ، بسبب عبارات رآها في كلام الشيخ تقي الدين ، ففهم منها غير مراد الشيخ رحمه الله ، قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى احمد بن عبد الكريم :

سلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، أما بعد :

فقد وصل مكتوبك تقرر المسألة التي ذكرت ، وتذكر ان عليك إشكالاً تطاب ازالته ، ثم ورد منك مراسلة ، تذكر انك عثرت على كلام للشيخ ازال عنك الإشكال. فنسأل الله ان يهديك لدين الاسلام . وعلى أي شيء يدل كلامه على ان من عبد الاوثان عبادة اكبر من عبـــادة اللات والعزى ، وسب دين الرسول بعد ما شهد به - مثل سب ابي جهل - انه لا يكفر بعينه بل العبارة صريحة واضحة في تكفير مثل ابن فيروز وصالح بن عبدالله وامثالهما ، كفراً ظاهراً ينقل عن الملة ، فضلاً عن غيرهما . هذا صريح واضح في كلام ابن القيم الذي ذكرت . وفي كلام الشيخ الذي أزال عنك الاشكال في كفر من عبد الوثن الذي على قبر يوسف وامثاله ، ودعاهم في الشدائد والرخاء ، وسب دين الرسل بعدما أقر به ، ودان بعبادة الاوثان بعد ما اقر بها ، وليس في كلامي هذا مجازفة ، بل انت تشهد به عليهم ، ولكن اذا أعمى الله القلب فلا حيـــلة فيه ، وانا اخاف عليك من قوله تعالى : « ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبـع على قلوبهم فهم لا يفقهون» . والشبهة التي ادخلت عليك هذه البضـــاعة التي في يدك تخاف تضيع انت وعيالك في بلد المشركين وشاك في رزق الله .

وايضاً قرناء السوء اضلوك ، كما هي عادتهم ، وانت - والعيـــاذ بالله - تنزل درجة درجة ، أول مرة في الشك وبلد الشرك ، وموالاتهم ، والصلاة خلفهم ، وبراءتك من المسلمين، مداهنة لهم ، ثم بعد ذلـك طحت على ابن غنام وغيره ، واشهدتهم على نفسك باتبـاع المشركين من غير اكراه ، لكن خوفاً ومداراة ، وغاب عنك قوله تعالى في عمار بن ياسر واشباهه : (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمـــان) الى قوله : (ذلك بانهم

استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) . فلم يستثن الله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ، بشرط طمأنينة قلبه. والاكراه لا يكون على العقيدة، بل على القول والفعل فقد صرح ، بان من قال الكفر او فعله فقد كفر الا المكره ، بالشرط المذكور وذلك ان ذلك بسبب ايثار الدنيا لا بسبب العقيدة .

فتفكر في نفسك : هل أكرهوك ، وعرضوك على السيف مثل عمار ، ام لا ؟ وتفكر : هل هذا بسبب ان عقيدته تغيرت ام بسبب ايثار الدنيا ؟ ولم يبق عليك الا رتبة واحدة وهي : انك تصرح مثل ابن رفيع تصريحاً بمسبة دين الانبياء ، وترجع الى عبادة غير الله .

ولكن الامر بيد مقلب القلوب ، فأول ما انصحك به انك تفكر ، هل هذا الشرك الذي عندكم هو الشرك الذي ظهر نبيك ﷺ ينهى عنه قريشاً ؟ ام شرك قريش نوع آخر اغاظ منه ؟ ام هذا اغلظ ؟ فاذا أحكمت المسألة ، وعرفت ان غالب من عندكم سمع الآيات ، وسمع كلام اهل العلم من المتقدمين والمتأخرين واقر به ، وقال: اشهد ان هذا هو الحق ، ونعرفه قبل ابن عبد الوهاب ثم بعد ذلك يصرح بمسبة ما شهد انه الحق ، ويصرح بحسن الشرك واتباعه، وعدم البراءة من اهله. فتفكر: هل هذه مسألة او مسألة الردة الصريحة التي ذكرها اهل العلم في الردة ؟ ولكن العجب من دلائلك التي ذكرت كأنها اتت ممن لا يسمع ولا يبصر

اما استدلالك بترك النبي ﷺ ومن بعده تكفير المنافقين وقتلهم ، فقد صرح الخاص والعام ببديهة العقل : انهم – لو يظهرون كلمة واحدة او فعلاً واحداً من عبادة الاوثان او مسبة التوحيد الذي جاء به الرسول ﷺ – انهم يقتلون اشر قتلة .

فان كنت تزعم ان الذين عندكم اظهروا اتباع الدين ، الذي تشهد انه دين الرسول ﷺ ، وتبرؤا من الشرك بالقول والفعل ، ولم يبق الا اشياء خفية تظهر على صفحات الوجه ، او فلتة لسان في السر ، وقد تابوا من دينهم الاول،

وقتلوا الطواغيت ، وهدموا البيوت المعبودة – فقل لي : وان كنت تزعم ان الشرك الذي خرج عليه رسول الله ﷺ اكبر من هذا – فقل لي : وان كنت تزعم إن الانسان، إذا أظهر الاسلام، لا يكفر إذا أظهر عبادة الاوثان، وزعم انها الدين ، وأظهر سب دين الانبياء ، وسماه دين أهل العارض ، وافتى بقتل من أخلص لله الدين وإحراقه وحل ماله –فهذه مسألتك! وقد قررتها ، وذكرت ان من زمن النبي ﷺ الى يومنا هذا لم يقتلوا أحداً ولم يكفروه من اهل الملة .

أما ذكرت قول الله تعالى : (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض) الى قوله : (ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلاً) واذكر قوله : (ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها) الى قوله : (فخذوهم واقتلوهم) ، الآية . واذكر قوله في الاعتقاد بالانبياء : (أيأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون)، واذكر ما صح عن رسول الله ﷺ انه اشخص رجلاً معه الراية الى من تزوج امرأة ابيه ليقتله ويأخذ ماله . فأي هذين اعظم ؟ تزوج امرأة الاب ام سب دين الانبياء بعد معرفته ؟ واذكر انه قد هم بغزو بني المصطلق لما قيل انهم منعوا الزكاة ، حتى كذب الله من نقل ذلك ، واذكر قوله في أعبد هذه الامة ، واشدهم اجتهاداً (لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجراً لمن قتلهم يوم القيامة) ، واذكر قتال الصديق واصحابه مانعي الزكاة ، وسبي ذراريهم ، وغنيمة اموالهم ، واذكر اجماع الصحابة على قتل اهل مسجد الكوفة وكفرهم وردتهم لما قالوا كلمة في تقرير نبوة مسيلمة – ولكن الصحابة اختلفوا في قبول توبتهم لما تابوا ، والمسألة في صحيح البخاري وشرحه في الكفالة ، واذكر اجماع الصحابة لما – استفتاهم عمر رضي الله عنه، على كفر من زعم ان الخمر تحل للخواص مستدلاً بقوله تعالى : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) مع كونه من اهل بدر ، واجمع الصحابة على كفر من اعتقد في علي مثل اعتقاد هؤلاء في عبد القادر ، وردتهم ، وقتلهم ، فاحرقهم

علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وهم احياء ، فخالفه ابن عباس في الاحراق وقال: يقتلون بالسيف – مع كونهم من اهل القرن الاول اخذوا العلم عن الصحابة ، واذكر اجماع اهل العلم من التابعين وغيرهم على قتل الجعد بن درهم وأمثاله.

قال ابن القيم :

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من اخي قربان

ولو ذهبنا نعدد من كفره العلماء مع ادعائه الاسلام ، وأفتوا بردته وقتله– لطال الكلام . لكن من آخر مـا جرى قصة بني عبيد ملوك مصر وطائفتهم وهم يدعون من اهل البيت ، ويصلون الجمعة والجماعة ونصبوا القضـاة والمفتين ، واجمع العلماء على كفرهم وردتهم وقتالهم ، وان بلادهم بلاد حرب يجب قتالهم ولو كانوا مكرهين مبغضين لهم .

واذكر كلامه في « الاقنـاع ، وشرحه » في الردة كيف ذكروا انواعاً كثيرة موجودة عندكم ، ثم قـــال منصور « وقد عمت البلوى بهذه الفرق ، وافسدوا كثيراً من عقائد اهل التوحيد ، نسأل الله العفو والعافية » هذا لفظه بحروفه ، ثم ذكر قتل الواحد منهم وحكم ماله ، هل قال واحد من هؤلاء من الصحابة الى زمن منصور ان هؤلاء يكفر انواعهم لا اعيانهم ؟ وامـــا عبارة الشيخ التي لبسوا بها عليك ، فهي اغلظ من هذا كله ، ولو نقول بهـــا لكفرنا كثيراً من المشاهير باعيانهم ، فانه صرح فيها بان المعين لا يكفر الا إذا قامت عليه الحجة ، فان كان المعين لا يكفر الا إذا قامت عليه الحجة فمن المعلوم ان قيامهـا ليس معناه ان يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم ابي بكر رضى الله عنه بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شيء يعذر به – فهو كافر كما كان الكفار كلهم تقوم عليه الحجة بالقرآن ، مع قول الله : (وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه) ، وقوله : (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) . وإذا كان كلام الشيخ ليس في الشرك والردة ، بل في المسائل الجزئية ، سواء

كانت من الاصول او الفروع ، ومعلوم انهم يـذكرون في – كتبهم – في مسائل الصفات او مسألة القرآن ، او مسألة الاستواء او غير ذلـك – مذهب السلف ، ويذكرون مذهب الاشعري او غيره ، ويرجحونه ويسبون من خالفه. فلو قدرنا انها لم تقم الحجة على غالبهم ، قامت على هذا المعين الذي يحكي المذهبين: مذهب رسول الله ﷺ ومن معه ، ثم يحكي مـذهب الاشعري ومن معه. فكلام الشيخ في هذا النوع يقول ان السلف كفروا النوع ، واما المعين : فان عرف الحق وخالفه كفر بعينه ، والا لم يكفر وانا اذكر لك من كلامه ما يصدق هذا ، لعلك تنتفع ان هداك الله ، وتقوم عليك الحجة قياماً بعد قيام والا فقد قامت عليك وعلى غيرك قبل هذا .

قال رحمه الله في « اقتضاء الصراط المستقيم » في الكلام على قوله : (وما اهل لغير الله به) : ظاهره انه ما ذبح لغـــير الله حرم ، سواء لفظ به او لم يلفظ ، وهذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم وقال فيه: باسم المسيح ونحوه ، فان عبادة الله والنسك له اعظم من الاستعـــانة باسمه في فواتح الامور ، فكذلك الشرك بالنسك لغيره اعظم من الاستعانة باسمه . وعلى هـــذا لو ذبح لغير الله متقرباً اليه وان قال فيه : بسم الله ، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الامة وان كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال ، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان. ومن هذا الباب ما قد يفعله الجاهلون من الذبح للجن .

انتهى كلامه بحروفه .

فانظر كلامه لمن ذبح لغير الله وسمى الله عليه عند الذبح انه مرتـد تحرم ذبيحته ولو ذبحها للأكل. لكن هذه الذبيحة تحرم من جهتين ، من جهة انها مما اهل به لغير الله ، وتحرم ايضاً لانها ذبيحة مرتد ، يوضح ذلك ما ذكرته ان المنافقين إذا اظهروا نفاقهم صاروا مرتدين فاين هذا من نسبتك عنه انه لا يكفر احداً بعينه ؟

وقال ايضاً في اثناء كلامه على المتكلمين ومن شاكلهم – لما ذكر عن ائمتهم

شيئاً من انواع الردة والكفر — قال رحمه الله : هذا اذا كان في المقالات الخفية فقد يقال انه فيها مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها لكن ذلك يقع في طوائف منهم من الامور الظاهرة التي يعلم المشركون واليهود والنصارى ان محمداً ﷺ بعث بها وكفر من خالفها ، مثل : أمره بعبادة الله وحده لا شريك له ، ونهيه عن عبادة احد سواه من النبيين والملائكة وغيرهم ، فان هذا أظهر شرائع الاسلام . ثم تجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا في هذه الانواع ، فكانوا مرتدين ، وكثير منهم تارة يرتد عن الاسلام ردة صريحة ، وتارة يعود اليه مع مرض في قلبه ونفاق والحكاية عنهم في ذلك مشهورة ، وقد ذكر ابن قتيبة من ذلك طرفاً في اول « مختلف الحديث » وابلغ من ذلك ان منهم من صنف في الردة كما صنف الفخر الرازي في عبادة الكواكب وهذه ردة عن الاسلام باتفاق المسلمين .

هذا لفظه بحروفه

فانظر كلامه في التفرقة بين المقالات الخفية وبين ما نحن فيه من كفر المعين ، وتأمل تكفيره رؤوسهم : فلاناً وفلاناً باعيانهم ، وردتهم ردة صريحة وتأمل تصريحه بحكاية الاجماع على ردة الفخر الرازي عن الاسلام مع كونه عند علمائكم من الائمة الاربعة — هل يناسب هذا لما فهمت من كلامه ان المعين لا يكفر ، ولو دعا عبدالقادر في الرخاء والشدة ، ولو احب عبدالله ابن عون وزعم ان دينه حسن مع عبادته ابي حديدة ، ولو ابغضك واستنجسك — مع انك اقرب الناس اليه ، لما رآك ملتفتاً بعض الالتفات الى التوحيد مع كونك توافقهم على شيء من شركهم وكفرهم .

وقال الشيخ ايضاً في رده على بعض المتكلمين واشباههم : والقوم — وان كان لهم ذكاء وفطنة ، وفيهم زهد واخلاق — فهذا لا يوجب السعادة الا بالايمان بالله وحده ، وانما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن ، واهل الرأي والعلم بمنزلة الملك والامارة ، فكل منهم لا ينفعه ذلك الا ان يعبد الله وحده لا شريك له ويتخذه

الهاً دون ما سواه ، وهو معنى قوله «لا اله الا الله » وهذا ليس في حكمتهم : ليس فيها الامر بعبادة الله وحده والنهي عن عبادة المخلوقات بل كل شرك في العالم انما حدث بزي جنسهم ، فهم الآمرون بالشرك ، الفـــاعلون له ، ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه، بل يقر هؤلاء وهؤلاء وان رجح الموحدين ترجيحاً ما، فقد يرجح غيره المشركين وقد يعرض عن الامرين جميعاً . فتدبر هذا فانه نافع جداً، وكذلك الذين كانوا في ملة الاسلام ـ لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد ، (بل يسوغون الشرك ويأمرون به إذا ادعوا التوحيد)، فانما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل. والتوحيدالذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد باخلاص ، الدين كله لله ، عبادته وحده لا شريك له وهذا شيء لا يعرفونه . والتوحيد الذي يدعونه انمـــا هو تعطيل حقائق الاسماء والصفات ، فلو كانوا موحدين بالكلام – وهو ان يصفوا الله بما وصفته به رسله، لكان معهم التوحيد دون العمل ، وذلك لا يكفي في النجـــاة ، بل لا بد ان يعبدوا الله وحده ويتخذوه الهاً دون ما سواه ، وهو معنى قوله «لا اله الا الله» فكيف وهم في القول معطلون جاحدون .

انتهى .

فتأمل كلامه واعرضه على ما غرك به الشيطان من الفهم الفاسد الذي كذبت فيه الله ورسوله واجماع الامة، وتحيزت به الى عبادة الطواغيت. فان فهمت هذا وإلا اشير عليك انك تكثر من التضرع والدعاء إلى من الهداية بيده فان الخطر عظيم. فان الخلود في النار جزاء الردة الصريحة وعندنا ناس يجيئون بعيالهم بلا مال ولا جاعوا ولا شحذوا وقد قال الله في هذه المسألة : «يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون وكأين من دابة لا تحمل رزقهـا الله يرزقها واياكم وهو السميـع العليم» .

والله اعلم .

-٢٢-

وهذه ارسلها الى اخوانه من اهل سدير بسبب امر جرى بين اهل الحوطة من بلدان سدير وقال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد بن عبد الوهاب الى من يصل اليه هذا الكتاب من الاخوان ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ،

فيجري عندكم أمور تجري عندنا من سابق ، وننصح اخواننا إذا جرى منها شيء حتى فهموها ، وسببها ان بعض اهل الدين ينكر منكرا وهو مصيب ، لكن يخطىء في تغليظ الامر الى شيء يوجب الفرقة بين الاخوان وقد قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) الآية ، وقال ﷺ ، (ان الله يرضى لكم ثلاثاً : ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وان تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله امركم » .

واهل العلم يقولون : الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج الى ثلاث : ان يعرف ما يأمر به وينهى عنه ، ويكون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه ، صابراً على ما جاءه من الاذى .

وانتم محتاجون للحرص على فهم هذا والعمل به ، فان الخلل انما يدخل على صاحب الدين من قلة العمل بهذا او قلة فهمه . وايضاً يذكر العلماء ان انكار المنكر اذا صار يحصل بسببه افتراق ، لم يجز انكاره . فالله الله في العمل بما ذكرت لكم والتفقه فيه ، فانكم ان لم تفعلوا صار انكاركم مضرة على الدين ، والمسلم ما يسعى الا في صلاح دينه ودنياه .

وبسبب هذه المقالة التي وقعت بين اهل الحوطة ان صار اهل الدين واجباً عليهم انكار المنكر ، فلما غلظوا الكلام صار فيه اختلاف بين اهل الدين فصار فيه مضرة على الدين والدنيا .

وهذا الكلام وان كان قصيرا فمعناه طويل ، فلازم تأملوه وتفقهوا فيه ، واعملوا به ، فان عملتم صار نصراً للدين ، واستقام الامر ان شاء الله .

والجامع لهذا كله انه اذا صدر المنكر من امير او غيره ، ان ينصح برفق خفية ما يعلم احد ، فان وافق وإلا أرسل اليه رجلًا يقبل منه بخفية . فان لم يفعل ، فيمكن الانكار ظاهراً ، إلا ان كان على امير ونصحه ولا وافق واستلحق عليه ولا وافق فيدفع الامر بيناً خفية .

وهذا الكتاب كل اهل بلد ينسخون منه نسخة ، ويجعلونها عندهم ، ثم يرسلونه ، لحرمة ، والمجمعة ، ثم للغاط والزلفى .

والله اعلم .

- ٢٣ -

وهذه ارسلها الى احمد بن يحيى مطوع من اهل رغبة ، قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد بن عبد الوهاب الى احمد بن يحيى .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ،

ما ذكرت من طرف مراسلة سليمان فلا ينبغي انها تزعلك اولا : انه لو خالف فمثلك يحلم ولا يأتي بغايته هذا ولا اكثر منه . وثانياً : انك اذا عرفت ان كلامه ما له فيه قصد الا الجهد في الدين ولو صار مخطئاً فالاعمال بالنيات ،

والذي هذا مقصده يغتفر له ولو جهل عليك ، ونحن ملزمون عليك لزمة جيدة وتتلاشى فيها كل لزمة .

وهذه الفتنة الواقعة ليست في مسائل الفروع التي ما زال اهل العلم يختلفون فيها من غير نكير ؛ ولكن هـذه في شهادة « ان لا اله إلا الله » . والكفر بالطاغوت ولا يخفاك ان الذي عادانا في هذا الامر هم الخاصة الذين ليسوا بالعامة. هذا ابن اسماعيل، والمويس وابن عبيد ، جاءتنا خطوطهم في انكار دين الاسلام – الذي حكاه في « الاقناع » في باب « حكم المرتد » الاجماع في كل المذاهب ان من لم يدن به فهو كافر . وكاتبناهم ، ونقلنا لهم العبارات ، وخاطبناهم بالتي هي احسن ، وما زادهم ذلك الا نفوراً ، وزعموا ان اهـل «العارض» ارتدوا لما عرفوا شيئاً من التوحيد .

وانت تفهم ان هـذا لا يسعك التكفي عنه ، فالواجب عليك نصر اخيك ظالماً او مظلومـاً ، وان تفضل الله عليك بفهم ومعرفة فلا تعذر ، لا عنـد الله ولا عند خلقه من الدخول في هذا الامر . فان كان الصواب معنـا ، فالواجب عليك الدعوة الى الله ، وعـداوة من صرح بسب دين الله ورسوله. وان كان الصواب معهم ، او معنا شيء من الحق وشيء من الباطل ، او معنا غلو في بعض الامور – فالواجب منك مذاكرتنا ونصيحتنا وتورينا عبارات اهل العلم . لعل الله ، ان يردنا بك الى الحق . وان كان ، اذا حررت المسألة ، اذ انهـا من مسائل الاختلاف ، وان فيها خلافـاً عند الحنفية او الشافعية او المالكية – فتلك مسألة اخرى .

وبالجملة فالامر عظيم ، ولا نعذرك من تأمل كلامنا وكلامهم ثم تعرضه على كلام اهل العلم ، ثم تبين في الدعوة الى الحق ، وعـداوة من حـاد الله ورسوله منا او من غيرنا

والسلام .

وهذه ارسلها الى عبدالله بن عيسى مطوع الدرعية ، قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد بن عبد الوهاب الى عبدالله ابن عيسى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، اما بعد ،

فقد قال ابن القيم في «اعلام الموقعين» قال الله تعالى : فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم » فقسم الامر الى امرين لا ثالث لهما : امـا الاستجابة للرسول، واما اتباع الهوى. وذكر كلاماً في تقرير ذلك الى ان قال : ثم اخبر سبحانه ان من تحاكم او حاكم الى غير ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم عليه - يعني الآيات في النساء : (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحـــاكموا الى الطاغوت وقـد امروا ان يكفروا به) .

قال : والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حـده من : معبود ، او متبوع ، او مطاع . فطاغوت كل قوم : من يتحاكمون اليه - غـير الله ورسوله - او يتبعونه على غير بصيرة من الله ، او يطيعونه فيما لا يعلمون انه طاعة لله . فهذه طواغيت العالم اذا تأملتها وتأملت احوال الناس معهـــا - رأيت اكثرهم ممن اعرض عن طاعة الله ومتابعة رسوله، الى طاعـة الطاغوت ومتابعته ، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين من هذه الامة - وهم الصحابة ومن تبعهم - قـال الله (فتقطعوا امرهم بينهم زبُراً كل حزب بما لديهم فرحون) . والزبر : الكتب. أي كل فرقة صنفوا كتباً اخذوا بها ، وعملوا بها، دون كتب الآخرين كما هو الواقع سواء .

وقال : (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن عباس : تبيض وجوه اهل السنة والائتلاف ، وتسود وجوه اهل الفرقة والاختلاف .

هذا كله كلام ابن القيم .

وقال الشيخ تقي الدين في كتاب «الايمان»: قال الله تعالى «اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله » الآية . وفي حديث عدي بن حاتم انه قال للنبي ﷺ « انا لسنا نعبدهم . قال : اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ قلت : بلى . قال فتلك عبادتهم » . رواه الامام احمد والترمذي وغيره .

وقال ابو العالية : انهم وجدوا في كتاب الله ما امروا به وما نهوا عنه فقالوا : لن نسبق احبارنا بشيء ، فما امرونا به ائتمرنا ، وما نهونا عنه انتهينا لقوله « ونبذوه وراء ظهورهم » انتهى كلام ابن تيمية .

فتأمل هذا الكلام بقلبك ، ثم نزله على احوال الناس وحالك ، وتفكر في نفسك وحاسبها : بأي شيء تدفع هذا الكلام ، وبأي حجة تحتج يوم القيامة على ما انت عليه؟ فان كان عندك شبهة فأذكرها، فانا ابينها ان شاء الله تعالى . والمسألة مثل الشمس ولكن من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له . وان لم يتسع عقلك لهذا فتضرع الى الله بقلب حاضر ، خصوصاً في الاسحار : ان يهديك للحق ويريك الباطل باطلًا . وفر بدينك ، فان الجنة والنار امامك ، والله المستعان . ولا تستهجن هذا الكلام فوالله ما اردت به الا الخير .

وصلى الله على محمد وآله وسلم .

-٢٥-

من محمد بن عبد الوهاب الى عبد الوهاب بن عبدالله بن عيسى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ،

ان تفضلتم بالسؤال فنحمدالله اليكم، الذي لا إله الا هو، ونحن بخير وعافية، جعلكم الله كذلك واحسن منذلك. وابلغوا لنا الوالد السلام — سلمه الله من خزى الدنيا وعذاب الآخرة . وغير ذلك في نفسي عليه بعض الشيء من جهة المكاتيب لما حبسها عنا هجسنا فيه الظن الجميل ، ثم بعد ذلك سمعنا بعض الناس يذكر انه معطيها بعض السفهاء يقرؤنها على الناس . وانا اعتقد فيه المحبة ، واعتقد ايضاً انه له غاية وعقلاً ، وهو صاحب فضل علينا فلا ودي يعقبه بالاذى ويكدر هذه المحبة بلا منفعة في العاجل والآجل . وانا الى الآن ما تحققت ذلك واهوجس فيه بالهاجوس الجيد . وذكر ايضـــاً عنه بعض الناس بعض الكلام الذي يشوش الخاطر .

فان كان يرى أن هذا ديانة ، ويعتقده من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأنا ولله الحمد لم آت الذي اتيت بجهالة ، واشهد الله وملائكته انه — ان اتاني منه ، او ممن دونه في هذا الامر ، كلمة من الحق — لأقبلنها على الرأس والعين واترك قول كل امـــام اقتديت به ، حاشا رسول الله ﷺ ، فانه لا يفارق الحق .

فان كانت مكاتيب اولياء الشيطان ، وزخرفة كلامهم — الذي اوحى اليهم ، ليجادل في دين الله، لما رأى ان الله يريد ان يظهر دينه — غرته ، واصغت اليها افئدتكم فاذكروا لى حجة مما فيها ، او كلها ، او في غيرها من الكتب ممـــا تقدرون عليه انتم ومن وافقكم ، فان لم اجاوبه بجواب فاصل بـين ، يعلم كل من هداه الله انه الحق ، وان تلك هي الباطل — فأنكروا علي .

وكذلك عندي من الحجج الكثيرة الواضحة مـا لا تقدرون انتم ولا هم ان تجيبوا عن حجة واحدة منها ، وكيف لكم بملاقاة جند الله ورسوله ؟ وان كنتم تزعمون ان اهل العلم على خلاف مـا انا عليه ، فهذه كتبهم موجـودة — ومن اشهرهم واغلظهم : كلام الامام احمد — كلهم على هذا الامر لم يشذ منهم رجل واحد ولله الحمد ، ولم يأت عنهم كلمة واحدة انهم ارخصوا لمن لم يعرف الكتاب والسنة من امركم فضلًا عن ان يوجبوه .

وان زعمتم ان المتأخرين معكم فهؤلاء سادات المتأخرين وقادتهم : ابن تيمية وابن القيم ، وابن رجب ، عندنا له مصنف مستقل في هذا . ومن الشافعية : الذهبي وابن كثير ، وغيرهم وكلامهم في انكار هـــذا اكثر من ان يحصر . وبعض كلام الامام احمد ذكره ابن القيم في «الطرق الحكمية» فراجعه . ومن ادلة شيخ الاسلام : «اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله» ، الآية ، فقد فسرها رسول الله ﷺ والائمة بعده ، بهذا الذي تسمونه : الفقه وهو الذي سماه الله شركاً واتخاذهم ارباباً — لا اعلم بين المفسرين في ذلك اختلافاً .

والحاصل ان من رزقه الله العلم يعرف ان هذه المكاتيب التي اتتكم وفرحتم بها وقرأتموها على العامة — من عند هؤلاء الذين تظنون انهم علماء ، كما قال الله تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً » الى قوله : «ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة » لكن هذه الآيات ونحوها عندكم من العلوم المهجورة . بل اعجب من هذا انكم لا تفهمون شهادة ان « لا اله الا الله » ولا تنكرون هذه الاوثان التي تعبد في «الخرج» وغيره ، التي هي الشرك الاكبر باجمـــاع اهل العلم ، هذا آخر ما وجد من الرسالة » .

وهذه ارسلها الشيخ الى اهل العيينة يبطل فيها مـــا موه به سليمان بن عبد الوهاب في احد كتبه اليهم ؟ قال الشيخ رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم .

روى مسلم في صحيحه – عن عمرو بن عبسة السلمي رضى الله عنـه قـال : «كنت وانا في الجاهلية اظن ان الناس على ضـلالة ، وانهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الاوثان . قال : فسمعت برجل في مكة يخبر اخباراً ، فقعدت على راحلتي حتى قدمت عليه ، فاذا رسول الله ﷺ مستخفياً ، جراء عليه قومه ، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة ، فقلت : وما انت ؟ فقال : انا نبي قلت: وما نبي ؟ قال : ارساني الله فقلت : باي شيء ارسلك ؟ فقال: ارسلني بصلة الارحام وكسر الاوثان، وان يوحد الله لا يشرك به شيء فقلت : ومن معك على هذا؟ قال : حر وعبد – قال ومعه يومئذ ابو بكر وبلال – فقلت اني متبعـك . فقال : انك لا تستطيع ذلك يومك هذا ، الا ترى حـــالي وحال الناس ؟ ولكن ارجع الى اهلك ، فاذا سمعت بي قد ظهرت فأتني . قـــال فذهبت الى اهلي ، وقدم رسول الله ﷺ المدنية ، وكنت في اهلي، فجعلت أتخبر الاخبار، واسأل الناس حين قدم المدينة ، حتى قدم نفر من اهل يثرب من اهل المدينة . فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة ؟ فقالوا : الناس اليه سراع، وقد اراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك. فقدمت المدينة. فقلت يا رسول الله اتعرفني! قال : انت الذي لقيتني بمكة ؟ فقلت يا نبي الله اخبرني عما علمك الله وأجهله ، اخبرني عن الصلاة قال : صـــل صلاة الصبح ، ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وحتى ترتفع ، فانها تطلع حين تطلع بـين قرني شيطـان ، وهي حينئذ يسجد لها الكفار ، وصل فان الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح،

ثم اقصر عن الصلاة فانها حينئذ تسجر جهنم، فاذا اقبل الفيء فان الصلاة محضورة حتى تصلي العصر، ثم اقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس ، فانها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار» وذكر الحديث .

قال أبو العباس رحمه الله : فقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب، بانها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وانه حينئذ يسجد لها الكفار ومعلوم ان المؤمن لا يقصد السجود الا لله ، واكثر الناس قد لا يعلمون ان طلوعها وغروبها بين قرني شيطان ، ولا ان الكفار يسجدون لها . ثم انه ﷺ نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسماً لمادة المشابهة . ومن هذا الباب انه كان اذا صلى الى عود او عمود جعله على جانبه الايمن ولم يصمد اليه صمداً ، ولهذا نهى عن الصلاة الى ما عبد من دون الله في الجملة . ولهذا ينهى عن السجود لله بين يدي الرجل لما فيه من مشابهة السجود لغير الله .

انتهى كلامه .

فليتأمل المؤمن الناصح لنفسه ما في هذا الحديث من العبر فان الله سبحانه يقص علينا اخبار الانبياء واتباعهم ليكون المؤمن من المستأخرين عبرة فيقيس حاله بحالهم. وقص قصص الكفار والمنافقين لتجتنب، ويجتنب من تلبس بها ايضاً.

فما فيه من الاعتبار : ان هذا الاعرابي الجاهل – لما ذكر له ان رجلاً بمكة يتكلم بالدين بما يخالف الناس – لم يصبر حتى ركب راحلته ، فقدم عليه، وعلم ما عنده لما في قلبه من محبة الدين والخير وهذا فسر به قوله تعالى : « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم» اي: حرصاً على تعلم الدين ، لأسمعهم اي : افهمهم. فهذا يدل على ان عدم الفهم في أكثر الناس اليوم عدل منه سبحانه لما يعلم ما في قلوبهم من عدم الحرص على الدين. فتبين ان من اعظم الاسباب الموجبة لكون الانسان من شر الدواب هو عدم الحرص على التعلم، واذا كان هذا الجاهل يطلب هذا الطلب ، فما عذر من ادعى اتباع الانبياء وبلغه عنهم ما بلغه، وعنده من يعرض عليه التعليم ولا يرفع بذلك رأساً ، فان حضر او استمع فكما قال

تعالى : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم » .

وفيه من العبر ايضاً : انه لما قال : ارساني الله . قال : باي شيء ارسلك ؟ قال ، بعبادته وحده لا شريك له ، وكسر الاوثان ومعلوم ان كسرها لا يستقيم الا بشدة العداوة وتجريد السيف فتأمل زبدة الرسالة .

وفيه ايضـــاً : انه فهم المراد من التوحيد ، وفهم انـه امر كبير غريب ولأجل هذا قال : من معك على هذا ؟ قال: حر وعبد. فأجابه ان جميع العلماء والملوك والعامة مخالفون له، ولم يتبعه على ذلك الا من ذكر . فهذا اوضح دليل على ان الحق قد يكون اقل القليل ، وان البـــاطل قد يملأ الارض . ولله در الفضيل بن عياض رحمه الله حيث يقول : «لا تستوحش من الحق لقلة السالكين ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين» وأحسن منه قوله تعالى :(ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فأتبعوه الا فريقاً من المؤمنين) .

وفي الصحيحين « إن بعث النار من كل الف نسمة تسعة وتسعون وتسعمائة ، وفي الجنة واحد من كل الف . ولما بكوا من هذا لما سمعوه ، قال ﷺ انها لم تكن نبوة قط الا كان بين يديها جاهلية فيؤخذ العدد من الجاهلية فان تمت والا اكملت من المنافقين » . قال الترمذي : حسن صحيح .

فاذا تأمل الانسان مـــا في هذا الحديث من صفة بدء الاسلام ومن اتبع الرسول ﷺ « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ » تبين له الأمر ، ان هداه الله وانزاحت عنـه الحجة الفرعونية : (فمـــا بال القرون الاولى) والحجة القرشية : « ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة » وقال ابو العباس رحمه الله تعالى في «اقتضاء الصراط المستقيم» في الكلام على قوله تعالى «وما اهل لغيرالله به» ظاهره: انه ما ذبح لغير الله ، سواء لفظ به او لم يلفظ . وتحريم هـذا اظهر من تحريم ما ذبح للحم ، وقال فيه : باسم المسيح ونحوه كما ان ما ذبحناه متقربين به الى الله كان ازكى مما للحم وقلنا عليه : بسم الله ، فان عبادة الله بالصلاة له والنسك

له ، اعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الامور ، والعبادة لغير الله اعظم كفراً من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغيرالله متقرباً اليه لحرم وان قال فيه باسم الله كما يفعله طائفة من منافقي هذه الامة ، وان كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال ، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان . ومن هذا ما يفعل من الذبح للجن .

انتهى كلام الشيخ .

وهو الذي ينسب اليه بعض اعداء الدين انه لا يكفر المعين . فانظر رحمك الله الى تكفيره من ذبح لغير الله من هذه الامة ، وتصريحه ان المنافق يصير مرتداً بذلك . وهذا في المعين ، اذ لا يتصور أن تحرم الا ذبيحة معين .

وقال ايضاً في الكتاب المذكور : وكانت الطواغيت الكبار التي تشد اليها الرحال ثلاثة : اللات والعزى ومناة وكل واحد منها لمصر من امصار العرب ، فكانت اللات لأهل الطائف - وذكروا انه في الاصل كان رجلًا صالحاً يلت السويق للحاج ، فلما مات عكفوا على قبره. واما العزى فكانت لأهل مكة قريباً من عرفات وكانت حذو قديد من ناحية الساحل ومن اراد ان يعلم كيف كانت احوال المشركين في عبادة اوثانهم ، ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله وانواعه حتى يتبين له تأويل القرآن - فلينظر الى سيرة النبي ﷺ واحوال العرب في زمانه، وما ذكرهالأزرقي في«اخبار مكة» وغيره من العلماء.

ولما كان لأهل الشرك شجرة يعلقون عليها اسلحتهم ويسمونها «ذات انواط» فقال بعض الناس : يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط ، فقال : الله اكبر انها السنن «لتركبن سنن من كان قبلكم» . فأنكر ﷺ مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها ، معلقين عليها سلاحهم فكيف بما هو اطم من ذلك ، من الشرك بعينه؟... الى ان قال : فمن ذلك عدة امكنة بدمشق ، مثل مسجد يقال له : مسجد الكف ، الذي فيه تمثال كف يقال انه كف علي ابن ابي طالب ، حتى هدم الله ذلك الوثن. وهذه الامكنة كثيرة موجودة في اكثر البلاد .

ثم ذكر كلاماً في نهيه ﷺ عن الصلاة عند القبور ، فقال : العلة لما يفضي اليه ذلك من الشرك ، وذكر ذلك الشافعي وغيره ، وكذلك الأئمة من أصحاب أحمد ومالك : كأبي بكر الاثرم — عللوا بهذه العلة ، وقد قال تعالى : «وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد اضلوا كثيراً ». ذكر ابن عباس وغيره من السلف ان هذه اسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، وصوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الامد فعبدوهم ذكر هذا البخاري في صحيحه واهل التفسير: كابن جرير وغيره .

ومما يبين صحة هذه العلة انه لعن من يتخذ قبور الانبياء مساجد . ومعلوم ان قبور الانبياء لا يكون ترابها نجساً ، وقال في نفسه : «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » فعلم ان نهيه عن ذلك كنهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فسد الذريعة لئلا يصلي في هذه الساعة ، وان كان المصلي لا يصلي الا لله ، ولا يدعو الا اياه لئلا يفضي ذلك الى دعائها والصلاة عندها ، وكلا الامرين قد وقع فان من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب، ويدعوها بانواع الادعية ، حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب الى الاسلام ، وصنف فيه بعض المشركين كتاباً على مذهب المشركين ، مثل : ابي معشر البلخي ، وثابت بن قرة ، وامثالهما ممن دخل في الشرك وآمن بالجبت والطاغوت ، وهم ينتسبون الى الكتاب كما قال تعالى: «ألم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب»

انتهى كلام الشيخ رحمه الله تعالى .

فانظر رحمك الله، الى هذا الامامالذي نسب عنه من ازاغ قلبه عدم تكفير المعين ، كيف ذكر عن مثل الفخر الرازي — وهو من اكابر ائمة الشافعية ومثل ابي معشر وهو من المشهورين المصنفين وغيرهما انهم كفروا وارتدوا عن الاسلام . والفخر هو الذي ذكره الشيخ في الرد على المتكلمين ، لما ذكر تصنيفه الذي ذكر هنا قال : وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين ، وسيأتي كلامه

ان شاء الله تعالى . وتأمل ما ذكره ايضاً من اللات والعزى ومناة ، وجعله بعينه هذا الذي يفعل بدمشق وغيرها . وتأمل قوله على حديث «ذات انواط». هذا قوله في مجرد مشابهتهم في اتخاذ شجرة فكيف بما هو اطم من ذلك من الشرك بعينه ؟ فهل للزائغ بعد هذا متعلق بشيء من كلام هذا الامام . وانا اذكر لفظه الذي احتجوا به على زيغهم ، قال رحمه الله: «انا من اعظم الناس نهياً عن ان ينسب معين الى تكفير ، أو تبديع ، او تفسيق ، او معصية ، الا اذا علم انه قد قامت الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى»

انتهى كلامه

وهذا صفة كلامه في المسألة في كل موضع وقفنا عليه من كلامه : لا يذكر عدم تكفير المعين الا ويصله بما يزيل الاشكال : ان المراد بالتوقف عن تكفيره قبل ان تبلغه الحجة، واذا بلغته حكم عليه بما تقتضيه تلك المسألة من تكفير او تفسيق ، او عصيان . وصرح رضي الله عنه ايضاً في غير المسائل الظاهرة ، فقال في الرد على المتكلمين – لما ذكر ان بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الاسلام كثيراً – قال : وهذا اذا كان في المقالات الخفية ، فقد يقال : انه مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها ، لكن يصدر هذا منهم في امور يعلم الخاصة والعامة من المسلمين ان رسول الله ﷺ بعث بها وكفر من خالفها ، مثل : عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهيه عن عبادة احد سواه من الملائكة والنبيين وغيرهم ، فان هذا اظهر شعائر الاسلام ، ومثل : ايجابه للصلوات الخمس وتعظيم شأنها ، ومثل : تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ، ثم تجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين . وابلغ من ذلك ان منهم من صنف في دين المشركين ، كما فعل أبو عبدالله الرازي يعني الفخر الرازي – وهذه ردة صريحة . فتأمل هذا وتأمل ما فيه من تفصيل الشبهة التي يذكرها اعداء الله ، لكن من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ، على ان الذي نعتقده ، وندين الله به ، ونرجو ان يثبتنا عليه انه : لو يغلط او اجل منه، في

هذه المسألة ، وهي : مسألة المسلم اذا اشرك بعد بلوغ الحجة ، او المسلم الذي يفضل هذا على الموحد، أو يزعم انه على حق او غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر الذي بينه الله ورسوله وبينه علماء الامة ـ انا نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله ، ولو غلط من غلط ، فكيف والحمدلله ونحن لا نعلم عن واحد من العلماء خلافاً في هذه المسألة ؟ وانما يلجأ من شاق فيها الى حجة فرعون : « فما بال القرون الاولى » او حجة قريش : « ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق . أأنزل عليه الذكر من بيننا » .

وقال الشيخ رحمه الله في الرسالة السنية ـ لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين ، وامره ﷺ بقتالهم قال : فاذا كان على عهد النبي ﷺ وخلفائه ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه ، مع عبادته العظيمة ، حتى امر ﷺ بقتالهم ، فيعلم ان المنتسب الى الاسلام او السنة في هذه الازمان قد يمرق ايضاً من الاسلام وذلك باسباب منها: الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث قال: « يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم» ، الآية . وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه حرق الغالية من الرافضة فأمر باخاديد خدت لهم عند باب كنده فقذفهم فيها ، واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس كان مذهبه ان يقتلوا بالسيف بلا تحريق، وهو قول اكثر الصحابة ، وقصتهم معروفة عند العلماء . وكذلك الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن ابي طالب ، بل الغلو في المسيح ونحوه . فكل من غلا في نبي ، او رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل ان يقول : ياسيدي فلان انصرني ، أو اغثني ، او ارزقني ، او اجبرني ، او انا في حسبك ونحو هذه الاقوال ـ فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه ، فان تاب والا قتل فان الله انما ارسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه اله آخر « والذين يدعون معالله الهاً آخراً» مثل: المسيح والملائكة والاصنام ـ لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق ، وتنزل المطر وتنبت النبات وانما كانوا يعبدونهم ، او يعبدون قبورهم ، او صورهم ويقولون : « ما نعبدهم الا ليقربونا

الى الله زلفى – ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » فبعث الله رسوله ينهي ان يدعي أحد من دونه ، لادعاء عبادة ولادعاء استغاثة. وقال تعالى: « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب» الآية .

قال طائفة من السلف : كان اقوام يدعون المسيح وعزيراً ، والملائكة... ثم ذكر رحمه الله آيات، ثم قال: عبادة الله وحده لا شريك له هي اصل الدين، وهي اصل التوحيد الذي بعث به الرسل وانزل الكتب ، قال تعالى : « ولقد بعثنا في كل امة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » وقال « وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه ان لا إله إلا انا فاعبدون » .

وكان ﷺ يحقق التوحيد ، ويعلمه امته ، حتى قال له رجل: « ما شاء الله وشئت ، قال : اجعلتني لله نداً ؟ ما شاء الله وحده» . ونهى عن الحلف بغير الله ، وقال : «من حلف بغير الله فقد اشرك» . وقال في مرض موته: « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » – يحذر مما فعلوا . وقال «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد» وقال: «لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني» ولهذا اتفق ائمة الاسلام على انه لا يشرع بناء مسجد على القبور ولا الصلاة عندها . وذلك لان من اكبر اسباب عبادة الاوثان كان تعظيم القبور . ولهذا اتفق العلماء على انه من سلم على النبي ﷺ عند قبره انه لا يتمسح بحجرته، ولا يقبلها ، لانه انما يكون لاركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق . كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو اصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً الا به ، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه ، كما قال تعالى : «ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» وكما قال تعالى: « ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيماً» ولهذا كانت كلمة التوحيد افضل الكلام واعظمه ، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي «الله لا إله الا هو الحي القيوم» وقال ﷺ « من كان آخر كلامه من الدنيا :

لا إله إلا الله ، دخل الجنة» والاله هو الذي يأله القلب عبادة له ، واستغاثة له، ورجاء له ، وخشية وإجلالاً .

انتهى كلامه

فتأمل اول الكلام وآخره فيمن دعا نبياً او ولياً ، مثل ان يقول : يا سيدي فلان اغثني ، ونحوه – انه يستتاب ، فان تاب ، والا قتل ، هل يكون هذا الا في المعين ؟ والله المستعان .

وتأمل كلامه في اللات والعزى ومناة ، وما ذكر بعده ، يتبين لك الامر ان شاء الله تعالى .

وقال ابن القيم رحمه الله في شرح المنازل في باب التوبة : واما الشرك فهو نوعان : اكبر واصغر . فالاكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه وهو : ان يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، بل اكثرهم يحبون آلهتهم اعظم من محبتهم لله، ويغضبون لمنتقص معبودهم من المشايخ اعظم مما يغضبون اذا انتقص احد رب العالمين ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا جهرة . وترى احدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه ان قام وان قعد ، وان عثر وان استوحش ، لا ينكر ذلك ويزعم انه باب حاجته الى الله، وشفيعه عنده. وهكذا كان عباد الاصنام سواء. وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم ، فأولئك كانت الهتهم من الحجر وغيرهم اتخذوها من البشر، قال الله تعالى حاكياً عن اسلاف هؤلاء : «والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار فهذا حال من اتخذ من دونه ولياً يزعم انه يقربه الى الله تعالى ، وما اعز من تخلص من هذا ، بل ما اعز من لا يعادي من انكره . والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين واسلافهم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله ، وهذا عين الشرك ، وقد انكر الله ذلك عليهم في كتابه وأبطله ، واخبر ان الشفاعة كلها له .

ثم ذكر الشيخ رحمه الله فصلًا طويلًا في تقرير هذا الشرك الاكبر، ولكن تأمل قوله: «وما اعز من تخلص من هذا بل ما اعز من لا يعادي من انكره» تبين لك بطلان الشبهة التي ادلى بها الملحدون، وزعم ان كلام الشيخ في هذا الفصل - اعني الفصل الاول - في الشرك الاكبر على الآية التي في سورة سبأ «قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض» وتكلم عليها، ثم قال: والقرآن مملوء من امثالها، ولكن اكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته، ويظنه في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثاً. وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، كما قال عمر بن الخطاب: «انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية» وهذا لانه - اذا لم يعرف الشرك، وما عابه القرآن، وما ذمه - وقع فيه واقره، وهو لا يعرف انه الذي كان عليه اهل الجاهلية، فتنتقض بذلك عرى الاسلام، ويعود المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول، ومفارقة الاهواء والبدع. ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً.

والله المستعان.

واما الشرك الاصغر، فكيسير الرياء، والحلف بغير الله وقول: هذا من الله ومنك، وانا بالله وبك، ومالي الا الله وانت، وانا متوكل على الله وعليك، ولولا انت لم يكن كذا وكذا وقد يكون هذا شركاً اكبر بحسب حال قائله وقصده.

ثم قال الشيخ رحمه الله - بعد ما ذكر الشرك الاكبر والاصغر: ومن انواع الشرك: سجود المريد للشيخ. ومن انواعه: التوبة للشيخ، فانها شرك عظيم. ومن انواعه: النذر لغير الله، والانابة والخضوع والذل لغير الله، واضافة نعمه لغيره. ومن انواعه: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم والتوجه اليهم. وهذا اصل شرك العالم، فان الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه

نفعاً ولا ضراً ، فضلاً عمن استغاث به ، أو سأله ان يشفع الى الله والله لم يجعل سؤال غيره سبباً لاذنه . وإنما السبب لاذنه كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن. والميت محتاج الى من يدعو له، كما اوصانا النبي ﷺ اذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم، ونسأل الله لهم العافية والمغفرة. فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبـادة وجعلوا قبورهم اوثانـاً تعبد فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعـاداة اهل التوحيد ونسبتهم الى تنقص الاموات . وهم تنقصوا الخالق بالشرك ، واوليـاءه الموحدين بذمهم ومعاداتهم، وتنقصوا من اشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا انهم راضون منهم بهذا وانهم آمروهم به وهؤلاء اعداء الرسل في كل زمان ومكان ، ومـا اكثر المستجيبين لهم ، ولله در خليله ابراهيم حيث يقول : «واجنبني وبني ان نعبد الاصنام. رب انهن اضللن كثيراً من الناس» وما نجا من شرك هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيده لله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم الى الله .

انتهى كلامه .

والمراد من هذا ان بعض الملحدين نسب الى الشيخ ان هذا شرك اصغر ، وشبهته انه ذكره في الفصل الثاني الذي ذكر في اوله الاصغر، وانت رحمك الله تجد الكلام من اوله الى آخره - في الفصل الاول والثاني - صريحاً لا يحتمل التأويل من وجوه كثيرة : ان دعاء الموتى ، والنذر لهم ليشفعوا له عند الله هو الشرك الاكبر ، الذي بعث النبي ﷺ لمحوه فكفر من لم يتب عنه ، وقاتله وعاداه ، وآخر ما صرح به قوله آنفاً : وما نجا من شرك هذا الشرك الاكبر إلا من عادى المشركين ... الى آخره .

فتأمل ان الاسلام لا يصح إلا بمعاداة اهل الشرك، فان لم يعادهم فهو منهم، وان لم يفعله . وقد ذكر في « الاقناع » عن الشيخ تقي الدين ان من دعا على ابن ابي طالب فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر . فاذا كان هنـاك من شك في كفره - مع عداوته له ومقته له - فكيف بمن يعتقد انه مسلم ولم

يعاده ، فكيف بمن أحبه ، فكيف بمن جادل عنه وعن طريقته ، وتعذر أنا لا نقدر على التجارة وطلب الرزق الا بذلك ، وقد قال تعالى : (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا) ، فاذا كان هذا قول الله تعالى فيمن تعذر عن التبيين في العمل ومعاداة المشركين بالخوف على اهله وعياله ، فكيف بمن اعتذر في ذلك بتحصيل التجارة ، ولكن الامر - كما تقدم عن عمر - اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، فلهذا لم يفهم معنى القرآن ، وانه اشر وأفسد من الذين قالوا : (ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا) .

ومع هذا فكلام هؤلاء الكفار نفاق وإلا فهم يعتقدون ان اهل التوحيد ضالون مضلون ، وان عبدة الاوثان اهل الحق والصواب ، كما صرح به امامهم في الرسالة التي أتتكم قبل هذه خطه بيده ، ويقول : بيني وبينكم التحاكم الى اهل هذه الاقطار ويصفهم بأنهم خير أمة اخرجت للناس، وهم كذا وكذا، فاذا كان يريد التحاكم اليهم ويصفهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس ، فكيف يصفهم ايضاً بالشرك ومخالطتهم للحاجة، وما أحسن قول اصدق القائلين: (والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك) ، (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج) .

فرحم الله امرءاً نظر لنفسه ، وتفكر فيما جاء به محمد ﷺ من عند الله بمعاداة من اشرك بالله من قريب او بعيد ، وتكفيرهم وقتالهم حتى يكون الدين كله لله ، وعلم بما حكم محمد ﷺ فيمن أشرك بالله مع ادعائه الاسلام ، وما حكم به في ذلك الخلفاء الراشدون ، كعلي بن أبي طالب وغيره ، لما حرقهم بالنار ، مع ان غيرهم من أهل الاوثان الذين لم يدخلوا في الاسلام لا يقتلون بالحريق ، والله الموفق .

وقال ابو العباس ابن تيمية في الرد على المتكلمين - لما ذكر احوال بعض أئمتهم - قال : وكل شرك في العالم انما حدث برأي جنسهم ، فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له ، ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه بل يقر هؤلاء

وهؤلاء ، وان رجح الموحدين ترجيحاً ما ، فقد يرجح غيره المشركين ، وقد يعرض عن الامرين جميعاً .

فتدبر هذا فانه نافع جداً ، ولهـذا كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمرون بالشرك ، وكذلـك الذين كانوا في ملة الاسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد . وقد رأيت من مصنفاتهم في عبادة الملائكة وعبادة الانفس المفارقة انفس الانبياء وغيرهم ـ مـا هو أصل الشرك . وهم اذا ادعوا التوحيد فانما توحيدهم بالقول . لا بالعبادة والعمل . والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد باخلاص الدين لله، وعبادته وحده لا شريك له ، وهذا شيء لا يعرفونه ، فلو كانوا موحدين بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل ، وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة بل لا بد ان يعبد الله ويتخذه الها دون ما سواه ، وهو معنى قوله « لا اله إلا الله ».

انتهى كلام الشيخ

فتأمل رحمك الله هذا الكلام ، فانه مثل ما قال الشيخ فيه « نافع جداً » ومن اكبر ما فيه من الفوائد انه يبين لك حال من اقر بهـذا الدين وشهد انه الحق، وان الشرك هوالباطل، وقال بلسانه ما اريد منه ولكن لا يدين بذلك: اما بغضا له او عدم محبة ـ كما هو حال المنافقين الذين هم بين اظهرنا. واما ايثارا لدنيا مثل تجارة وغـيرها . فيدخلون في الاسلام ثم يخرجون منـه كما قال الله تعالى : (ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا) الآية ، وقال (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) وقوله (ذلك بانهم استحبوا الحيـاة الدنيا على الآخرة)

فاذا قال هؤلاء بالسنتهم : نشهد ان هذا دين الله ورسوله ونشهد ان المخالف له باطل ، وانه الشرك بالله ـ غرّ هذا الكلام ضعيف البصيرة واعظم من هـذا واطم ان بعض اهل «حريملا» ومن وراءهم يصرحون بمحبة الدين وان الحق ما عليه اكثر الناس، ويستدلون بالكثرة على حسن ما هم عليه من الدين ، ويفعلون

ويقولون ما هو اكبر من الردة وافحشها . فاذا قالوا : التوحيد حق ـ والشرك باطل ، وايضاً لم يحدثوا في بلدهم اوثاناً ـ جادل الملحد عنهم وقال: انهم يقرون ان هذا شرك ، وان التوحيد هو الحق ، ولا يضرهم عنده ما هم عليه من السب لدين الله ، وبقي العوج له ومدح الشرك ، وذبهم دونه بالمال واليد واللسان . والله المستعان .

وقال ابو العباس ايضاً في الكلام على كفر مانع الزكاة : والصحابة لا يقولون: هل انت مقر بوجوبها او جاحد لها؟ هذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة، بل قال الصديق لعمر رضي الله عنهما والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها الى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها ، فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب ، وقد روى ان طوائف كانوا يقرون بالوجوب لكن بخلوا بها ، ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة وهي : قتل مقاتلتهم ، وسبي ذراريهم ، وغنيمة اموالهم ، والشهادة على قتلاهم بالنار، وسموهم جميعاً أهل الردة وكان من اعظم فضائل الصديق عندهم ان ثبته الله عند قتالهم ، ولم يتوقف كما توقف غيره ، فناظرهم حتى رجعوا الى قوله :

واما قتال المقرين بنبوة مسيلمة فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم .

انتهى .

فتأمل كلامه في تكفير المعين ، والشهادة عليه ـ إذا قتل ـ بالنار ، وسبي حريمه واولاده عند منع الزكاة ـ فهذا الذي ينسبون عنه اعداء الدين عدم تكفير المعين ! قال رحمه الله بعد ذلك : وكفر هؤلاء ، وادخالهم في أهل الردة قد ثبت باتفاق الصحابة المستند الى نصوص الكتاب والسنة .

انتهى كلامه .

ومن اعظم ما يجلو الاشكال في مسألة التكفير والقتال عند من قصده اتباع الحق ـ اجماع الصحابة على قتال مانعي الزكاة ، وادخالهم في اهل الردة . وسبي ذراريهم ، وفعلهم فيهم ما صح عنهم . وهو اول قتال وقع في الاسلام على من

ادعى انه من المسلمين . فهذه اول واقعة وقعت في الاسلام على هـذا النوع ـ اعني : المدعين للاسلام .

وقال الامام ابو الوفاء بن عقيل : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن اوضاع الشرع الى تعظيم اوضاع وضعوها لانفسهم ، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت امر غيرهم . وهم عندي كفار بهذه الاوضاع ، مثل : تعظيم القبور ، وخطاب الموتى بالحوائج ، وكتب الرقاع فيها : يا مولاي افعل بي كذا وكذا ، والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى . انتهى كلامه .

والمراد منه قوله : « وهم عندي كفار بهذه الاوضاع » .

وقال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» في انكار تعظيم القبور : وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين إلى أن صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً سماه : « مناسك المشاهد » ، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الاسلام، ودخول في عبادة الاصنام وهذا الذي ذكره ابن القيم رجل من المصنفين يقال له : ابن المفيد . فقد رأيت ما قال فيه بعينه ، فكيف ينكر تكفير المعين .

وأما كلام اتباع سائر الأئمة في التكفير ، فنذكر منه قليلاً من كثير : فأما الحنفية فكلامهم ، إن النذر من أكثر العوام بأن يأتي الى قبر بعض الصلحاء قائلاً : يا سيدي فلان إن رد غائبي ، أو عوفي مريضي ، فلك من الذهب والفضة أو الشمع أو الزيت كذا ـ باطل إجماعاً لوجوه منها ظن أن الميت يتصرف في الأمر ، واعتقاد هذا كفر وقد ابتلى الناس بذلك ، ولا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي .

فأنظر إلى تصريحه أن هذا كفر ، مع القول إنه يقع من أكثر العوام ، وأن أهل العلم قد ابتلوا بما لا قدرة لهم على إزالته .

وقال القرطبي رحمه الله لما ذكر سماع الفقراء وصورته قال : هذا حرام بالاجماع ، وقد رأيت فتوى شيخ الإسلام جمال الملة أن مستحل هذا كافر .

ولما علم أن حرمته بالاجماع لزم أن يكفر مستحله ، فقد رأيت كلام القرطبي وكلام الشيخ الذي نقل عنه في كفر من استحل السماع ، مع كونه دون ما نحن فيه بالاجماع بكثير كثير .

وقال ابوالعباس رحمه الله: حدثني الخضيري عن والده الشيخ الخضيري،امام الحنفية في زمانه، قال: كان فقهاء بخارى يقولون في ابن سينا «كان كافراً ذكياً» فهذا إمام الحنفية في زمنه حكي عن فقاء بخارى انهم يقولون في ابن سينا ، وهو رجل معين مصنف يتظاهر بالاسلام .

واما كلام المالكية في هذا ، فهو اكثر من ان يحصر ، وقد اشتهر عن فقهائهم سرعة الفتوى والقضاء بقتل الرجل عند الكلمة التي لا يفطن لها اكثر الناس . وقد ذكر القاضي عياض في آخر كتاب « الشفاء » من ذلك طرفاً . ومما ذكروا ، ان من حلف بغير الله على وجه التعظيم كفر . وكل هذا دون ما نحن فيه بما لا نسبة بينهما .

وأما الشافعية ، فقال صاحب «الروض» رحمه الله : إن المسلم، اذا ذبح للنبي ﷺ ـ كفر . وقال أيضاً : من شك في كفر طائفة ابن عربي ، فهو كافر . وكل هذا دون ما نحن فيه . وقال ابن حجر في « شرح الاربعين » في الكلام على حديث ابن عباس « اذا سألت فاسأل الله » ما معناه : انه من دعا غير الله فهو كافر . وصنف في هذا النوع كتاباً مستقلاً سماه «الاعلام بقواطع الاسلام» ذكر فيه انواعاً كثيرة من الاقوال والاعمال ، كل واحد منها ذكر انه يخرج من الاسلام ، ويكفر به المعين ، وغالبها لا يساوي عشر معشار ما نحن فيه .

وتمام الكلام في هذا ان يقال : الكلام هنا في مسألتين : الاولى ان يقال هذا الذي يفعله كثير من العوام عند قبور الصالحين ومع كثير من الاحياء ، والاموات ، والجن ، من التوجه اليهم ، ودعائهم لكشف الضر والنذر لهم لأجل ذلك ـ هل هو الشرك الاكبر الذي فعله قوم نوح ومن بعدهم ، الى ان انتهى الامر الى قوم خاتم الرسل قريش وغيرهم ، فبعث الله الرسل ، وأنزل

الكتاب ، ينكر عليهم ذلك ، ويكفرهم ، ويأمر بقتـــالهم حتى يكون الدين كله لله ، ام هذا شرك اصغر ، وشرك المتقدمين نوع غير هذا ؟

فاعلم ان الكلام في هذه المسألة سهل على من يسره الله عليه ، بسبب ان علماء المشركين اليوم ، يقرون انه الشرك الاكبر ولا ينكرونه ، إلا ما كان من مسيلمة الكذاب واصحابه ، مع تناقضهم في ذلك واضطرابهم ، فأكثر أصحابهم يقولون : لا يكفر إلا من كان في زمن النبي ﷺ ، وتارة يقولون : انه شرك أصغر ، وينسبونه الى ابن القيم في « المدارج » كما تقدم ، وتارة لا يذكرون شيئاً من ذلك بل يعظمون اهله وطريقتهم في الجملة وانهم خير أمة اخرجت للناس ، وانهم العلماء الذين يجب رد الامر عند التنازع اليهم ، وغير ذلك من الاقاويل المضطربة .

وجواب هؤلاء كثير في الكتاب والسنة والاجماع ، ومن اصرح ما يجابون به اقرارهم في غالب الاوقات ان هذا هو الشرك الاكبر ، وايضاً اقرار غيرهم من علماء الاقطار ، مع ان أكثرهم قد دخل في الشرك وجاهد اهل التوحيد . لكن لم يجد بداً من الاقرار به لوضوحه .

المسألة الثانية : الاقرار بأن هذا هو الشرك الاكبر ، لكن لا يكفر به إلا من أنكر الاسلام جملة ، كذب الرسول والقرآن ، واتبع يهودية او نصرانية أو غيرهما . وهذا هو الذي يجادل به اهل الشرك والعناد في هذه الاوقات ، وإلا المسألة الاولى قل الجدال فيها ولله الحمد ، لما وقع من إقرار علماء الشرك بها .

فاعلم ان تصور هذه المسألة تصوراً حسناً يكفي في ابطـــاله من غير دليل خاص لوجهين :

الاول — ان مقتضى قولهم ان الشرك بالله وعبادة الاصنام لا تأثير لهـا في التكفير ، لأن الانسان ان انتقل عن الملة الى غيرهـــا ، وكذب الرسول والقرآن ، فهو كافر ، وان لم يعبد الاوثان كاليهود . فاذا كان من انتسب الى الاسلام لا يكفر إذا أشرك الشرك الاكبر لأنه مسلم يقول : لا إله إلا الله ،

ويصلي ويفعل كذا وكذا ـ لم يكن للشرك وعبادة الاوثان تأثير ، يكون ذلك كالسواد في الخلقة ، والعمى ، والعرج . وان كان صاحبها يدعي الاسلام فهو مسلم ، وان ادعى ملة غيرها فهو كافر ! وهذه فضيحة عظيمة كافية في رد هذا القول الفظيع .

الوجه الثاني ــ ان معصية الرسول ﷺ ، في الشرك وعبادة الاوثان بعد بلوغ العلم ـ كفر صريح بالفطر والعقل والعلوم الضرورية ، فلا يتصور انك تقول لرجل ـ ولو من اجهل الناس وأبلدهم : ما تقول فيمن عصى الرسول ، ولم ينقد له في ترك عبادة الاوثان والشرك ، مع انه يدعي انه مسلم متبع ، إلا ويبادر بحسب الفطرة الضرورية الى القول بأن هـذا كافر ، من غير نظر في الأدلة او سؤال احد من العلماء . ولكن لغلبة الجهل وغرابة العلم ، وكثرة من يتكلم بهذه المسألة من الملحدين ـ اشتبه الامر فيها على بعض العوام من المسلمين الذين يحبون الحق. فلا تحقرها، وأمعن النظر في الأدلة التفصيلية لعل الله ان يمن عليك بالايمان الثابت ويجعلك ايضاً من الذين يهدون بأمره .

ومن احسن ما يزيل الاشكال فيها ، ويزيد المؤمن يقيناً : ما جرى من النبي ﷺ وأصحابه والعلماء بعدهم ، فيمن انتسب الى الاسلام كما ذكر ، انه ﷺ ، بعث البراء ومعه الراية الى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله ، ومثل همه بغزو بني المصطلق لما قيل انهم منعوا الزكاة . ومثل قتال الصديق واصحابه لمانعي الزكاة ، وسبي ذراريهم وغنيمة اموالهم ، وتسميتهم مرتدين . ومثل اجماع الصحابة في زمن عمر على تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه ان لم يتوبوا لما فهموا ـ من قوله تعالى : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) ـ حل الخمر لبعض الخواص ، ومثل اجماع الصحابة رضي الله عنهم ، في زمن عثمان رضي الله عنه ، على تكفير اهل المسجد الذين ذكروا كلمة في نبوة مسيلمة ، مع انهم لم يتبعوه ، وإنما اختلف الصحابة في قبول توبتهم . ومثل تحريق علي ابن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ أصحاب لما

غلوا فيه. ومثل اجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر المختار بن ابي عبيد ومن أتبعه مع انه يدعي انه يطالب بدم الحسين وأهل البيت. ومثل اجماع التابعين ومن بعدهم على قتل الجعد بن درهم، وهلم جراً من وقائع لا تعد وتحصى. ولم يقل احد من الاولين والآخرين لأبي بكر الصديق وغيره: كيف تقاتل بني حنيفة وهم يقولون: لا إله إلا الله، ويصلون، ويزكون. وكذلك لم يستشكل أحد تكفير قدامة وأصحابه لو لم يتوبوا وهلم جراً الى زمن بني عبيد الذين ملكوا المغرب، ومصر، والشام وغيرها، مع تظاهرهم بالاسلام وصلاة الجمعة والجماعة، ونصب القضاة والمفتين - لما اظهروا من الاقوال والافعال ما أظهروا - لم يستشكل أحد من اهل العلم والدين قتالهم ولم يتوقف فيه وهم في زمن ابن الجوزي، وصنف ابن الجوزي كتاباً لما اخذت مصر منهم سماه «النصر على مصر».

ولم يسمع احد من الاولين والآخرين ان احداً أنكر شيئاً من ذلك، او استشكله، لأجل أدعائهم الملة، أو لأجل قول «لا إله إلا الله»، أو لأجل اظهار شيء من اركان الاسلام - إلا ما سمعنا من هؤلاء في هذه الازمان من اقرارهم ان هذا هو الشرك، ولكن من فعله، او حسّنه، او كان من أهله، أو ذم التوحيد، أو حارب اهله لأجله، او ابغضهم لأجله - انه لا يكفر لأنه يقول «لا إله إلا الله» أو لأنه يؤدي اركان الاسلام الخمسة! ويستدلون بأن النبي ﷺ، سماها الاسلام! هذا لم يسمع قط إلا من هؤلاء الملحدين الجاهلين الظالمين، فان ظفروا بحرف واحد من أهل العلم أو أحد منهم يستدلون به على قولهم الاحمق فليذكروه. ولكن الامر كما قال الصنعاني في قصيدته:

احاديث لا تعزى إلا عالم فلا تساوى فليسا ان رجعت الى النقد

ولنختم الكلام في هذا النوع بما ذكره البخاري باسناده عنه ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب اليآت نساء دوس حول ذي الخلصة». وذو الخلصة صنم لدوس يعبدونه. فقال ﷺ لجرير بن عبد الله: ألا تريحني من ذي الخلصة! فركب

اليه بمن معه فأحرقه وهدمه ، ثم أتي النبي ﷺ ، الحديث . وعادة البخاري رحمه الله - اذا لم يكن الحديث على شرطه - ذكره في الترجمة ، ثم أتي بما يدل على معناه بما هو على شرطه ، ولفظ الترجمة وهو قوله : يتغير الزمان حتى تعبد الاوثان » لفظ حديث أخرجه غيره من الأئمة . والله سبحانه وتعالى اعلم .

ولنذكر من كلام الله ورسوله وكلام أئمة العلم ، جملًا في جهاد القلب واللسان ، ومعاداة اعداء الله وموالاة أوليائه ، وان الدين لا يصح ولا يدخل الانسان فيه إلا بذلك ، فنقول :

باب وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين

وقول الله تعالى : (وقد نزل عليكم في الكتاب ان إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا حتى يخوضوا في حديث غيره ، انكم إذا مثلهم) وقول الله تعالى : (ومن يتولهم منكم فانه منهم) وقوله : (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء) الى قوله (كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) ، الآية ، وقوله : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) .

. قال الامام الحافظ محمد بن وضاح : اخبرنا غير واحد ان اسد بن موسى كتب الى أسد بن الفرات: اعلم يا أخي ان ما حملني على الكتاب اليك ما ذكر اهل بلادك من صالح ما اعطاك الله من انصافك الناس، وحسن حالك مما اظهرت من السنة ، وعيبك لاهل البدعة ، وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم ، فقمعهم الله بك ، وشد بك ظهر اهل السنة ، وقواك عليهم باظهار عيبهم والطعن عليهم فاذلهم الله بك ، وصاروا ببدعتهم مستترين . فابشر اي اخي بثواب ذلك ، واعتد به من افضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد . واين تقع هذه

الاعمال من اقامة كتاب الله واحياء سنة رسوله ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من احيا شيئاً من سنتي كنت انا وهو كهاتين في الجنة » وضم بين اصبعيه وقال « أيما داع دعا الى هدى فاتبع عليه كان له مثل اجر من تبعه الى يوم القيامة » ، فمتى يدرك هذا اجر شيء من عمله ؟ وذكر ايضاً « ان لله عند كل بدعة كيد بها اهل الاسلام ، وليا لله يذب عنها وينطق بعلامتها » .

فاغتنم يا اخي هذا الفضل ، وكن من اهله ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن وأوصاه « لان يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من كذا وكذا » ، وعظم القول فيه ، فاغتنم ذلك وادع الى السنة ، حتى يكون لك بذلك الفة وجماعة يقومون مقامك ان حدث بك حدث ، فيكونون ائمة بعدك ، فيكون لك ثواب ذلك الى يوم القيامة ، كما جاء في الاثر .

فاعمل على بصيرة ونية وحسبة ، فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائغ الحائر فتكون خلفاً من نبيك صلى الله عليه وسلم ، فانك ان تلقى الله بعمل يشبهه . واياك ان يكون لك من اهل البدع اخ او جليس أو صاحب ، فانه جاء في الأثر « من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل الى نفسه ، ومن مشى الى صاحب بدعة مشى في هدم الاسلام » . وجاء « ما من إله يعبد من دون الله ابغض الى الله من صاحب هوى » ، وقد وقعت اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل البدع وان الله لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً ولا فريضة ولا تطوعاً ، وكلما ازدادوا اجتهاداً وصوماً وصلاة ازدادوا من الله بعداً فارفض مجالسهم واذلهم وابعدهم ، كما ابعدهم الله واذلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وائمة الهدى من بعده . انتهى .

واعلم رحمك الله ان كلامه ، وما يأتي من كلام امثاله من السلف في معاداة اهل البدع والضلال ضلالة لا تخرج من الملة ، لكنهم شددوا في ذلك وحذروا منه لامرين :

الاول : غلظ البدعة في الدين في نفسها ، فهي عندهم اجل من الكبائر يعاملون اهلها كما يعاملون به اهل الكبائر كما تجد قلوب الناس اليوم ان الروافض عندهم ـ ولو كان عالماً او عابداً ـ ابغض واشد من السني المجاهر بالكبائر .

الامر الثاني : ان البدع تجر الى الردة الصريحة ، كما وجد من كثير من اهل البدع. فمثال البدعة التي شددوا فيها مثال تشديد النبي ﷺ على من عبدالله عند قبر رجل صالح بما وقع من الشرك الصريح الذي يصير المسلم مرتداً. فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وبين ما نحن فيه من الكلام في الردة ومجاهدة أهلها، والنفاق الاكبر ومجاهدة اهله ، وهذا هو الذي نزلت فيه الآيات المحكمات مثل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) الآية . وقوله : (يا ايها النبي جاهد الكفار) الآية .

وقال ابن وضاح في كتاب « البدع والحوادث » بعد حديث ذكره : انه سيقع في هذه الامة فتنة الكفر وفتنة الضلالة لا يحل فيها السبي ، والاموال ، وهذا الذي نحن فيه فتنة ضلالة لا يحل فيها السبي ولا الاموال .

انتهى كلامه .

وقال رحمه الله ايضاً : اخبرنا رجل عن ابن المبارك قال : قال ابن مسعود « ان الله عند كل بدعة كيد بها أهل الاسلام ولياً من اوليائه يذب عنها، وينطق بعلامتها ، فاغتنموا حضور تلك المواطن ، وتوكلوا على الله » . قال ابن المبارك (وكفى بالله وكيلًا) . ثم ذكر باسناده عن بعض السلف قال « لئن ارد رجلًا عن رأي ميء احب الي من الاعتكاف شهر » .

اخبرنا أسد ، عن ابي اسحاق الحذاء ، عن الاوزاعي ، قال : كان بعض اهل العلم يقول : لا يقبل الله من ذي بدعة صلاة ولا صياماً ولا صدقة ولا جهاداً ولا حجاً ولا صرفاً ولا عدلا ، وكانت اسلافكم تشتد عليهم السنتهم وتشمئز منهم قلوبهم، ويحذرون الناس بدعتهم، قال : ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس ما كان لاحد ان يهتك عنهم ستراً، ولا يظهر منهم عورة ، الله اولى

بالاخذ بها او بالتوبة عليهـا ، واما اذا جهروا فنشر العلم حيـاة ، والبلاغ عن رسول الله ﷺ رحمة .

ثم روى باسناده قال : جاء رجل الى حذيفة ، أبو موسى الاشعري قاعد ، فقال : أرايت رجلًا قاعداً ضرب بسيفه غضباً لله حتى قتل، أفي الجنة هو أم في النار ؟ قال ابو موسى : في الجنة ، فقـال حذيفة : استفهم الرجـل وأفهمه ما تقول ، حتى فعل ذلك ثلاث مرات ، فلما كان في الثالثة قال : والله لأنستفهمه. فدعا به حذيفة فقال : رويدك ان صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فأصاب الحق حتى يقتل عليه فهو في الجنة وان لم يصيب الحق ولم يوفقه الله فهو في النار. ثم قال : والذي نفسي بيده ليدخلن النار مثل الذي سئلت عنه اكثر من كذا وكذا .

ثم ذكر باسناده عن الحسن قال: لا تجالس صاحب بدعة فانه يمرض قلبك.

ثم ذكر باسناده عن سفيان الثوري ، قال : من جالس صاحب بـدعة لم يسلم من احدى ثلاث : اما ان يكون فتنة لغيره ، واما ان يقع في قلبه شيء، فيزل به ، فيدخله النـار ، واما ان يقول : والله ما أبالي ما تكلموه ، واني واثق بنفسي ، فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه اياه .

ثم ذكر باسناده عن بعض السلف قال : من اتى صاحب بدعة ليوقره فقد اعان على هدم الاسلام . اخبرنا اسد قال ، اخبرنا حماد بن زيد عن ايوب قال قال ابو قلابة : لا تجالسوا اهل الاهواء ولا تجادلوهم فاني لا آمن ان يغمسوكم في ضلالتهم ، او يلبسوا عليكم ما تعرفون . قال ايوب : وكان والله من الفقهاء ذوي الالباب .

اخبرنا اسد عن محمد بن طلحة قال ؛ قال ابراهيم : لا تجالسوا اصحاب البدع ولا تكلموهم فاني اخاف عليكم ان ترتد قلوبكم .

اخبرنا اسد بالاسناد عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الرجل على دين خليله ، فلينظر احدكم من يخالل »

اخبرنا أسد ، اخبرنا مؤمل بن اسماعيل ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب قال : دخل على محمد بن سيرين يوماً رجل فقال: يا أبا بكر اقرأ عليك آية من كتاب الله ، لا ازيد على ان اقرأها ثم اخرج . فوضع اصبعه في أذنيه ثم قال : احرج عليك ان كنت مسلماً لما خرجت من بيتي ، قال ، فقال : يا أبا بكر اني لا ازيد على ان اقرأ ثم اخرج قال ، فقام بازاره يشده عليه ويتهيأ للقيام ، فاقبلنا على الرجل فقلنا : قد حرج عليك الا خرجت ، افيحل لك ان تخرج رجلاً من بيته ؟ قال فخرج . فقلنا : يا ابا بكر ما عليك لو قرأ آية ثم خرج ؟ قال : اني والله لو ظننت ان قلبي يثبت على ما هو عليه ما باليت ان يقرأ ، ولكن خفت ان يلقي في قلبي شيئاً اجهد ان اخرجه من قلبي فلا استطيع .

أخبرنا اسد قال ، اخبرني حمزه ، عن سودة قال : سمعت عبدالله بن القاسم وهو يقول: ما كان عبد على هوى فتركه إلا الى ما هو اشر منه. قال فذكرت هذا لبعض اصحابنا، فقال: تصديقه في حديث عن النبي ﷺ «يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم الى فوقه » .

اخبرنا اسد قال ، اخبرني موسى بن اسماعيل، عن حماد بن زيد ، عن ايوب قال : كان رجل يرى رأيــاً فرجع عنه ، فأتيت محمداً فرحاً بذلك أخبره . فقال : اشعرت ان فلاناً ترك رأيه الذي كان يرى ؟ فقال : انظروا الى ماذا يتحول ان آخر الحديث اشد عليهم من اوله : يمرقون من الاسلام لا يعودون اليه . ثم روى باسناده عن حذيفة انه أخذ حصاة بيضاء فوضعها في كفه ، ثم قال : ان هذا الدين قد استضاء استضاءة هذه . ثم اخذ كفاً من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ، ثم قال : والذي نفسي بيده ليجيئن اقوام يدفنون هذا الدين كما دفنت هذه الحصاة .

اخبرنا محمد بن سعيد باسناده عن ابي الدرداء قال : لو خرج رسول ﷺ اليكم اليوم ما عرف شيئاً مما كان عليه هو واصحابه، إلا الصلاة قال الاوزاعي:

فكيف كان اليوم ؟ قال عيسى - يعني الراوي عن الاوزاعي - : فكيف لو ادرك الاوزاعي هذا الزمان ؟

أخبرنا محمد بن سليمان باسناده عن علي قال « تعلموا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ، فانه سيأتي بعدكم زمان ينكر الحق فيه تسعة اعشارهم ».

اخبرنا يحيى بن يحيى باسناده عن ابي سهيل بن مالك عن ابيه انه قال : ما أعرف شيئاً مما ادركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة .

حدثني ابراهيم بن محمد باسناده عن أنس قال : ما اعرف منكم شيئاً كنت اعهده على عهد رسول الله ﷺ إلا قولكم لا اله الا الله.

اخبرنا اسد باسناده عن الحسن قال : لو ان رجلًا ادرك السلف الاول ، ثم بعث اليوم ؛ ما عرف من الاسلام شيئاً . قال ووضع يده على خده ، ثم قال: الا هذه الصلاة ، ثم قال اما والله لمن عاش في هـذه النكر ؛ ولم يدرك هذا السلف الصالح ، فرأى مبتدعاً يدعو الى بدعته ، ورأى صاحب دنيا يدعو الى دنياه ، فعصمه الله من ذلك وجعل قلبه يحن الى ذكر هذا السلف الصالح يسأل عن سبيلهم ويقتص آثارهم ويتبع سبيلهم ليعوض اجراً عظيما ؛ فكذلك فكونوا ان شاء الله .

حدثني عبدالله بن محمد باسناده عن ميمون بن مهران قال : لو ان رجـلًا نشر فيكم من السلف ما عرف فيكم غير هذه القبلة .

اخبرنا محمد بن قدامه باسناده عن أم الدرداء قالت : دخل علي ابو الدرداء مغضباً ، فقلت له ما اغضبك ؟ فقال . والله ما اعرف فيهم من امر محمد شيئاً الا انهم يصلون جميعاً ، وفي لفظ : ولو ان رجلا يعلم الاسلام واهمه ثم تفقده ما عرف منه شيئاً .

حدثني ابراهيم باسناده عن عبدالله بن عمرو ، قال : لو ان رجلين من اوائل هذه الامة خليا بمصحفهما في بعض هـذه الأودية لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئاً مما كانا عليه .

قال مالك — وبلغني ان أبا هريرة تلا قوله تعالى «اذا جاء نصر الله والفتح» فقال: والذي نفسي بيده ان النـــاس ليخرجون اليوم من دينهم افواجـاً كما دخلوا فيه أفواجاً.

قف وتأمل رحمك الله اذا كان هذا في زمن التابعين، بحضرة اواخر الصحابة فكيف يغر المسلم الكثرة، او تشكل عليه ولا يستدل بها على الباطل؟

ثم روى ابن وضاح باسناده عن أبي أمية قال: أتيت ابا ثعلبة الخشني فقلت: يا أبا ثعلبة كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قول الله تعالى «لا يضركم من ضل اذا اهتديتم»، قال: اما والله لقد سألت بهـــا خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ، قال: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكـر، حتى اذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيـاً مؤثرة، واعجاب كل ذي رأي برأيه ـ فعليك بنفسك، ودع امر العوام. فان من ورائكم اياماً الصبر فيهن مثل قبض على الجمر؛ للعـامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله» قيل: يا رسول الله اجر خمسين منهم؟ قال: اجر خمسين منكم».

ثم روى باسناده عن عبـدالله بن عمرو، ان النبي ﷺ، قال: «طوبى للغرباء» ثلاثاً. قالوا يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: اناس صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يبغضهم اكثر ممن يحبهم.

أخبرنا محمد بن سعيد باسناده عن المعـــافري قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى للغرباء الذين يمسكون بكتاب الله حين يترك، ويعملون بالسنة حين تطفأ».

أخبرنا أسد، عن سالم بن عبدالله ان رسول الله ﷺ قال: «بدأ الاسلام غريباً ولا تقوم الساعة حتى يكون غريباً، فطوبى للغرباء حين يفسد الناس، ثم طوبى للغرباء حين يفسد الناس».

أخبرنا اسد باسناده عن عبـــدالله انه سمع رسول الله ﷺ يقول ـ «بدأ

الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء فقيل : ومـــا الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يصلحون عند فساد الناس » .

هذا آخر ما نقلته من كتاب « الحوادث والبدع » للامام الحـافظ محمد بن وضاح رحمه الله تعالى .

قال المؤلف : وتأمل رحمك الله تعالى احاديث الغربة وبعضهـا في الصحيح مع كثرتها وشهرتها ، وتأمل اجماع العلماء كلهم ان هذا قد وقع منذ زمن طويل حتى قال ابن القيم : الاسلام في زماننا اغرب منه في اول ظهوره . فتأمل هذا تأملاً جيداً لعلك ان تسلم من الهوة الكبيرة التي هلك فيهـا اكثر الناس ، وهي الاقتداء بالاكثر والسواد الاكبر والنفرة من الاقل فما اقل من سلم منهـا ، ما اقله ، ما اقله .

ولنختم ذلك بالحديث الصحيـح الذي أخرجه مسلم عن عبـدالله بن مسعود رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ قال : ما من نبي بعثه الله تعالى في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ، ويتقيدون بأمره . وفي رواية : يهتدون بهديه ، ويستنون بسنته ، ثم انهـا تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » .

انتهى ما نقلته والحمد لله رب العالمين .

وقد رأيت للشيخ تقي الدين رسالة كتبها وهو في السجن الى بعض اخوانه ـ لما ارسلوا اليه يشيرون عليه بالرفق بخصومه ليتخلص من السجن ، أحببت ان انقل اولها لعظيم منفعته ، قال :

الحمد لله ، نستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنـــا وسيئات اعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . واشهد ان لا إله إلا الله وحـده لا شريك له ، وأشهد ان محمداً عبـده ورسوله أرسله

بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، ﷺ وسلم تسليماً،

أما بعد فقد وصلت الورقة التي فيها رسالة الشيخين الجليلين العالمين الناسكين القدوتين ، أيدهما الله وسائر الاخوان بروح منه ، وكتب في قلوبهم الايمان ، وأدخلهم مدخل صدق ، وأخرجهم مخرج صدق ، وجعل لهم من لدنه ما يتم به من السلطان ، سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان ، وسلطان القدرة والنصر بالسنان والاعوان ، وجعلهم من اوليائه المتقين ، وحزبه الغالبين لمن ناوأهم من الاقران، ومن أئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والايقان. والله محقق ذلك ومنجز وعده في السر والاعلان ، ومنتقم من حزب الشيطان ، لعباد الرحمن ، لكن على ما اقتضت ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان ، الذي يميز الله به اهل الصدق والايمان ، من أهل النفاق والبهتان ، إذ قد دل على أن لا بد من الفتنة لكل من ادعى الايمان ، والعقوبة لذوي السيئات والطغيان ، فقال تعالى : « ألم . احسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم » الآية . « أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون » . فأنكر سبحانه على من يظن ان اهل السيئات يفوتون الطالب الغالب ، أو ان مدعي الايمان يترك بلا فتنة تميز بين الصادق والكاذب .

وأخبر في كتابه ان الصدق في الايمان لا يكون إلا بالجهاد في سبيله، فقال تعال : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » . وقوله : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون » . وأخبر سبحانه بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة التي يعبد الله فيها على حرف – وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر من هو عليه – بل لا يثبت على الايمان إلا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا، فقال تعالى « ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان اصابه خير اطمأن به » الآية . وقال تعالى « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » ، وقال تعالى : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم

والصابرين ونبلو أخبـاركم » . وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين لا بد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين ، فقال تعالى : « يا ايهـا الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه» الآية. وهؤلاء الشاكرون لنعمة الايمان، الصابرون على الامتحان كما قال تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل أنقلبتم على اعقابكم » . فاذا أنعم الله على الانسان بالصبر والشكر كان جميـع ما يقضى له من القضاء خيراً له ، كما قال النبي ﷺ : لا يقضي الله للمؤمن من قضـاء إلا كان خيراً له ، ان أصابته سراء فشكـر كان خيراً له ، وان اصابته ضراء فصبر كان خيراً له » والصابر الشكـور هو المؤمن الذي ذكره الله في غير موضع من كتابه . ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال ، وكل واحدة من السراء والضراء في حقه تفضي به الى قبح المآل ، فكيف اذا كان ذلك في الامور العظيمة التي هي من محن الانبياء والصديقين وفيهـا تثبيت اصول الدين وحفظ الايمان والقرآن من كيد اهل النفاق والالحاد والبهتان .

فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله . والله المسؤول ان يثبتكم وسائر المؤمنين في الحيـــاة الدنيا والآخرة ، ويتم نعمته الباطنة والظاهرة ، وينصر دينه وكـتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الـكافرين والمنـافقين الذين امرنا بجهادهم والاغلاظ عليهم في كتابه المبين .

انتهى كلام ابي العباس رحمه الله .

ومن جواب له رحمه الله – لمـا سئل عن الحشيشة : ما يجب على من يدعي ان أكلها جائز ؟ فقال :

أكل هذه الحشيشة حرام، وهي من أخبث الخبائث المحرمة سواء أكل منها كثيراً او قليلاً ، لكن الكثير منها المسكر حرام باتفاق المسلمين، ومن استحل ذلك فهو كافر يستتاب ، فان تاب وإلا قتل كافراً مرتداً ، لا يغسل ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن بين المسلمين. وحكم المرتد شر من حكم اليهود والنصارى

- سواء اعتقد ان ذلك يحل للعامة او الخاصة الذين يزعمون انهـا لقمة الذكر والفكر ، وإنها تحرك العزم الساكن ، وتنفع في الطريق ، وكان بعض السلف ظن ان الخمر تباح للخاصة ، متأولاً قوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » ، فاتفق عمر وعلي وغيرهما من علماء الصحابة على انهم ان اقروا بالتحريم جلدوا ، وان أصروا على الاستحلال قتلوا » .

انتهى ما نقلته من كلام الشيخ .

فتأمل كلام هذا الذي ينسب اليه عدم تكفير المعين اذا جاهر بسب دين الانبياء ، وصار مع اهل الشرك ؟ ويزعم انهم على حق ، ويأمر بالمصير معهم ، وينكر على من لا يسب التوحيد ، ويدخل مع المشركين لأجل انتسابه الى الاسلام ؟ انظر كيف كفر المعين ، ولو كان عابداً باستحلال الحشيشة ولو زعم حلها للخاصة التي تعينهم على الفكرة ، واستدل باجماع الصحابة على تكفير قدامة واصحابه ان لم يتوبوا . وكلامه في المعين وكلام الصحابة في المعين فكيف بما نحن فيه مما لا يساوي استحلال الحشيشة جزءاً من الف جزء منه ؟

والحمد لله رب العالمين .

أعداء الدّعوة

اربع قوى كبرى تألبت على الدعوة ، وتآمرت عليها ، وحشدت رجالها لقتالها ، واطفاء نورها ، لا لجريمة ارتكبتها ، ولا لمنكر اقترفته ، او خيانة اتتها ، وكل ذنبها هو انها دعت الى الاسلام الصحيح ، والتوحيد ، والى اعلاء كلمة لا اله الا الله ، ونبذ الشرك وترك عبادة القبور والاوثان ، ولكنها لم تنل منها منالاً ، بل انتصرت وفازت بفضل الله ، ثم بفضل الغاية الشريفة السامية التي عملت لاجلها .

وهذا بيان عن هذه القوى :

١ — جمهور من علماء نجد .

كان بعض علماء نجد ، اول من جاهرها بالعداء ونهض لقتالها ، وتأليب الناس لمقاومتها .

ولا يخفى ان لكل مدينة نجدية ، مطوعاً (عالماً) يؤم اهلها في الصلاة ويعلم ابناءهم القرآن ، وينظر في مشاكلهم ، وكان معظم هؤلاء من الذين شبوا وشابوا على عبادة القبور ، والطواف على مشاهد الاولياء والصالحين ، وطلب المعونة

والمساعدة منهم ، فلما ظهرت الدعوة ورفعت صوتها عالياً بنبذ ما الفوه، وامنوا به ، والعودة الى التوحيد الخالص المخلص لله ، ائتمروا وثاروا، وراحوا يؤلبون العامة عليها ، ويقذفونها بالكفر والمروق .

ودارت بين الشيخ وبين بعض هؤلاء مكاتبات، ووقعت مساجلات، وحاول جهده اقناعهم بصحة الدعوة، ونبل غاياتها ، وانها ما قامت الا لاصلاح امر المسلمين وانقاذهم من حياة الخمول والجهل والهوان التي يعيشون عليها وينغمسون فيها ، فلم يزدهم ذلك الا غروراً وتعصباً واندفاعاً في الكيد وامعانا في الشر .

وحقت عليهم الكلمة في النهاية ودارت عليهم الدائرة وحاق بهم ما كانوا يكسبون .

٢ - رؤساء مدن نجد وامراؤها .

وانضم معظم رؤساء مدن نجد وامرائها وكبار قادتها الى شيوخ الجمود، وعقدت بين هؤلاء وهؤلاء الاتفاقات السرية والعلنية لمقاومة الدعوة وقتالها ، لا لانها بغت عليهم - وحملت السلاح لقتالهم ، ودعت الشعب الى نبذ زعامتهم بل لانهم خافوا تأثيرها في الجماهير، واندفاع الشعب في تأييدها ، والدخول في طاعتها ، مما يهدد زعاماتهم ، ويذهب بنفوذهم فاندفعوا في الهجوم على المدن التي ايدتها ، واسرفوا في التنكيل بأنصارها . فلم يغن ذلك عنهم شيئاً ، فتغلبت عليهم وهزمتهم وضمت مدنهم اليها ، وأدخلتها تحت رايتها .

٣ - حكام الحجاز

وانضم الحكام في الحجاز الى موكب العدوان ، ومشوا في طليعته وكانت السيطرة لهم في هذا القطر وكانوا يحكمونه حكما مباشراً وكانوا يسيطرون ايضاً على بعض اجزاء نجد الشرقية على حدودهم ويجبون منها الزكاة والمال .

ولزم هؤلاء الحياد في اول الامر ، بانتظار نتـــائج المعركة الدائرة في قاب

نجد ، بينها وبين خصومهـا ، على انهم انشاؤا صلات مباشرة في اول الأمر مع قادتها وتبادلوا معهم الهدايا .

وتبدل موقفهم منها بعد أن سيطرت على المنطقة ووصلت الى حدود الحجاز ودقت ابوابه فاعتقدوا بان مصلحتهم صارت تقضي بمنازلتها رغبة في التخلص منها، واتقاء اخطارها ، فلا تدخل الحجاز ولا تخرجهم منه ، ومـع انهم لم يدخروا وسعاً في النضال والمقاومة الا انها تغلبت عليهم وهزمتهم ، فوقعوا فيما كانوا منه يحاذرون .

٤ ـ قوات الترك في الميدان

وكانت الدولة العثمانية عنـــد ظهور الدعوة تسيطر على العراق وعلى الشام ومصر والحجاز واليمن ، اى انهـا كانت تبسط سيادتها على المنطقة العربية كلها باستثناء المغرب الاقصى وعمان (مسقط) فقد عصا هذان القطران على الـترك وابيا الدخول في طاعتهم ، وكان كل شيخ او امير في نجد مستقل استقلالاً تاماً في ادارة بلاده وما كان يعرف الترك ولا الترك يعرفونه .

واستهانت الحكومة التركية بالدعوة في اول ظهورها ، ولم تعرها اي اهتمام باعتبارها حركة داخلية بسيطة تدور في نطاق محـدود ، ولا تـكاد تختلف في شيء عن المنازعات التي تتكرر بين القبائل في داخل الجزيرة بدون انقطاع .

وكما تبدل نظر حكام الحجاز اليها عند بلوغها حدود نجد الشرقية فقـد تبدل نظر حكام الترك في العراق اليها عند بلوغها حدود العراق الجنوبية .

وقد كان والي بغداد التركي (سليمان باشا) اول من نبه اليهـــا وتنبه الى اخطارها ، وحمل السيف لقتالها ، فاصابه منها ما اصاب الحكام في الحجـاز اي الهزيمة والفشل .

لقد بدأت المعركة بين الدعوة والترك في العراق في السنة ١٢١٢ اي بعد ثماني سنوات من نشوب معركتهـا مع الاشراف ، إذ بدأت (سنة ١٢٠٤ هـ)

عند انضمام جبل شمر الى الدعوة ودخوله في طاعتهـــا ؛ بالاضافة الى قبـائل الخليـج واماراته التي سبقت بالانضمام أيضـــاً . فصارت بذلك تجاور العراق من جهة البصرة كما تجاوره من جهة النجف والسماوة وسوق الشيوخ اي انها كانت تمتد على خط طويل يشمل منطقة العراق الجنوبية كلها .

وأرسل الوالي سليمان باشا التركي ، عقب هذا التطور الخطير في الحدود فدعا رؤساء القبائل العربية في الجنوب وفي المقدمة شيوخ السعدون امراء المنتفق وعهد الى كبيرهم ثويني بن عبدالله بهذه المهمة وامده بالاموال والسلاح وجميـع المعدات بما فيها مدفعية ، وما كانت المدفعية حتى يومئذ معروفة في نجد واشرك عريعر شيـخ بني خالد في الحسا بهذه المهمة .

واقتحمت جيوش الدعوة حدود العراق اربـع مرات :

١ — اقتحمتها سنة ١٢١٤ بقيادة الامير سعود بن عبد العزيز فنـازل ثويني السعدون وقواه .

٢ — ودارت المعركة الثانية في السنة التالية بين الامير سعود وثويني ونال الامير بعض انتصارات .

٣ — وقاد الامام عبد العزيز سنة ١٢١٥ حملة كبيرة اخترقت حدود العراق الجنوبية واوغلت في تقدمها حتى مدينة سوق الشيوخ (عاصمة السعدون) فهاجمتها ثم مرت بالسماوة على سيف البادية فضربت القبـــائل الذين كانوا يجتمعون فيها وهزمتهم .

٤ — وفي سنة ١٢١٦ هاجمت حملة سعودية كبيرة حدود العراق الجنوبيـة بقيادة الامـير سعود ، ووصلت الى الفرات الاوسط فهاجمت مدينة كربلاء واشتبكت مع سكانها الذين تجمعوا لقتالها ، فهزمتهم واوقعت بهم وغنمت كل ما كان هناك ويقول ابن بشر في تاريخه (ص ١٣٠) ان المهاجمين هدموا القبة التي يزعمون انها مقامة على قبر الحسين .

وسكنت الحوادث على الاثر في المنطقة وقعد الترك عن كل حركة داخلية بعد ان فشلوا وهزموا على ان حقدهم ازداد عليها ، فانطلقوا يتلمسون الوسائل للتخلص منها .

واستمر القتال بينهم وبينها حتى النهاية .

ووصلت الى الاسكندرية يوم ١٦ محرم سنة ١٢٢٣ (٢٨ يونيو سنة ١٧٩٨) الحملة الافرنسية التي قادها الجنرال بونابرت فنزلت فيها وواصلت التقدم الى القاهرة فدخلتها يوم ٢٤ يوليو سنة ١٧٩٨ بعد ان هزمت قوات المماليك التي كانت تدافع عنها ووضعت يدها على مدن القطر تدريجيا . فشغل بذلك الترك عن الحملة وكفوا عن التعرض لها فساعد ذلك على اتساع نطاقها .

وانبرى الترك لقتال الحملة الافرنسية واخذوا يجمعون ما تفرق من قواهم المبعثرة لارسالها الى مصر يريدون انقاذها واخراج الفرنسيس منها .

وسعى نابوليون منذ وصوله القاهرة للاتصال بالامام عبد العزيز وكان يزعم ان ما بينه وبين الترك من عداء يكاد يكون مشتركاً بينه وبين الدعوة ، يقرب بينه وبين حكومتها ، ويقول المؤرخ الافرنسي بيير بنوى ميشال في كتابه الذي أصدره عن الملك عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل ان نابوليون ارسل الى سعود في الحجاز بعثة برئاسة (لاسكاري) .

ويقول جان جاك بيرني في كتابه « جزيرة العرب » وقد اصدره المكتب التجاري في بيروت سنة ١٩٤٦ ان الملك عبد العزيز طالما اشار في احاديثه مع الافرنسيين الى تبادل الرسائل بين جده ونابوليون الاول اثناء حملته على مصر .

وهزم الافرنسيون الترك وتغلبوا عليهم وشتتوا الحملات التي ساقوها لقتالهم بيد ان انضمام الانكليز للترك ونزولهم الى الميدان بقواهم البرية والبحرية قضى على الحملة الافرنسية وعلى المشروعات التي جاءت لأجلها فاستسلمت للترك والانكليز بموجب اتفاق عقد في القاهرة يوم ٢٩ يونيو سنة ١٨٠١ وغادر بقاياها

القطر المصري راضياً من الغنيمة بالسلامة وعاد الترك الى مصر واستقروا فيها.

ونحن وقد اعتدنا أن نربط بين الحوادث ونرويها مسلسلة نرى بان فشل الحملة الفرنسية وانهزامها وعودة مصر الى حكم الترك وزوال كل خطر خارجي يشغل بالهم ، اطلق يدهم في مقاومة الدعوة وجعلهم يتفرغون لها ويسعون للخلاص منها بعد ان وضعت يدها على الحجاز وعلى عسير وعلى ضفة الخليج الغربية ووصلت الى شاطىء المحيط المندي جنوباً والى البصرة والعراق شمالاً والى مشارف الشام شرقاً وصارت لها دولة كبرى في قلب بلاد العرب يحسب حسابها، ويرهب جانبها.

وعينت الاستانة محمد علي الالباني سنة ١٢١٨ (١٨٠٦) والياً لمصر وطلبت اليه بان يسافر الى الحجاز لمقاومة الدعوة فسوف وطاول على انه اضطر للاستجابة والخضوع فأعد في سنة ١٢٢٦ (١٨١٤) حملة عسكرية كبيرة قادها نجله طوسون وجهزها بمدفعية قوية كانت الجزيرة خالية منها كما زودها بوافر المال واعد كل ما يخطر بالبال لنجاحها وفوزها ومع ان النسبة كانت في حكم المفقود بين قوات الدعوة وحملات مصر الكبرى التي توالى ورودها الى الحجاز بدون انقطاع سحابة سبع سنوات واشهر (شعبان سنة ١٢٢٦ هـ – ذو العقدة ١٢٣٣) فان مجاهدي نجد الابطال دافعوا أعظم دفاع عرفه التاريخ عن أوطانهم بيد ان القوة المعادية تغلبت في النهاية .

ومع ان الكثيرين توقعوا ان يساعد الاحتلال العسكري المصري لنجد على اطفاء نور الدعوة ويذهب بالمجتمع الاسلامي الذي انشأته وبالدولة الجديدة التي انبثقت عنه الا ان شيئاً من ذلك لم يحدث فقد نهض احد اشبال البيت السعودي في السنة الثانية للنكبة (الامام تركي بن عبد العزيز بن محمد سعود) فجدد الدولة واعادها ، وصان لنجد مجتمعها واخلاقها ، وحفظ لها كرامتها ومقامها بالتعان مع انجال الشيخ واحفاده الذين انضموا اليه وشدوا ازره .

الجهاد

وصف الشيخ رحمه الله معاصروه بانه كان سخياً رحيماً ، وورعاً تقياً ومؤمناً صادق الايمان . وكان سفك الدماء وقتل النفوس اكره ما يكره ، واكثر ما يترفع عنه ، ويتجنبه ، ويقول ابن غنام في تاريخه المعدل[1] ص ٨٣ ان الشيخ كان يتضرع الى الله الذي خصه بهذا الفضل ان يشرح للحق صدر قومه وان يكفيه واخوانه شرهم ، ويصرف عنهم اذاهم ، وكان يسير دائماً سيرة الصفح، ولم يكن احب اليه من ان يأتيه احدهم بالمعذرة ليبادره بالمغفرة ولم يعامل احداً بالاساءة بعد ان غلب ، ولم ينتصر لنفسه اذا جاءه خصومه منقادين طوعاً او كرهاً فيقابلهم بالبشاشة ويرحب بهم ويلاطفهم ويمنحهم بره ومعروفه وكرمه .

واثبت ابن غنام في تاريخه المعدل ص ٨٢ ان الشيخ ظل يدعو الى سبيل ربه بالحجة الواضحة ، والموعظة الحسنة ، ولم يبدأ احداً بالعدوان ورعاً منه وترفعاً واملاً بان يهدي الله الضالين» وظل هذا شأنه حتى تجمع اعداء الدعوة

(١) نشير بكلمة المعدل الى طباعته الاخيرة في مصر .

وخصومها ، ونادوا في البلاد بتكفيره والذين معه وأباحوا دمه فلم ير بدآ من منازلتهم دفاعاً عن النفس .

ويقول ابن بشر في تاريخه ص ٢٢ ان الشيخ بعد ان استقر في الدرعية كاتب اهل البلدان بالدعوة ورؤساءهم وقضاتهم ومدعي العلم فمنهم من قبل واتبع الحق ومنهم من ابى وسخر (نشرنا هذه المكاتبات في مكانها) .

وامر الشيخ بالجهاد بعد ان تكاثر اعداء الدعوة وعقدوا الاتفاقات لقتالها ، واعدوا المؤامرات للتخلص منها ، ويقول ابن بشر في تاريخه ص ٢٢ وهو يسجل اخبار سنة ١١٦٢ «ان الشيخ امر بالجهاد وحض عليه اتباعه ، فامتثلوا لما امر به وتألف اول جيش مع سبع ركايب فلما ركبوها وعجلت بهم النجائب في سيرها سقطوا عن اكوارها ، لانهم لم يعتادوا ركوبها فأغاروا على بعض الاعراب ورجعوا سالمين» .

واول قتال نشب بين انصار الدعوة وخصومها انما كان في مدينة الرياض وحولها . فقد كتب الشيخ مذكان في العيينة الى عبدالله بن عيسى قاضي الرياض وعالمها والى ابنه عبد الوهاب داعياً للدعوة فلم يستجيبا ثم كرر الكتابة فأرسل الى دهام بن دواس صاحب الرياض كتاباً مشتركاً مع الامير محمد بن سعود يدعوانه للانضمام اليها فأبى واستكبر وجاهر بالعدوان وراح يضطهد اتباعها الذين في مدينته وينكل بهم ولم يقف عند هذا الحد بل انطلق فغدر بأهل بلدة منفوحة لأنهم لبوا الدعوة ودخلوا فيها ، اغار عليهم صباحاً ومعه بعض رجاله وفريق من عرب الظفير من سكان البوادي فكمن لهم بجوار بلدتهم وأمر البوادي والخيل بالاغارة على زرعهم ونخيلهم فنفروا للدفاع فخرج عليهم الكمين الذي اعده فاستولى على دار الامارة وهزم القوم وكاد يتغلب عليهم لولا ان علياً بن مزروع وطائفة معه من اهل الدين قاتلوهم وردوهم . وجرح دهام جرحين في المعركة وقتلت فرسه وفقد ١١ رجلاً من اتباعه . فلم يبق هناك مناص من زجره فنهض محمد بن سعود لقتاله سنة ١١٥٩ وظل وراءه يغاديه

ويراوحه حتى هزم واضطر للجـــلاء سنة ١١٨٧ والرحيـل الى خارج البـلاد فدخلت الرياض في نطاق الدعوة .

وظلت عاصمة الدولة في الدرعية كما كانت ، واستمر النضال واستمر المسلمون يواصلون جهادهم في سبيـل الله حتى سنة ١٢٣٤ ففيهـا احتل المصريون الدرعية ودمروها تدميراً فنقل الامام تركي العـاصمة الى الرياض سنة ١٢٣٦ ولا تزال فيها . وهي تزداد كل يوم عمراناً واتساعاً ، ورقياً وتقدماً وقد تحولت الآن فصارت من أرقى مدن جزيرة العرب .

الشيخ يهنيء بالفتح

وأرسل الشيـخ عقب الفتح واستسلام مدينة الرياض ودخولها في الدعوة بعد مناوشات وكر وفر استمر نحو ٣٠ سنة الكتاب الآتي الى الامـام عبد العزيز بن محمد بن سعود مهنئاً ومباركاً فقال :

« أحب لك ما أحب لنفسي ، وقد اراك الله في عدوك ما لم تؤمل، فالذي اراه ان تكثر من قول الحسن البصري ، وكان اذا ابتدأ حديثه يقول : اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وفرجت عنا ، لك الحمد بالاسلام والقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة ، كبت عدونا ، وبسطت رزقنا ، واظهرت امننا ، واحسنت معافاتنا ، ومن كل ما سألناه ربي اعطيتنا . فلك الحمـد على ذلك حمداً كثيراً طيباً حتى ترضى ، ولك الحمد اذا رضيت » .

ومشت الدعوة بعد ذلك في طريقها ففتحت البلاد وانشأت ذلك الملك الضخم.

زواج الشيخ وذرّيته

كل ما اورده ابن غنام في تاريخه عن امرة الشيخ لا يزيد عن تسجيله خبر تزويج والده له بعيد بلوغه (ص ٧٥) ثم ذكر في صفحة ٧٨ ان عثمان بن حمد بن معمر أكرمه حين وصوله الى العيينة من حريملا وفيها تزوج الجوهرة بنت عبدالله بن معمر .

ولقد خلف الشيخ ستة اولاد ذكور وهم :

ابراهيم وعبدالعزيز وعبدالله وحسين وحسن وعلي :

ومات الاول والثاني والثالث بدون ان يعقبا .

وخلف عبدالله ثلاثة ابناء هم :

سليمان وعلي وعبد الرحمن .

مات الاول شهيداً اعدمه السفاح ابراهيم باشا المصري عقب سقوط الدرعية وظل الثاني في نجد وقتل بها على ايدي الأتراك بعد سقوط الدرعية بسنوات .

واجلا ابراهيم باشا عبد الرحمن (الثالث) مع ولده عبدالله الى مصر فاستقر

فيهـــا ودرس في رواق الحنـابلة بالازهر . ومات هناك وله ذرية معروفة .

وخلف حسين النجل الرابع خمسة من الذكور هم :

علي وعبد الرحمن وحمد وحسن وعبد الملك .

وتعرف ذرية الاول (علي) بآل حسن وهم الشيخ عبد الله بن حسن وانجاله الشيخ عمر بن حسن وانجاله .

وحسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب هو والد الشيخ عبد الرحمن بن حسن صاحب كتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» المطبوع في مصر و كتاب «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الانبياء والمرسلين» وغيرها من الرسائل والمؤلفات والردود وله كتاب سماه (المقامات) لم يطبع حتى الآن .

وعبد الرحمن بن حسن خلف ذرية كثيرة في مقدمتهم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن العالم المشهور .

وتعرف ذرية حسن بن محمد اليوم بآل عبد اللطيف نسبة الى جدهم الادني عبد اللطيف بن محمد صاحب المؤلفات الكثيرة كمصباح الظلام وتأسيس التقديس ودلائل الرسوخ وغيرها من المؤلفات الكثيرة .

ومن ذريته ايضاً مفتي المملكة السعودية الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد عبد الوهاب .

وتعرف ذرية علي بن محمد بن عبد الوهاب اليوم بآل محمد نسبة الى جدهم الادنى محمد بن علي بن محمد بن عبد الوهاب .

ويسير احفاد الشيخ وابنـاء ذريته على طريقة جدهم الاكبر في خدمة العلم ونشر الدين وتعليم الطلاب وهداية الشعب واصدار الكتب العلمية النافعة .

وقد انتهت اليهم الرئاسة الدينية العليا في البلاد كما تسند اليهم امـور التعليم ويتولى وزارة المعارف في الاونـة الحاضرة الشيخ حسن بن عبدالله حسن آل

الشـيخ وهو من شباب هذه العائلة الناهضين النابغين ومن مؤلفاته كتاب « دورنا في الكفاح – اراء صريحة في مجتمعنا» صدر سنة ١٣٨٣ .

وفاة الشيخ

اعتقد الشيخ بعد ان فتحت الرياض وانتهت المعارك في بلاد نجـد ودخلت في حظيرة الايمان ان مهمته التي اختاره الله لها قد انتهت وكملت فقد اسس لنجد مجتمعاً جديداً، قوائمه التقوى والايمان، وانشأ لها دولة قوية نامية احيت التوحيد ونشرت راياته.. فاعتزل السياسة ولزم بيته للطاعة والعبـادة فأثبت بذلك ترفعه وبعده عن الحياة وزخارفها، وانه لم يكن يرجو في ما فعله وتحمل المشاق والاذى في سبيله سوى رضاء الله وخدمة دينه وقومه .

ويقول ابن غنام ص ٨٤ ما نصه :

فلما فتح الله الرياض واتسعت ناحية الاسلام وأمنت السبل وانقاد كل صعب من حاضر وباد جعل الشيخ الأمر بيد عبد العزيز بن محمـد بن سعود وفوض امور المسلمين وبيت المال اليه ، وانسلخ منها ، ولزم العبادة وتعليم العلم ولكن عبد العزيز لم يكن يقطع امراً دونه ولا ينفذه الا باذنه .

وكان رحمه الله يحيى غالب الليل قائماً يصلي ويتهجد ويقرأ القرآن وكان من دأبه التـأني والتريث في تنفيـذ الاحكام ، لا يميله الهوى عن الشرع ، ولا تصده عداوة عن الحق بل يحكم بما ترجح له وجه الصواب فيه فان وجد نصاً في كتاب الله او سنة نبيه ﷺ التزمه ولم يعدل عنه والا رجع الى كتب الائمـة الاربعة واخـذ نفسه بدقة المراجعة والتحقيق للنص ، وشدة البحث والكشف والتنقيب .

ومع ما أفاض الله على بيت المال من الاموال التي كانت تجبى فقد كان رحمه الله زاهداً متعففاً لا يأكل من ذلك المال الا بالمعروف ، وكان سخياً جواداً لا يرد سائلًا فلم يخلف رحمه الله من المال شيئاً يوزع بين ورثته بل كان عليه دين كثير اوفاه الله عنه .

وقد اختاره الله الى جواره يوم الاثنين آخر شوال سنة ١٢٠٦ وله من العمر نحو ٩٢ عاماً رحمه الله رحمة واسعة واسكنه الفسيح من جنانه .

آراء علماء الشرق والغرب في الدعوة

لئن لقيت الدعوة في ابتداء امرها ، بعض مقاومة من أعدائها وخصومها الذين تجمعوا لقتالها ، وائتمروا بها ، وفي مقدمتهم الترك والمصريون بقيادة محمد علي باشا ، وبعض شيوخ الجمود ، الذين حاولوا صدها عن سبيلها ، ومنع الناس من الدخول فيها ، بما نشروه من اضاليل ، واذاعوه من اباطيل ، فان المنصفين من علماء الشرق والغرب ولا سيما اولئك الذين جاؤا في الازمنة المتأخرة ، وفوها حقها من التعظيم والتبجيل ، بعد ان درسوها حق دراستها ، وغاصوا الى اعماقها ، واحاطوا بما انتجته من نتائج عظيمة ، وما اثمرته من ثمار طيبة للاسلام والعروبة ، ولم يكتف بعضهم بجمل عابرة ، بل حبر في وصفها الفصول الطوال ويمكن القول بدون تردد ان تقدير الناس لها ، واعجابهم بسمو مقاصدها ، يزداد ، كلما ازدادوا دراسة لها ، واحاطة بسيرة مؤسسها باعتبارها اعظم حركة اصلاح ديني واجتماعي ظهرت في الشرق العربي بالعصور المتأخرة .

وهنالك حقيقة اخرى ، نرى ان نسجلها في هذه المناسبة وهي ان معظم العلماء الغربيين الذين كتبوا عنها بالغوا كثيراً في تعظيمها واسهبوا وأطالوا في وصف نتائجها ، لا فرق في ذلك بين العلماء الانكليز والالمان والاميركان من الباحثين في شؤون الشرق والاسلام فقد اتفقوا في وصفها بانها حركة البعث الاسلامي وطلعة هذه النهضة الكبرى، التي تنير آفاق الشرق العربي والاسلامي.

ولما كان اثبات كل ما كتبوه ودونوه عن الدعوة وعظمتها يحتاج الى مجلدات فقد اكتفينا باثبات قسم منه للدلالة على الكل وقد بدأنا بتسجيل اقوال علماء الشرق الاسلامي ثم قفينا باقوال علماء الغرب عملاً بالقول المأثور ، ما لا يدرك كله ، لا يترك جله .

آراء علماء الشرق

- ١ -

رأي الاستاذ الامام محمد عبده

يقول الشيخ حافظ وهبه في كتابه «٥٠ عاماً في جزيرة العرب» وهو يتحدث عن طلبه العلم في الازهر انه سمع الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي مصر ، يثني في دروسه بالازهر على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ويلقبه بالمصلح العظيم ، ويلقي تبعة وقف دعوته الاصلاحية على الاتراك وعلى محمد علي الالباني لجهلهم ومسايرتهم لعلماء عصرهم ممن ساروا على سنة من سبقهم من مؤيدي البدع والخرافات ، ومجافاة حقائق الاسلام .

رأي علماء الشام

وانتهت المشيخة العليا في بلاد الشام في اوائل هذا القرن الى الشيوخ الاجلاء الشيخ جمال الدين القاسمي والشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ طاهر الجزائري والشيخ محمد كامل القصاب فدرسوا الحركة الوهابية ، فاعجبوا بها ، وقدروها قدرها ، ورأوا انها على حق وصواب ، فنشروها في المجتمع الشامي ، وبذروا بذورها ، فأثمرت اطيب الثمار ، وانتجت ابرك النتائج ، والمتفق عليه بين الباحثين في تاريخ الحركة القومية الجديدة التي سبقت بها سورية الاقطار العربية انها نفحة من نفحات الدعوة الوهابية وثمرة من ثمارها ، عنها انبثقت ، ومن رياضها تغذت.

وقاضت الحكومة التركية زعيم الحركة وعميدها الشيخ جمال الدين القاسمي واحالته الى القضاء بتهمة العمل على نشر الدعوة الوهابية وذلك في سنة ١٩٠٨ (١٣٢٤ هـ) فبرأه القضاء .

والف بعض علماء الشام الكتب في تأييدها ، وعملوا على نشرها واذاعتها بشتى الوسائل التي كانت معروفة في القرن الماضي مما ساعد في جملته على نمو النهضة الجديدة ونجاحها .

رأي عالم عراقي

والف علامة العراق السيد محمود شكري الالوسي في اوائل هـذا القرن كتاباً اسماه «تاريخ نجد» تناول فيه الحركة الوهابية وايدها ، وقد تولى الشيخ محمد بهجـة الاثري نشر هذا الكتاب النفيس في سنة ١٣٤٣ ونحن نقتطف منه ما ورد فيه عن الحركة ومؤسسها الكبير ، قال بعد كلام طويل عن اهل نجد وانهم جميعاً موحدون وعلى عقائد السلف الصالح ما نصه :

« ونقص عليك شيئاً من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونذكر طرفاً من أخباره واحواله ليعلم الناظر فيه بحقيقة امره، فلا يروج عليه تشنيع من استحوذ عليه الشيطان واغواه وبالغ في كفره واستهواه فنقول :

« وقد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المقروءة عليه ، وما ثبت بخطه ، وعرف واشتهر من امره ودعوته ، ومـا عليه الفضلاء النبلاء من اصحابه وتلامذته ، انه كان على مـا كان عليه السلف الصالح ، وائمـة الدين اهل الفقه والفتوى في باب معرفـة الله ، واثبات صفات كماله، ونعوت جلاله ، التي نطق بها الكتاب العزيز ، وصحت بها الاخبار النبوية ، وتلقتها اصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم يثبتونها ويؤمنون بها،

كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، درج على هذا من بعدهم من التابعين وتابعيهم من اهل العلم والايمان ، وسلف الامة وأئمتها كسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبدالله ، وطلحة بن عبيد الله وسليمان بن يسار وامثالهم الخ.

« واما توحيد العبادة الالهية فلا خلاف بين اهل الاسلام فيما قاله الشيخ وثبت عنه من المعتقدالذي دعا اليه يوضح ذلك ان اصل الاسلام وقاعدته: شهادة ان لا إله إلا الله وهي اصل الايمان بالله وحده وهي افضل شعب الايمان، وهذا الاصل لا بد فيه من العلم والعمل والاقرار باجماع المسلمين ، ومدلوله وجوب عبادة الله وحده لا شريك له والبراءة من عبادة سواه كائناً من كان . وهذه هي الحكمة التي خلقت لها الانس والجن وارسلت لها الرسل وانزلت بها الكتب وهي تتضمن كمال الذل والحب وتتضمن كمال الطاعة والتعظيم الخ » .

ثم قال « وله رحمه الله من المناقب والمآثر ، ما لا يخفى على اهل الفضائل والمآثر ، ومما اختصه الله به من الكرامة تسلط اعداء الدين ، وخصوم عباد الله المؤمنين على مسبّته والتعرض لبهته وعيبه، قال الشافعي رحمه الله تعالى: «ما ارى الناس ابتلوا بشتم اصحاب رسول الله ﷺ الا ليزيدهم الله بذلك ثواباً عندانقطاع أعمالهم » وافضل الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر وقد ابتليا من طعن اهل الجهالة والسفاهة بما لا يخفى وما حكيناه عن الشيخ ، حكاه أهل المقالات عن اهل السنة والجماعة مجملًا ومفصلا» ثم اورد بعض اقوالهم.

رأي الاستاذ احمد امين العالم المصري

وتناول الاستاذ احمد امين العالم المصري الشهير في كتابه « زعماء الاصلاح الاسلامي» نهضة الاصلاح الديني في نجد وهذا ما قاله عنها :

« ورأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في اثناء اقامته في الحجاز ورحلاته الى كثير من بلاد العالم الاسلامي ان هذا التوحيد الذي هو مزية الاسلام الكبرى، قد ضاع ودخله الكثير من الفساد .

فالتوحيد اساسه الاعتقاد بان الله وحده، هو خالق هذا العالم، والمسيطر عليه. وواضع قوانينه التي يسير عليها، والمشرع له وليس في الخلق من يشاركه في خلقه ولا في حكمه ولا من يعينه على تصريف اموره ، لانه تعالى ليس في حاجة الى عون احد مهما كان من المقربين اليه . هو الذي بيده الحكم وحده وهو الذي بيده النفع والضر وحده لا شريك له ، فمعنى لا إله إلا الله ليس في الوجود ذو سلطة حقيقية تسير العالم وفقاً لما وضع من قوانين الا هو، وليس في الوجود من يستحق العبادة والتعظيم الا هو ، وهذا هو محور القرآن «قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» .

اذن فما بال العالم الاسلامي اليوم يعدل عن هذا التوحيد المطلق الخالص من كل شائبة الي ان يشرك مع الله كثيراً من خلقه ! فهذه الاولياء يحج اليهـــا وتقدم لها النذور ويعتقد انهـا قادرة على النفع والضر ، وهذه الاضرحة التي لا عداد لها تقام في جميـع اقطاره، يشد الناس اليها رحالهم ويتمسحون بها ويتذللون لها ويطلبون جلب الخـير لهم ودفع الشر عنهم ، ففي كل بلدة ولي او اوليـاء وفي كل بلدة ضريح او اضرحة تشترك مع الله تعالى في تصريف الامور، ودفع الاذى وجلب الخير، وكأن الله سلطان من سلاطين الدنيـا يتقرب اليه ، بذوي الجاه واهل الزلفى لديه، ويرجحون في تغيير القوانين وقضاء الحاجات، اليس هذا كما كان يقول مشركو العرب (ما نعبـدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ؟ بل واأسفاه لم يكتف المسلمون بذلك بـل اشركوا مع الله حتى النبات والجـمـــاد فهؤلاء اهل بلدة منفوحة باليمامة يعتقدون في نخلة هناك ان لها قدرة عجيبة من قصدها من العرائس تزوجت لعامها . وهذا الغار في الدرعية يحج اليه الناس للتبرك وفي كل بلدة من البلاد الاسلامية مثل هذا ففي مصر شجرة الحنفي ونعل الكلشني وبوابة المتولي [1] .

وفي كل قطر حجر وشجر فكيف نخلص التوحيد من كل هذه العقائد ؟

انهـــا تصد الناس عن الله الواحد وتشرك معه غـيره وتسيء الى النفوس وتجعلها ذليلة وضيعة مخرفة وتجردها من فكرة التوحيد وتفقدها التسامي .

هكذا شغلت ذهنه فكرة التوحيد في العقيدة مجردة من كل شريك وفكرة التوحيد في التشريـع فلا مصدر له الا الكتاب والسنة .

هذا هو اساس دعوة محمد بن عبد الوهاب وعلى هذا الاساس بنيت الجزئيات

---

(١) شجرة الحنفي ، شجرة كانت في جامع الحنفي بالقاهرة يتبرك بها ، ونعل الكلشني نعل قديمة في تكية الكلشني، يزعمون ان الماء اذ شرب منهـــا ينفع للتداوي من العشق. وبوابة المتولي بالقاهرة أيضاً مملوءة بالمسامير بها تعاق الشعور والخبوط لقضاء حاجة من علقها .

اقتفى محمد بن عبد الوهاب في دعوته وتعاليمه عالماً كبيراً ظهر في القرن السابع الهجري في عهد السلطان الناصر هو (ابن تيمية) وهو – مع انه حنبلي – كان يقول بالاجتهاد ولو خالف الحنابلة وكان حر التفكير في حدود الكتاب وصحيح السنة، ذلق اللسان، قوي الحجة، شجاع القلب لا يخشى احداً الا الله ولا يعبأ بسجن مظلم ولا تعذيب مرهق فهاجم الفقهاء والمتصوفة ودعا الى عدم زيارة القبور والاضرحة وهدمها والف في ذلك الرسائل الكثيرة ولم يعبأ الا بما ورد في الكتاب والسنة وخالف امامه احمد بن حنبل حين اداه اجتهاده الى ذلك .

ويظهر ان محمد بن عبد الوهاب عرف ابن تيمية من طريق دراسته الحنبلية فأعجب به وعكف على كتبه ورسائله يكتبها ويدرسها وفي المتحف البريطاني بعض رسائل لابن تيمية مكتوبة بخط ابن عبد الوهاب .

دعا – محمد بن عبد الوهاب – مثله الى ترك البدع والتوجه بالعبادة والدعاء الى الله وحده لا الى المشايخ والاولياء والاضرحة ولابوساطة توسل ولا شفاعة. وزيارة القبور تكون للعظة والاعتبار لا للتوسل والاستشفاع فهم لا يملكون شيئاً بجانب الله وقوانينه الثابتة التي لا تختلف والتي نظم الله بها كونه فالذبح للقبور والنذور لها والاستغاثة بها والسجود عندها شرك لا يرضاه الله وهو هدم للتوحيد الذي جاء به الاسلام من اساسه ومثل ذلك تجصيص القبور وبناية الاضرحة وتشييد الابنية عليها وكسوتها بالحرير المذهب وما الى ذلك . فكل هذه لا يعرفها الاسلام .

فكانت دعوة ابن عبد الوهاب حرباً على كل ما ابتدع بعد الاسلام الاول من عادات وتقاليد فلا اجتماع لقراءة مولد ولا احتفاء بزيارة قبور ولا خروج للنساء وراء الجنازة ولا اقامة اذكار يغني بها ويرقص ولا محمل يتبرك به ويتمسح ويحتفل به هذا الاحتفال الضخم . وهو ليس الا اعواداً خشبية لا تضر ولا تنفع .

كل هذا مخالف للاسلام الصحيح يجب ان يزال ويجب ان نعود الى الاسلام

في بساطته الاولى وطهارته ونقائه ووحدانيته واتصال العبد بربه من غير واسطة ولا شريك فلا إله إلا الله معناها كل ذلك والكتب المملوءة بالتوسلات كتب ضارة بالعقائد كدلائل الخيرات وما في البردة من مثل قوله :

يا أكرم الخلق مالي من الوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم

وقوله :

ان لم تكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً والا فقل يا زلة القدم

وقوله :

فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

ونحو ذلك اقوال فاسدة كاذبة فلا التجاء الا الى الله ، ولا اعتماد في الدنيا والآخرة الا عليه .

لقد كان محمد بن عبد الوهاب ومن نحا نحوه يرون ان ضعف المسلمين اليوم وسقوط نفسيتهم ليس له سبب الا العقيدة فقد كانت العقيدة الاسلامية في اول عهدها صافية نقية من اي شرك وكانت لا إله إلا الله معناها السمو بالنفس عن الاحجار والاوثان وعبادة العظماء وعدم الخوف من الموت في سبيل الحق وعدم الخوف من استنكار المنكر والامر بالمعروف مهما تبع ذلك من عذاب، ولا قيمة للحياة الا اذا بذلت في رفع لواء الحق ودفع الظلم وهذا هو الفرق الوحيد بين العرب في الجاهلية والعرب في الاسلام وبهذه العقيدة وحدها غزوا وفتحوا وحكموا . ثم ماذا ؟

ثم لم يتغير شيء الا العقيدة فتدنوا من سمو التوحيد الى حضيض الشرك فتعددت آلهتهم من حجر وشجر واعواد خشب وقبور اولياء وركنوا الى ذلك في حياتهم العامة فالزرع ينجع لرضا ولي، ويخيب لغضبه والبقرة تحيا اذا نذرت

للسيد البدوي أو مثله ، وتموت اذا لم تنذر وهكذا في الامراض والعلل والغنى والفقر كلها لا ترجع الى قوانين الله الطبيعية وانمـــا ترجع الى غضب الارواح ورضاهـــا ومثل هذه النفوس الضعيفة التي تـذل للحجر والشجر والارواح لا تستطيع ان تقف امام الولاة والحكام الظالمين تأمرهم بمعروف او تنهاهم عن منكر فذلوا للحكام والاغنياء كما ذلوا للخشب والاحجار ومـا زال كل قرن يمر تزداد معه الالهة عدداً وتزداد النفوس ذلة حتى وصلت الحال بالامة الاسلامية الى فقد سيادتها وانهيار عزتها ولا يصلح آخر الاسلام الا بمـا صلح به اوله فـلا بد من العودة الى الحياة الاسلامية الاولى حيث التوحيد الصحيح والعزة الحقة، ولا بد من هدم هـذه البدع والخرافات باللـين ان نجح وبالقوة ان لم ينجع والله المستعان .

لم ينظر محمد بن عبد الوهاب الى المدنية الحديثة وموقف المسلمين منهـا ولم يتجه في اصلاحه الى الحياة المادية وانما اتجه الى العقيدة وحدها فعنده ان العقيدة والروح هما الاساس وهما القلب ان صلحا صلح كل شيء وان فسدا فسد كل شيء .

هذا هو جوهر الدعوة التي دعا اليها محمد بن عبد الوهاب .

رأي الدكتور طه حسين

وتناول الدكتور طه حسين استاذ الادب العربي في الجامعة المصرية ، الدعوة في بحث نشره سنة ١٣٥٤ عن الحياة الادبية في جزيرة العرب وهذا ما قاله عنها :

« ولا يستطيع الباحث عن الحياة العقلية والادبية في جزيرة العرب ان يهمل حركة عنيفة نشأت فيها اثناء القرن الثامن عشر الميلادي فلفتت اليها العالم الحديث في الشرق والغرب واضطرته ان يهتم بامرها ، واحدثت فيها اثاراً خطيرة هان شأنها بعض الشيء ، ولكنه عاد فاشتد في هذه الايام ، واخذ يؤثر لا في الجزيرة وحدها بل في علاقاتها بالامم الاوروبية .

هذه الحركة ، هي الحركة الوهابية التي احدثها محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ نجد . نشأ محمد بن عبد الوهاب في بيت علم وفقه وقضاء . تثقف على أبيه ثم رحل الى العراق فسمع من علماء البصرة وفقهائها واظهر فيها آراءه الجديدة القديمة معاً فسخط عليه الناس واخرج من البصرة وكان يريد ان يذهب الى الشام فحال الفقر بينه وبين ذلك فعاد الى نجد ، وأقام مع ابيه حيناً يناظر ويدعو الى

آرائه، حتى ظهر امره، وانتشر مذهبه، وانقسم الناس فيه قسمين فكان له انصار وكان له خصوم وتعرضت حياته آخر الامر للخطر فأخذ يعرض نفسه على الامراء رؤساء العشائر ليجيروه ويحموا دعوته ، حتى انتهى به الامر الى الدرعية وهناك عرض نفسه على اميرها محمد بن سعود فاجاره وبايعه على المعونة والنصرة ومن ذلك اليوم اصبح المذهب الجديد مذهباً رسمياً يعتمد على قوة سياسية تؤيده وتحميه بل تنشره في اقطار نجد بالدعوة اللينة حيناً وبالسيف والحرب في أكثر الاحيان .

وعن هذا التحالف بين الدين والسياسة نشأت في الجزيرة العربية دولةسياسية عظم امرها ، واشتد خطرها ، حتى اشفق منها الترك اشد الاشفاق فقاوموها ما وسعتهم المقاومة فلما لم يفلحوا استعانوا بالمصريين وكان امرهم اذ ذاك الى محمدعلي باشا فنجح المصريون في اضعاف هذه الحركة وازالة هذه الدولة الجديدة ورد امرائها الى ما كانوا عليه من قبل ذلك الوضع ، فلا بد من وقفة قصيرة عند هذا المذهب الجديد لنعرف ما هو وما مبلغ تأثيره في الحياة العقلية العربية في هذا العصر الحديث .

قلت ان هذا المذهب جديد وقديم معاً والواقع انه جديد بالنسبة الى المعاصرين ولكنه قديم في حقيقة الامر لانه ليس الا الدعوة القوية الى الاسلام الخالص النقي المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية، هو الدعوة الى الاسلام كما جاء به النبي خالصا لله وحده ملغياً كل واسطة بين الله وبين الناس ، هو احياء للاسلام ، وتطهير له مما اصابه من نتائج الجهل ، ومن نتائج الاختلاط بغير العرب فقد انكر محمد بن عبد الوهاب على اهل نجد ما كانوا قد عادوا اليه من جاهلية في العقيدة والسيرة ، كانوا يعظمون القبور ويتخذون بعض الموتى شفعاء عند الله ويعظمون الاشجار والاحجار ويرون ان لها من القوة ما ينفع ويضر وكانوا قد عادوا في سيرتهم الى حياة العرب الجاهليين فعاشوا من الغزو والحرب ونسوا الزكاة والصلاة واصبح الدين اسماً لا معنى له فأراد محمد بن عبد الوهاب

ان يجعل من هؤلاء الاعراب الجفاة المشركين قوماً مسلمين حقاً على نحو ما فعل النبي بأهل الحجاز منذ اكثر من احد عشر قرنا .

ومن الغريب ان ظهور هذا المذهب الجديد في نجد قد احاطت به ظروف تذكر بظهور الاسلام في الحجـاز ، فقد دعا صاحبه اليه باللين اول الامر فتبعه بعض الناس ثم اظهر دعوته فاصابه الاضطراب وتعرض للخطر ثم اخـذ يعرض نفسه على الامراء ورؤساء العشائر كما عرض النبي نفسه على القبائل ثم هاجر الى الدرعية وبايعه اهلها على النصر كما هاجر النبي الى المدينة ولكن ابن عبد الوهاب لم يرد ان يشتغل بامور الدنيا فترك السياسة واصحابها اداة لدعوته فلما تم له هذا دعا الناس الى مذهبه فمن اجاب منهم نجا ومن امتنع اغرى عليه السيف وشب عليه الحرب وقد انقاد اهل نجد لهذا المذهب واخلصوا له الطاعة وضحوا بحياتهم في سبيله على نحو ما انقاد العرب للنبي وهاجروا معه .

ولولا ان الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب وحاربوه في داره بقوى واسلحة لا عهد لاهل البادية بهـا لكان من المرجو ان يوحد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة كما وحد ظهور الاسلام كلمتهم في القرن الاول .

ولكن الذي يعنينا من أمر هذا المذهب اثره في الحياة العقلية والادبية عند العرب . وقد كان هذا الاثر عظيما خطيراً من نواح مختلفة فهو قد ايقظ النفس العربية ووضع امامها مثلا اعلى احبته وجاهدت في سبيله بالسيف والقلم واللسان وهو قد لفت المسلمين جميعـــاً ، واهل العراق والشام بنوع خاص الى جزيرة العرب ».

رأي الاستاذ العقاد

وتناول الاستاذ عباس العقـاد في كتابه « الاسلام في القرن العشرين » حركة الاصلاح وقال ما نصه :

« وظاهر من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب انه لقى في رسالته عنتاً فاشتد كما يشتد من يدعو غير سميـع ، ومن العنت اطباق النـاس على الجهل والتوسل بما لا يضر ولا ينفع والتماس المصالح بغير اسبابها ، واتيـــان المسالك من غير ابوابها . وقد غبر على البادية زمن كانوا يتكلون فيه على التعاويذ والتمائم واضاليل المشعوذين والمنجمين ، ويدعون السعي من وجوهه توسلا باباطيل السحرة والدجالين حتى الاستسقاء ودفع الوباء فكان حقاً على الدعاة ان يصرفوهم عن هذه الجهالة . وكان من اثر الدعوة الوهابية انها صرفتهم عن الوان من البدع والخرافات » .

وقال ايضاً في الكتاب نفسه ، وهو يتكلم عن كتاب التوحيد تأليف الامام ما يلي : ان الكتاب الذي تضمن دعوة الشيخ – وفيه يحصى الشيخ الذنوب التي تكفر صاحبها وتعتبر شركا بالله واكثرهـا من البدع والخرافات والمغالاة بتعظيم الاحبار والاولياء . ومن الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء او دفعه .

ومن الشرك اتخاذ الرقي والتمائم للوقاية والتبرك بالشجر والحجر والذبح لغير الله ، والنزر لغير الله ، والاستعاذة بغير الله ، والعبادة عند القبور وان الغلو في عبادة الصالحين يصيرها اوثانا تعبد من دون الله ، وان الكهانة والعيافة والتبطير والتنجيم من الشيطـان . واورد الشيخ الآيات والاحاديث التي تحرم الاستسقاء بالانواء ، وانكر على الصوفية تأويلاتهم ، وخوارقهم واستشهد على تحريم الصور بقوله عليـه السلام فيما يرويه عن ربه « ومن اظلم ممن ذهب بخلق كخلقي » وبقوله عن عائشة « اشد الناس عذاباً يوم القيـامة الذين يضاهئون بخلق الله » وحذر من المغالاة في تعظيم النبي عليه السلام مستشهداً بقول انس: ان ناساً قالوا يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وابن سيدنا فقال ايها الناس قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، انا محمد عبدالله ورسوله ما احب ان ترفعوني فوق منزلتي التي انزلني الله عز وجل »

وكان الشيخ ينكر الغلو ، ويستشهد بقول الرسول عليـــه السلام : اياكم والغلو فانما أهلك من كان قبلكم الغلو » وقوله عليه السلام « هلك المتنطعون . هلك المتنطعون . هلك المتنطعون».

رأي الاستاذ احمد حسين

وأدى الاستاذ احمد حسين العالم المصري ومؤسس حزب مصر الفتاة فريضة الحج في سنة ١٩٤٨ (١٣٦٧) ثم اصدر بعد عودته كتاباً قيماً ثميناً جعل اسمه «مشاهداتي في جزيرة العرب» وهاك ما كتبه عن الدعوة ومؤسسها العظيم قال بعد ان وصف ما كانت تخب فيه جزيرة العرب من جهالة قبل ظهور الدعوة ما يـلي :

« وفي وسط هذا الجو ولد محمد بن عبد الوهـاب ، وكان ابوه الشيخ عبـد الوهاب بن سليمان قاضي بلدة العيينة وكان شيخاً عالماً جليل القدر ، فقرأ على ابيه الفقه وسرعان ما ظهرت عليه علائم النجابة ، وبدأ يدرك على الفور مـا تردت به البـادية من همجية وردة عـن دين الاسلام ، وبدأت تجيش نفسه بما تجيش به نفس كل مصلح من عزم على تغيير هذه الحال . فلمـا بلغ من العمر عشرين ربيعاً بدأ يستخدم فصاحته وعلمه في مناقشة انداده واضرابه بل ومن هم اكبر منه سناً في فساد الحال فلم يجد منهم اذنـاً صاغية، خوف بطش العامة وطغيانهم » .

وبعد ان ذكر سفر الشيخ الى الحجاز واداءه فريضة الحج وذهابه الى البصرة

ورجوعه ثانية الى نجد وهجرته الى الدرعية واستقراره فيها واتفاقه مع محمد بن سعود ، ختم هذا البحث بقوله :

تلك هي قصة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما بدأت والتي لم تكمل حتى الآن ، فلا يزال احفاد محمد بن سعود واحفاد الشيخ محمد يحملون لواء التوحيد وينافحون عنه ، واذا كان العالم الاسلامي كله اليوم تحت تأثير النور والعرفان قد بدأ يدرك بفطرته هذا الذي دعا اليه محمد بن عبد الوهاب ويتعشقه فسيظل التاريخ يسجل لآل سعود الذين كانوا اول من نصره واستجاب له .

رأي الاستاذ فيليب حتي

وقال الاستاذ فيليب حتي وهو مؤرخ لبناني في كتابه تاريخ العرب

« ولقد تأثر محمد بن عبد الوهاب بفكرة هي ان الاسلام كما يمارسه معاصروه قد انحرف كثيراً عملياً ونظرياً عن طريق السنة التي استنها القرآن وقرر أن ينقيها هو بنفسه » .

آراء العلماء الغربيين

اقوال لوثروب ستودارد

تناول المستر لوثروب ستودارد الاميركي في كتابه حاضر العالم الاسلامي وقد عربه الاستاذ عجاج نويهض وعلق عليه الامير شكيب ارسلان حركة الاصلاح الديني فقال :

« بلغ العالم الاسلامي في القرن الثاني عشر الهجري ، اعظم مبلغ من التضعضع ومن التدني والانحطاط ، فاربد جوه ، وطبقت الظلمة كل صقع من اصقاعه ، ورجاء من ارجائه . وانتشر فيه فساد الاخلاق والاداب – وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة وانقلبت الحكومات الاسلامية الى مطايا استبداد، وفوضى واغتيال. اما الدين فقد غشيته غاشية سوداء فالبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة سجفاً من الخرافات ، وقشوراً من الصوفية ، وخلت

المساجد من ارباب الصلوات ، وكثر عدد الادعياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء والمساكين ، يخرجون من مكان الى مكان يحملون في اعناقهم التمائم والتعاويذ ، والسبحات ، ويوهمون الناس بالاباطيل والشبهات ، ويرغبونهم في الحج الى قبور الاولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور .

وغابت عن الناس فضائل القرآن . ونال مكة والمدينة ما نال غيرهما من سائر مدن الاسلام ، وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا مهبطاً بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة الى الارض في ذلك العصر ورأى ما كان يدعي الاسلام لغضب .

وبينما العالم الاسلامي مستغرق في هجعته ، ومدلج في ظلمته ، اذا بصوت يدوي من قلب الصحراء في شبه الجزيرة العربية ، مهد الاسلام ، فيوقظ المؤمنين ، ويدعوهم الى الاصلاح والرجوع الى سواء السبيل ، والصراط المستقيم ، فكان الصارخ لهذا الصوت انما هو المصلح المشهور محمد بن عبد الوهاب الذي اشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت ثم اخذ هذا الداعي يحض المسلمين على اصلاح النفوس واستعادة المجد الاسلامي القويم» .

راي مستشرق الماني كبير

وتناول المستشرق الالماني الكبير كارل بروكلمان في كتابه «تاريخ الشعوب الاسلامية» الحركة الوهابية بالدرس والتحليل في الجزء الرابع وهذا ما قاله :

«واصطدم محمد علي باشا بحركة انبعاث وطنية كبرى . ومفصل ذلك انه ولد في نجد ، المرتفعة في قلب جزيرة العرب ، محمد بن عبد الوهاب من قبيلة تميم ، ما بين اواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر(م) فنشأ محباً للعلم ، واقفاً نفسه على دراسة الفقه والشريعة ، وقصد وفقاً للعادة القديمة الى عواصم الشرق الاسلامي طلباً للعلم في مدارسها ، وفي بغداد درس فقه الامام

احمد بن حنبل [١] مؤسس آخر المذاهب السنية الاربعة ، والذي دافع بشدة وثبات عن مبدأ الاخذ بالحديث والاعتماد عليه اعتماداً كلياً ، ضد نزعة الفقهاء القائلين بالاخذ بالرأي .

ثم درس مؤلفات الشيخ ابن تيمية الذي كان قد احيا في القرن الرابع عشر تعاليم ابن حنبل ، والواقع ان دراسته لآراء هذين الامامين انتهت به الى الايمان بان الاسلام في شكله السائد في عصره وخاصة بين الاتراك ، مشرب بالمساوىء التي لا تمت الى الدين الصحيح بنسب، فلما ذهب الى بلده الاول سعى اول ما سعى ، الى ان يعيد الى العقيدة والحياة الاسلامية صفاءهما الاصلي في محيطه الضيق ، ولكنه لم يكن ينكر مظاهر التقديس التي كان يحاط بها «سعد» وهو الولي الخاص بمسقط رأسه «العيينة» ويفرض بين أتباعه القصاص المفروض على الزانية ، حتى نفي من البلاد فلجأ في سنة ١٧٤٠ الى الدرعية فلقي حفاوة وترحيباً حتى اذا انقضت فترة قصيرة اكتسبت تعاليمه أنصاراً ومريدين . ولقد أنكر تقديس الرسول والاولياء على اختلاف صوره ، وكان ذلك قد شاع بين المسلمين منذ قرون ، تقليداً للنصرانية ، وبعض الطقوس الدينية الاكثر بدائية، رامياً بالشرك اولئك المسلمين الذين يشاركون في هذا التقديس والذين يأذن القرآن بحربهم حتى يرجعوا عن غيهم او يبادوا .

واخذ الشيخ اتباعه بأداء صلاة الجمعة في شدة لا تعرف الرحمة ، ونهى عن كل زينة في اللباس ، وعن لبس الحرير خاصة ، وحرم ايما تزيين او زخرفة للمساجد والاضرحة ، وليس هذا فحسب بل لقد توسع في فهم التحريم الاسلامي لمختلف ضروب المسكر فحرم تدخين التبغ الذي اعلن جميع الفقهاء تقريباً من الحنابلة وغير الحنابلة معارضتهم له اول دخوله الى بلاد الشرق .

والواقع ان هذا المصلح كان يتأسى بسيرة الرسول ويحذو حذوه — وينحو نحوه في التفكير . وكان كالرسول قادراً على الهاب نار الحماسة في قلوب اصحابه، وعلى استثمار محبتهم العارمة للحرب في سبيل قضيته » .

---

(١) لم يثبت انه زار بغداد — المؤلف

راي مؤرخ الماني

وقال الدكتور داكوبرت فون ميكوس المؤرخ الالماني في كتابه « عبد العزيز » وقد صدر في المانيا سنة ١٩٥٣ ونقله الى العربية الدكتور امين رويحه عن الحركة الوهابية ما ننقله بحروفه :

« وكان لآل سعود الى جـانب سيفهم الذي يستخدمونه في الفتح، سلاح معنوي آخر يدينون له باعظم قسط من نجاحهم ، ذلك السلاح من صنع الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحد رجال الدين المطاردين في سبيل عقيدتهم ، والذي لجأ الى «الدرعية» عاصمة آل سعود في ذلك الحين فلقي لديهم الحماية والامان .

« وكانت تملأ قلب محمد بن عبد الوهاب فكرة تجديد القوى العربية على اساس ديني ، ناسباً الى ابتعادهم عن سيرة السلف الصالح ، وانقسامهم الى شيع والى ابتعادهم عن خلقهم العربي الاصيل ، سبب تلاشيهم الذي جعلهم في متناول النفوذ الاجنبي، وقد لمس الشيخ محمد في رحلاته المتعددة وشاهد بأم عينيه ضعف المسلمين ، وعجزهم عن مقاومة سلطان الغرب الذي كان يتغلغل اكثر فأكثر حتى اصبحوا ضحايا رخيصة للمدنية الغربية .

ورأى الشيخ ان سبيل الانقاذ هو الرجوع الى تعاليم الدين غير المشروعة، الى تعاليم الرسول الصحيحة فراح يبشر بوحي من ضميره وعقيدته، بمحاربة البدع التي ادخلت على الاسلام عبر العصور الغابرة ، والضال المضل من تقارير علماء الدين، غير مقيم وزناً الا لما نص عليه القرآن صراحة، او لما يمكن نسبته بصورة قاطعة للنبي محمد . وراح يحارب بكل قواه المستمدة من عقيدته الصلبة تقديس الاولياء وجعلهم واسطة بين الله والناس ، وينادي بهدم الاضرحة ومزارات الاولياء وازالة معالمها ، اقتداء بالنبي الكريم الذي حارب بدعة تقديس الهياكل

وعبادة الاصنام الموروثة من الجاهلية . كذلك كان يحارب الميوعة والبهرجة في اللباس وطريقة العيش، والمظهر، والتنعم بالملاذ الدنيوية وهي متع بخلت الطبيعة الا بالقليل منها على الجزيرة العربية لذلك كان الحصول عليها يقتضي الخضوع للأجنبي وكان هدفه ان يجعل من بلاد العرب ومن موطن الاسلام ، مصدر بعثه الجديدة ، فيتمرس ابناؤها بالحياة البدائية القاسية ، ويتمسكون بوحدانية الله الذي هو مصدر كل شيء في الوجود .

وكان مثل هذه الافكار يجول في اذهان آل سعود عندما لجأ الى حماهم ذلك المبشر المطارد ، وتبنوا تعاليمه فقدموا لدعوته السيف الذي تحتاج اليه والذي مهد لها طريق الانتشار ، فاذا بالحركة الوهابية التي سميت باسم مؤسسها ، عاصفة تجتاح البلاد العربية جميعاً .

وبلغت الدعوة اوجها ابان حكم سعود الكبير ، في القرن التاسع عشر الذي تم له احتلال الجزء الأكبر من الجزيرة، حتى لكأن موكب النصر الوهابي يسير بحيث لا يتمكن احد من الوقوف في وجهه . وفي نفس الوقت الذي كان فيه عرش السلطان (الخليفة) الذي دام ٤٠٠ سنة مهدداً بالزوال، لاح ان نجم الحركة العربية الذي خبا وتوارى وراء الغيوم مئات السنين ، يوشك ان ينبثق، ولكن الوقت لم يكن قد حان كما ان الانسان العربي لم يكن قد تم نضجاً لذلك بعد ،

راي جماعة من المستشرقين

وقال الاستاذ ويلفرد كانتول في كتاب «الاسلام في نظر الغرب» الفه جماعة من المستشرقين «كان محمد بن عبد الوهاب يقول قبل كل شيء يجب ان تعيشوا حسب الشرع الاسلامي وهذا هو معنى أن تكونوا مسلمين ، لا ذاك الرغاء العاطفي والتقي والحرارة التي يقدمها لكم الصوفيون. فأساس الاسلام هو الشرع واذا كنتم تريدون ان تكونوا مسلمين فيجب ان تعيشوا حسب اوامر الشرع.

راي عالم فرنسي

وقال برنارد لويس في كتابه «العرب في التاريخ» ما يلي :

« وباسم الاسلام الخالي من الشوائب الذي ساد في القرن الاول ، نادى محمد بن عبد الوهاب بالابتعاد عن جميع ما اضيف للعقيدة والعبادات من زيادات باعتبارها بدع خرافية غريبة عن الاسلام الصحيح » .

راي مستشرق نمسوي

وقال شيخ المستشرقين جولدصهير النمسوي في كتابه « العقيدة والشريعة » ما يلي :

« واذا اردنا البحث في علاقة الاسلام السني بالحركة الوهابية نجد انه مما يستوعي انتباهنا خاصة من وجهة النظر الخاصة بالتاريخ الديني الحقيقة التالية : « يجب على من ينصب نفسه للحكم على الحوادث الاسلامية ان يعتبر الوهابيين انصاراً للديانة الاسلامية على الصورة التي وضعها النبي والصحابة ، فغاية الوهابة هي اعادة الاسلام كما كان» .

راي المستشرق سيديو

وقال المستشرق الافرنسي سيديو في كتابه «تاريخ العرب العام» وهويتكلم عن الوهابية وسيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب « فرأى الشيخ انه اذا ما حمل المسلمين على مراعاة احكام القرآن بأحكام ، رجعت اليهم تلك الحماسة التي تعود بها عظمة الماضي ولم يكن للاصلاح الذي بدأه من هدف سوى اعادة شريعة الرسول الخالصة الى سابق عهدها » .

راي المستشرق جب الانكليزي

وقال المستشرق البريطاني «جب» في كتابه «المحمدية» :

« وفي جزيرة العرب قام حوالي سنة ١٧٤٤م (١١٥٧هـ) محمد بن عبدالوهاب مع أمراء الدرعية آل سعود لتحقيق الدعوة الى المدرسة (المذهب) الحنبلية التي دعا اليها ابن تيمية في القرن الرابع عشر» .

وقال ايضاً في كتابه «الاتجاهات المدنية في الاسلام»:

« اما في مجال الفكر فان الوهابية بما قامت به من الفتن ضد التدخلات العدوانية وضد الاصول القائلة بوحدة الوجود التي تريد تدنيس التوحيد في الاسلام ، فقد كانت عاملاً مفيداً للخلاص الابدي، وحركة تجديد اخذت تنجح في العالم الاسلامي شيئاً فشيئاً .

قول دائرة المعارف البريطانية

وجاء في دائرة المعارف البريطانية وهي تتكلم عن الوهابية ما يلي :

« الوهابية اسم لحركة التطهير في الاسلام» والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده ويهملون كل ما سواها .

« وأعداء الوهابية هم اعداء الاسلام الصحيح » .

مؤلفات الشيخ

خلف الشيخ رحمه الله ثروة ثمينة من الكتب والرسائل تؤلف مكتبة خاصة يرجع اليها ، ويستقي من مناهلها ، العذبة الصافية الفياضة .

وكان كتاب التوحيد اول ما ألف بعد استقراره في الدرعية ، وبعد ان انتشرت الدعوة وعمت ، وسارت بذكرها الركبان ، ثم اتبعه بكتاب كشف الشبهات . أما رسالة تفسير الفاتحة فهي مما كتب وهو في العيينة أرسلها الى الامير عبد العزيز بن سعود ، بناء على طلبه ، وكان لا يزال فتى يافعاً يطلب العلم ويتفقه بالدين .

وألحقنا هذه الكتب الثلاثة بكتابنا هذا زيادة في الفائدة .

أما كتبه الاخرى فهذه اسماؤها :

١ ـ الاصول الثلاثة والقواعد الاربعة

٢ ـ شروط الصلاة واركانها

٣ ـ كتاب في الصلاة عرف باسم الفصل الاول منه وهو (آداب المشي الى الصلاة) .

٤ ـ اصول الايمان

٥ ـ فضل الاسلام .

٦ ـ كتاب الكبائر

٧ ـ نصيحة المسلمين .

٨ – ستة مواضع من السيرة (نزول الوحي) (التوحيد والمشركون)
حادثة الغرانيق نهاية ابي طالب – الهجرة النبوية – ارتداد العرب بعد وفاته (ﷺ) .

٩ – مسائل الجاهلية .

١٠ – تفسير كلمة التوحيد .

١١ – تفسير بعض سور القرآن

١٢ – كتاب السيرة (خلاصة لسيرة ابن هشام)

١٣ – الهدى النبوي – وهو مختصر زاد المعاد .

١٤ – كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه .

١٥ – مختصر الشرح الكبير والانصاف .

١٦ – كتاب المستفيد في حكم تارك التوحيد

كتاب التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم

قال الله تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » وقوله « ولقد أرسلنا في كل امة رسولا : ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ».

وقوله : « وقضى ربك الا تعبد الا اياه وبالوالدين احساناً، اما يبلغن عندك الكبر احدهما ، او كلاهما فلا تقل لهما اف ، ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً »

وقوله « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً »

وقوله: «قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئاً ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم وبالوالدين احساناً ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به

لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلـــغ اشده . واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وان هـــذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بينكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

قال ابن مسعود «من أراد ان ينظر الى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى « قل تعالوا اتلوا ما حرم عليكم ربكم الا تشركوا به شيئاً — الى قوله وان هذا صراطي مستقيما الآية ...

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال « كنت رديف النبي (صلعم) علي حمار فقال لي يا معاذ ، اتدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم . قال حق العباد على الله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله الا يعذب من لا يشرك به شيئاً ، قلت يا رسول الله افلا ابشر الناس ، قال لا تبشرهم فيتكلوا » اخرجاه في الصحيحين .

فيه مسائل :

الاولى — في خلق الجن والانس

الثانية — ان العبادة هي التوحيد لان الخصومة فيه

الثالثة — ان من لم يأت به لم يعبد الله . ففيه معنى قوله « ولا انتم عابدون ما اعبد »

الرابعة — الحكمة في ارسال الرسل

الخامسة — ان الرسالة عمت كل امة

السادسة — ان دين الانبياء واحد

السابعة — المسألة الكبيرة: ان عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى قوله : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)

الثامنة – أن الطاغوت عامٌّ في كل ما عبد من دون الله

التاسعة – عظم شأن ثلاث : الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف وفيها عشر مسائل أولها : النهي عن الشرك .

العاشرة – الآيات المحكمات في سورة الاسراء ، وفيها ثمانيـة عشر مسألة ، بدأها الله بقوله : (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً) وختمها بقوله : (ولا تجعل مع الله إلهـاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً) ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة).

الحادية عشرة – آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة ، بدأها الله تعالى بقوله : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) .

الثانية عشرة – التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته .

الثالثة عشرة – معرفة حق الله علينا .

الرابعة عشرة – معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه .

الخامسة عشرة – أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .

السادسة عشرة – جواز كتمان العلم للمصلحة .

السابعة عشرة – استحباب بشارة المسلم بما يسره .

الثامنة عشرة – الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله .

التاسعة عشرة – قول المسؤول عما لا يعلم « الله ورسوله أعلم » .

العشرون – جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .

الحادية والعشرون – تواضعه ﷺ لركوب الحمار ، مع الارداف عليه .

الثانية والعشرون – جواز الإرداف على الدابة .

الثالثة والعشرون – فضيلة معاذ بن جبل .

الرابعة والعشرون – عظم شأن هذه المسألة .

باب - فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى : ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قوله : قال رسول الله (ص) « من شهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، ادخله الله الجنة على ما كان من العمل » اخرجاه . ولهما في حديث عتبان : فان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله ، يبتغي بذلك وجه الله .

وعن ابي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال : « قال موسى يا رب علمني شيئاً اذكرك وادعوك به قال قل يا موسى لا اله الا الله قال يا رب كل عبادك يقولون هذا ، قال يا موسى لو ان السموات السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا اله الا الله » رواه ابن حيان والحاكم وصححه .

وللترمذي وحسنه عن أنس : سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة »

فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل الله .

الثانية : كثرت ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .

الرابعة : تفسير الآية ٨٢ التي في سورة الأنعام .

الخامسة : تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة .

السادسة : أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده ، تبين لك معنى قول « لا إله إلا الله » وتبين لك خطأ المغرورين .

السابعة : التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان .
الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله .
التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات ، مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه .
العاشرة : النص على أن الأرضين سبع كالسموات .
الحادية عشرة : أن لهن عماراً .
الثانية عشرة : إثبات الصفات ، خلافاً للاشعرية .
الثالثة عشرة : أنك إذا عرفت حديث أنس ، عرفت أن قوله في حديث عتبان : « فان الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله ، يبتغي بذلك وجه الله » أنه ترك الشرك ، ليس قولها باللسان .
الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه .
الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .
السادسة عشرة : معرفة كونه روحاً منه .
السابعة عشرة : معرفة فضل الايمان بالجنة والنار .
الثامنة عشرة : معرفة قوله « على ما كان من العمل » .
التاسعة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان .
العشرون : معرفة ذكر الوجه .

باب – من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى «إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين» وقال « والذين بربهم لا يشركون ».

عن حصين بن عبد الرحمن قال : « كنت عند سعيد بن جبير فقال ايكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة فقلت انا ثم قلت اما اني لم اكن في صلاة

ولكن من لدغت قال فما صنعت ؟ قلت ارتقيت قال فما حملك على ذلك قلت حديث الشعبي قال وما حدثكم قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب انه قال « لا رقية الا من عين او حمة » قال قد احسن من انتهى الى ما سمع .

ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال « عرضت علي الامم فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه احد ، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت انهم امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ، فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في اولئك فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا اشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فاخبروه فقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . قال : أنت منهم ، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : سبقك بها عكاشة »

فيه مسائل :

الأولى : معرفة مراتب الناس في التوحيد .

الثانية : ما معنى تحقيقه.

الثالثة : ثناؤه سبحانه على ابراهيم بكونه لم يك من المشركين.

الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك .

الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد .

السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .

السابعة : عمق علم الصحابة لمعرفتهم انهم لم ينالوا ذلك الا بعمل .

الثامنة : حرصهم على الخير .

التاسعة : فضيلة هذه الامة بالكمية والكيفية .

العاشرة : فضيلة اصحاب موسى .

الحادية عشرة : عرض الامم عليه ، عليه الصلاة والسلام.

الثانية عشرة : ان كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .

الثالثة عشرة : قلة من استجاب للأنبياء .

الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتي وحده .

الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم ، وهو عدم الاغترار بالكثرة ، وعدم الزهد في القلة .

السادسة عشرة : الرخصة في الرقية من العين والحمة .

السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله « قد أحسن من انتهى الى ما سمع ولكن كذا وكذا» فعلم ان الحديث الاول لا يخالف الثاني .

الثامنة عشرة : بعد السلف عن مدح الانسان بما ليس فيه .

التاسعة عشرة : «قوله انت منهم» علم من اعلام النبوة .

العشرون : فضيلة عكاشة .

الحادية والعشرون : استعمال المعاريض .

الثانية والعشرون : حسن خلقه صلى الله عليه وسلم .

باب - الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل: «ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

وقال الخليل عليه السلام « واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ».

وفي الحديث « اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر فسئل عنه فقال الرياء » .

وعن ابن سعود رضي الله عنه : ان رسول الله ﷺ قال : من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار » رواه البخاري .

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة . ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار » .

فيه مسائل :

الاولى : الخوف من الشرك .

الثانية : ان الرياء من الشرك .

الثالثة : انه من الشرك الاصغر .

الرابعة : انه اخوف ما يخاف منه على الصالحين .

الخامسة : قرب الجنة والنار .

السادسة : الجمع بين قربها في حديث واحد .

السابعة : انه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة . ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ، ولو كان من أعبد الناس .

الثامنة : المسألة العظيمة : سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام .

التاسعة : اعتباره بحال الأكثر لقوله (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس)

العاشرة : فيه تفسير « لا إله إلا الله » ، كما ذكره البخاري .

الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك .

باب – الدعاء الى شهادة ان لا إله إلا الله

وقول الله تعالى « قل هـذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني . وسبحان الله وما انا من المشركين ».

عن ابن عباس رضى الله عنهما « ان رسول الله ﷺ لما بعث معاذا الى اليمن قال له : انك تاتي قوماً من اهل الكتاب فليكن اول ما تدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا الله .

وفي رواية : الى ان يوحدوا الله فان هم اطاعوك لذلك فاعلمهم ان الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان هم اطـاعوك فاعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم اطاعوك لذلك فاياك وكرائم اموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » اخرجاه ولهما : عن سهل بن سعد رضي الله عنـــه انـ رسول الله ﷺ قـال يوم خيبر لاعطين الراية غداً رجـلًا يحب الله رسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون ليلتهم ايهم يعطاها ، فلمـا اصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ وكلهم يرجو أن يعطاها فقال اين علي بن ابي طالب فقيل هو يشتكي من عينيه فأرسلوا اليه فأتى به فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال انفذ على رسلك حتى تـنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعـالى فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلًا واحداً ، خير لك من حمر النعم. « يدوكون » أي يخوضون .

فيه مسائل :

الأولى : أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ .

الثانية : التنبيه على الاخلاص ، لأن كثيراً لو دعا إلى الحق ، فهو يدعو إلى نفسه .

الثالثة : أن البصيرة من الفرائض .

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد : أنه تنزيه الله تعالى عن المسبة .

الخامسة : أن من قبح الشرك كونه مسبة لله .

السادسة : وهي من أهمها – إبعـاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ، ولو لم يشرك .

السابعة : كون التوحيد أول واجب .

الثامنة : أن يبدأ به قبل كل شيء ، حتى الصلاة .

التاسعة : أن معنى « أن يوحدوا الله » معنى شهادة : أن لا إله إلا الله .

العاشرة : أن الانسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها ، او يعرفها ولا يعمل بها .

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج .

الثانية عشرة : البداءة بالأهم فالأهم .

الثالثة عشرة : مصرف الزكاة .

الرابعة عشرة : كشف العالم الشبهة عن المتعلم .

الخامسة عشرة : النهى عن كرائم الأموال .

السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم .

السابعة عشرة : الاخبار بأنها لا تحجب .

الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء .

التاسعة عشرة : قوله « لأعطين الراية — الخ » علم من أعلام النبوة .

العشرون : تفله في عينيه علم من أعلامها أيضاً .

الحادية والعشرون : فضيلة علي رضى الله عنه .

الثانية والعشرون : فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح .

الثالثة والعشرون : الايمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى .

الرابعة والعشرون : الأدب في قوله « على رسلك » .

الخامسة والعشرون : الدعوة إلى الاسلام قبل القتال .

السادسة والعشرون : أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا .

السابعة والعشرون : الدعوة بالحكمة لقوله : « أخبرهم بما يجب » .

الثامنة والعشرون : المعرفة بحق الله في الاسلام .

التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد .

الثلاثون : الحلف على الفتيا .

باب – تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله

وقول الله تعالى « اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذوراً »

وقوله « واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون » .

وقوله « واتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله » الآية

وقوله « ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حباً لله »

وفي الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل » .

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الابواب .

فيه أكبر المسائل وأهمها : وهي تفسير التوحيد ، وتفسير الشهادة : وبينها بأمور واضحة .

منها : آية الاسراء بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ففيها: بيان أن هذا هو الشرك الأكبر .

ومنها : آية براءة ، بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهاً واحداً ، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه : طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم.

ومنها : قول الخليل عليه السلام للكفار (إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني) فاستثنى من المعبودين ربه ، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة : هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله ، فقال : (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) .

ومنها : آية البقرة في الكفار الذين قال فيهم (وما هم بخارجين من النار) ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله فدل على أنهم يحبون الله حبــاً عظيما ولم يدخلهم في الاسلام . فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله ؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ؟ ولم يحب الله ؟

ومنها : قوله ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه وحسابه على الله » وهـذا من أعظم ما يبين معنى « لا إله إلا الله » فانه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معنـاها مع لفظها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بمـا يعبد من دون الله . فان شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه .

فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها ، ويا له من بيـان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع .

باب ــ من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء او دفعه

وقول الله تعـالى « قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون »

عن عمران بن حصين رضى الله عنه « ان النبي ﷺ رأى رجــلًا في يده حلقة من صفر فقال ما هذه قال من الواهنة قال انزعها فانها لا تزيدك الا وهناً فانك لو مت وهي عليك ما افلحت أبداً » رواه احمد بسند لا بأس به .

وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً « من تعلق تميمة فـلا اتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » وفي رواية من تعلق تميمة فقد اشرك »

ولابن أبي حاتم عن حذيفة « أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

فيه مسائل :

الآولى : التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك .

الثانية : أن الصحابى لو مات وهي عليه ما أفلح. فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر .

الثالثة : أنه لم يعذر بالجهالة .

الرابعة : أنها لا تنفع في العاجلة ، بل تضر لقوله : « لا تزيدك إلا وهناً »

الخامسة : الانكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك .

السادسة : التصريح بأن من تعلق شيئاً وكل إليه .

السابعة : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك .

الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك .

التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة .

العاشرة : أن تعليق الودع عن العين من ذلك .

الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له أي ترك الله له .

باب – ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن ابي بشير الانصاري رضى الله عنه « انه كان مع رسول الله ﷺ في بعض اسفاره فارسل رسولا : أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر او قلادة الا قطعت »

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الرقى والتمائم والتولة شرك » رواه احمد وابو داود .

« التمائم » شيء يعلق على الاولاد من العين لكن اذا كان المعلق القرآن فرخص به بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله على المنهى عنه ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه .

و « الرقى » هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك وخص فيه رسول الله (ص) من العين والحمة .

و « التولة » شيء يصنعونه يزعمون انه يحبب المرأة الى زوجها والرجل الى امرأته .

وعن عبدالله بن عكيم مرفوعا « من تعلق شيئاً وكل اليه » رواه احمد والترمذي .

وروى احمد عن رويفع قال : قال لي رسول الله ﷺ يا رويفع لعل الحياة ستطول بك فاخبر الناس ان من عقد لحيته او تقلد وتراً او استنجى برجيع دابة او عظمة فان محمداً بريء منه »

وعن سعيد بن جبير قال من قطع تميمة من انسان كان كعدل رقبة ، رواه وكيع وله عن ابراهيم قال كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن .

فيه مسائل :

الأولى ـ تفسير الرقى والتمائم .

الثانية ـ تفسير التولة .

الثالثة ـ أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .

الرابعة ـ أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك .

الخامسة ـ أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء : هل هي من ذلك أم لا ؟

السادسة ـ أن تعليق الاوتار على الدواب عن العين من ذلك .
السابعة ـ الوعيد الشديد على من تعلق وتراً .
الثامنة ـ فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان .
التاسعة ـ أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف ، لأن مراده أصحاب عبدالله .

باب – من تبرك بشجر او حجر ونحوهما

وقول الله تعالى « افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى » عن ابي واقد الليثي قال « خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها اسلحتهم يقال لها ذات انواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط. فقال رسول الله ﷺ الله اكبر انها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة. قال : إنكم قوم تجهلون «لتركبن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذي وصححه .

فيه مسائل :

الأولى ـ تفسير آية النجم .
الثانية ـ معرفة صورة الأمر الذي طلبوا .
الثالثة ـ كونهم لم يفعلوا .
الرابعة ـ كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك ، لظنهم أنه يحبه .
الخامسة ـ أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل .
السادسة ـ أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم .

السابعة ـ أن النبي ﷺ لم يعذرهم الأمر ، بل رد عليهم بقوله . « الله أكبر إنها السنن ، لتتبعن سنن من كان قبلكم » فغلظ الأمر بهذه الثلاث .

الثامنة ـ الأمر الكبير ، وهو المقصود . أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بني إسرائيل لما قالوا لموسى (اجعل لنا إلهاً) .

التاسعة ـ أن نفي هذا من معنى « لا إله إلا الله » مع دقته وخفائه على أولئك .

العاشرة ـ أنه حلف على الفتيا ، وهو لا يحلف إلا لمصلحة .

الحادية عشرة ـ أن الشرك فيه أكبر وأصغر لأنهم لم يرتدوا بهذا .

الثانية عشرة ـ قولهم «ونحن حدثاء عهد بكفر» فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة ـ التكبير عند التعجب ، خلافاً لمن كرهه .

الرابعة عشرة ـ سد الذرائع .

الخامسة عشرة ـ النهي عن التشبه بأهل الجاهلية .

السادسة عشرة ـ الغضب عند التعليم .

السابعة عشرة ـ القاعدة الكلية لقوله « إنها السنن » .

الثامنة عشرة ـ أن هذا علم من أعلام النبوة ، لكونه وقع كما أخبر .

التاسعة عشرة ـ أن ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا .

العشرون ـ أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر ، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر . أما « من ربك ؟ » فواضح ، وأما « من نبيك ؟ » فمن إخباره بأنباء الغيب . وأما « ما دينك ؟ » فمن قولهم « اجعل لنا » ألى آخره .

الحادية والعشرون ـ أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين .

الثانية والعشرون ـ أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة ، لقوله : « ونحن حدثاء عهد بكفر » .

باب – ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين .

وقوله : فصل لربك وانحر .

عن علي رضي الله عنه انه قال « حدثني رسول الله ﷺ باربع كلمات : لعن الله من ذبح لغير الله . لعن الله من لعن والديه . لعن الله من آوى محدثا. لعن الله من غير منار الارض » رواه مسلم .

وعن طارق بن شهاب : ان رسول الله ﷺ قال : « دخل الجنة رجل في ذباب . ودخل النار رجل في ذباب . قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال مر رجلان على قوم لهم صنم ، لا يجوزه احد حتى يقرب له شيئاً فقالوا لأحدهما قرب قال ليس عندي شيء اقرب قالوا قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار .

وقالوا للآخر : قرب ، فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل . فضربوا عنقه فدخل الجنة » رواه احمد .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير (ان صلاتي ونسكي).

الثانية : تفسير (فصلّ لربك وانحر).

الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله .

الرابعة : لعن من لعن والديه ، ومنه ان تلعن والدَي الرجل فيلعن والديك .

الخامسة: لعن من آوى محدثاً ، وهو الرجل يُحدث شيئاً يجب فيه حق لله، فيلتجيء الى من يجيره من ذلك .

السادسة : لعن الله من غيّر منـــار الارض ، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك ، فتغيرها بتقديم او تأخير .

السابعة : الفرق بين لعن المعيّن ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم .

الثامنة : هذه القصة العظيمة ، وهي قصة الذباب .

التاسعة : كونه دخل النـار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده ، بل فعله تخلصاً من شرهم .

العاشرة : معرفة قدر الشرك في قـلوب المؤمنين ، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم ، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر ؟ .

الحادية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيـح « الجنة أقرب الى احـدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك » .

الثالثة عشرة : معرفة ان عمل القلب هو المقصود الاعظم ، حتى عند عبدة الاوثان .

باب – لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى (لا تقم فيه ابداً ، لمسجد أسس على التقوى من اول يوم أحق ان تقوم فيه ، فيه رجال يحبون ان يتطهروا ، والله يحب المطهرين) .

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه: قال نذر رجل ان ينحر ابلًا ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال هل كان فيها وثن من اوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا لا . قال فهل كان فيها عيد من اعيـادهم قالوا لا . فقال رسول الله ﷺ اوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم » رواه ابو داود . واسناده على شرطها .

فيه مسائل :

الاولى – تفسير قوله (لا تقم فيه ابداً) .

الثانية - ان المعصية قد تؤثر في الارض . وكذلك الطاعة .

الثالثة - رد المسألة المشكلة الى المسألة البينة ، ليزول الاشكال .

الرابعة - استفصال المفتى اذا احتاج الى ذلك .

الخامسة - ان تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به اذا خلا من الموانع .

السادسة - المنع منه اذا كان فيه وثن من اوثان الجاهلية ، ولو بعد زواله .

السابعة - المنع منه إذا كان فيه عيد من اعيادهم ولو بعد زواله .

الثامنة - انه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة ؛ لأنه نذر معصية .

التاسعة - الحذر من مشابهة المشركين في اعيادهم ولو لم يقصده .

العاشرة - لا نذر في معصية .

الحادية عشرة - لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

باب - من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً)

وقوله : (وما أنفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه).

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها : ان رسول الله ﷺ قال من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصى الله فلا يعصه .

فيه مسائل :

الاولى - وجوب الوفاء بالنذر .

الثانية - اذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه الى غيره شرك .

الثالثة - ان نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

باب ـ من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجـــال من الجن فزادوهم رهقاً » .

وعن خوله بنت حكيم قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول من نزل منزلاً فقال : اعوذ بكلمات الله التامات من شر مـــا خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك » رواه مسلم

فيه مسائل :

الاولى : تفسير آية الجن .

الثانية : كونه من الشرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث ، لأن العلمـاء يستدلون به على ان كلمات الله غير مخلوقة . قالوا : لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك .

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

الخامسة : ان كون الشيء يحصل به منفعـة دنيوية من كف شر او جلب نفع ، لا يدل على انه ليس من الشرك .

باب ـ من الشرك ان يستغيث بغير الله ، او يدعو غيره

وقول الله تعالى : ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فأنك اذاً من الظالمين . وان يمسك الله بضر فـلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاه من عباده وهو الغفور الرحيم »

وقوله : «ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا واليه ترجعون» .

وقوله : ومن اضل بمن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافـــلون . واذا حشر النـاس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين).

وقوله « أمن يجيب دعوة المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفـاء الارض ؟ أاله مع الله ؟)

وروى الطبراني بأسناده انه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنـين فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق .

فقال النبي ﷺ : انه لا يستغاث بي ، وانما يستغاث بالله» .

فيه مسائل :

الأولى : ان عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص .

الثانية : تفسير قوله (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) .

الثالثة : ان هذا هو الشرك الأكبر .

الرابعة : ان اصلح الناس لو يفعله ارضاء لغيره صار من الظالمين .

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها .

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا ، مع كونه كفراً .

السابعة : تفسير الآية الثالثة

الثامنة: ان طلب الرزق لا ينبغي الا من الله، كما ان الجنة لا تطلب الا منه

التاسعة: تفسير الآية الرابعة .

العاشرة: انه لا أضل بمن دعا غير الله .

الحادية عشرة : انه غافل عن دعاء الداعي ، لا يدري عنه .

الثانية عشرة : ان تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له .

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو .

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة .

الخامسة عشرة: هي سبب كونه أضل الناس .

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة : الأمر العجيب ، وهو إقرار عبدة الأوثان : انه لا يجيب المضطر الا الله ، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين .

الثامنة عشرة : حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله .

باب

قول الله تعالى : (أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا انفسهم ينصرون) .

وقوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) .

وفي الصحيح عن انس قال شج النبي ﷺ يوم احد وكسرت رباعيته فقال كيف يفلح قوم شجوا نبيهم فنزلت (ليس لك من الأمر شيء) .

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول « اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر «اللهم العن فلاناً وفلاناً بعد ما يقول سمع الله لمن حمده . ربنا لك الحمد . فأنزل الله ليس لك من الأمر شيء) الآية . وفي رواية يدعو على صفوان بن امية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت (ليس لك من الأمر شيء) .

وفيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ حين انزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين فقال يا معشر قريش – او كلمة نحوها ، اشتروا انفسكم لا اغنى عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبد المطلب لا اغنى عنك من الله

شيئاً . يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا اغنى عنك من الله شيئاً . ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا اغنى عنك من الله شيئاً .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين .

الثانية : قصة أحد .

الثالثة : قنوت سيد المرسلين ، وخلفه سادات الاولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة : ان المدعو عليهم كفار .

الخامسة : انهم فعلوا اشياء ما فعلها غالب الكفار ، منها . شجهم نبيهم وحرصهم على قتله . ومنها . التمثيل بالقتلى ، مع انهم بنو عمهم .

السادسة : أنزل الله عليه في ذلك (ليس لك من الأمر شيء) .

السابعة : قوله (او يتوب عليهم او يعذبهم) فتاب عليهم فآمنوا .

الثامنة : القنوت في النوازل .

التاسعة : تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم .

العاشرة : لعن المعين في القنوت .

الحادية عشرة ـ قصته ﷺ لما انزل عليه (وأنذر عشيرتك الأقربين) .

الثانية عشرة ـ جده ﷺ بحيث فعل ما نسب بسببه الى الجنون ، وكذلك لو يفعله مسلم الآن .

الثالثة عشرة ـ قوله للأبعد والأقرب «لا اغنى عنك من الله شيئاً» حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد لا اغنى عنك من الله شيئاً» فاذا صرح وهو سيد المرسلين بانه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين ، وآمن الانسان انه ﷺ لا يقول الا الحق ، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم ، تبين له التوحيد وغربة الدين .

باب

قول الله تعالى «حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير» .

في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ، وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن، فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها فيكذب معها مئة كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا فيصدق تلك الكلمة التي سمعت من السماء .

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ اذا اراد الله ان يوحي بالأمر تكلم بالوحي اخذت السموات منه رجفة – او قال رعدة شديدة خوفاً من الله عز وجل . فاذا سمع ذلك اهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً ، فيكون اول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما اراد ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق ، وهو العلي الكبير ، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره الله عز وجل» .

فيه مسائل :

الاولى – تفسير الآية .

الثانية – ما فيها من الحجة على ابطال الشرك ، خصوصاً ما تعلق على الصالحين ، وهي الآية التي قيل : انها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب .

الثالثة - تفسير قوله (قالوا الحق ، وهو العلي الكبير) .

الرابعة - سبب سؤالهم عن ذلك .

الخامسة - ان جبرائيل يجيبهم بعد ذلك بقوله : «قال كذا وكذا» .

السادسة - ذكر ان اول من يرفع رأسه جبرائيل .

السابعة - انه يقول لأهل السموات كلهم ، لأنهم يسألونه .

الثامنة - ان الغشي يعم أهل السموات كلهم .

التاسعة - ارتجاف السموات بكلام الله .

العاشرة - ان جبرائيل هو الذي ينتهي بالوحي الى حيث أمره الله .

الحادية عشرة - ذكر استراق الشياطين .

الثانية عشرة - صفة ركوب بعضهم بعضاً .

الثالثة عشرة - ارسال الشهاب .

الرابعة عشرة - انه تارة يدركه الشهاب قبل ان يلقيها ، وتارة يلقيها في اذن وليه من الانس قبل ان يدركه .

الخامسة عشرة - كون الكاهن يصدق بعض الاحيان .

السادسة عشرة - كونه يكذب معها مائة كذبة .

السابعة عشرة - انه لم يصدق كذبه الا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء .

الثامنة عشرة - قبول النفوس للباطل ، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة ؟

التاسعة عشرة - كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ، ويحفظونها ويستدلون بها .

العشرون - اثبات الصفات ، خلافاً للأشعرية المعطلة .

الحادية والعشرون - ان تلك الرجفة والغشي خوفاً من الله عز وجل .

الثانية والعشرون - انهم يخرون لله سجداً .

باب الشفاعة

وقول الله عز وجل «وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون . وقوله «وقل لله الشفاعة جميعاً » وقوله «من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه » وقوله « وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى» وقوله «قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات والارض . وما لهم فيها من شرك وما لهم فهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له » .

قال ابو العباس : نفى الله عما سواه كل مـا يتعلق بـه المشركون ، فنفى ان يكون لغيره ملك او قسط منه، او يكون عوناً لله . ولم يبق الا الشفاعة. فبين انها لا تنفع الا لمن اذن له الرب، كما قال (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) فهذه الشفاعة التي يظنهــا المشركون هي منتفية يوم القيامة ، كما نفاها القرآن وأخبر النبي ﷺ «انه يأتي فيسجد لربه ويحمده» لا يبدأ بالشفاعة اولاً. ثم يقال له «ارفع رأسك وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع» .

وقال ابو هريرة : «من اسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» فتلك الشفـاعة لأهـل الاخلاص باذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

وحقيقته : ان الله سبحـانه هو الذي يتفضل على اهـل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له ان يشفع ، ليكرمه وينال المقام المحمود .

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة باذنه في مواضع . وقد بين النبي ﷺ انهـا لا تكون الا لأهل التوحيد والاخـلاص . اهـ كلامه .

فيه مسائل:
الأولى ـ تفسير الآيات .

الثانية ـ صفة الشفاعة المنفية .

الثالثة ـ صفة الشفاعة المثبتة .

الرابعة ـ ذكر الشفاعة الكبرى ، وهي المقام المحمود .

الخامسة ـ صفة ما يفعله ﷺ انه لا يبدأ بالشفاعة ، بل يسجد فاذا أذن له شفع .

السادسة ـ من أسعد الناس بها .

السابعة ـ انها لا تكون لمن اشرك بالله .

الثامنة ـ بيان حقيقتها .

باب

قول الله تعالى (انك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين) .

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن ابيه قال « لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ ، وعنده عبدالله بن أبي أبو أمية وأبو جهل . فقال له : يا عم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله ، فقالا له : أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فأعاد عليه النبي ﷺ ، فأعادا . فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول : لا إله إلا الله . فقال النبي ﷺ « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى - (الآية) « وأنزل الله في أبي طالب إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » .

فيه مسائل :

الأولى ـ تفسير (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء)

الثانية ـ تفسير قوله (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم) .

الثالثة ـ وهي المسألة الكبيرة : تفسير قوله «قل لا إله إلا الله » بخلاف ما عليه من يدعي العلم .

الرابعة ـ ان أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ ، إذ قال للرجل « قل لا إله إلا الله) فقبح الله من ابو جهل أعلم منه بأصل الاسلام .

الخامسة ـ جده ﷺ ومبالغته في إسلام عمه .

السادسة ـ الرد على من زعم اسلام عبد المطلب وأسلافه .

السابعة ـ كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له ، بل نهى عن ذلك .

الثامنة ـ مضرة اصحاب السوء على الانسان .

التاسعة ـ مضرة تعظيم الاسلاف والأكابر .

العاشرة ـ استدلال الجاهلية بذلك .

الحادية عشرة ـ الشاهد لكون الاعمال بالخواتيم ، لأنه لو قالها لنفعته .

الثانية عشرة ـ التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين لأن في القصة انهم لم يجادلوه إلا بها ، مع مبالغته ﷺ وتكريره ، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها .

باب ما جاء ان سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل « يا اهل الكتاب ، لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق » .

في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : وقالوا : لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن وداً ولا سواعاً ، ولا يغوث ويعوق ونسراً) قال هذه اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم : أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصاباً ، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد ، حتى اذا هلك اولئك ونسي العلم عبدت » .

وقال ابن القيم ، قال غير واحد من السلف « لما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم» .

وعن عمر ، ان رسول الله ﷺ قال « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبدالله ورسوله» . اخرجاه

وقال ، قال رسول الله ﷺ « اياكم والغلو، فانما اهلك من كان قبلكم الغلو » ولمسلم عن ابن مسعود ان رسول الله ﷺ قال هلك المتنطعون ـ قالها ثلاثاً»

فيه مسائل :

الأولى ـ ان من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين غربة الاسلام، ورأى من قدرة الله ، وتقليبه للقلوب العجب .

الثانية ـ معرفة اول شرك حدث في الأرض : انه بشبهة الصالحين .

الثالثة ـ اول شيء غير به دين الأنبياء ، وما سبب ذلك ، مع معرفة ان الله أرسلهم .

الرابعة ـ قبول البدع ، مع كون الشرائع والفطر تردها .

الخامسة ـ ان سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل ، فالأول ، محبة الصالحين. والثاني ، فعل اناس من أهل العلم شيئاً أرادوا به خيراً ، فظن من بعدهم أنهم ارادوا به غيره .

السادسة ـ تفسير الآية التي في سورة نوح .

السابعة ـ جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد .

الثامنة ـ فيه شاهد لما نقل عن السلف ان البدع سبب الكفر .

التاسعة ـ معرفة الشيطان بما تؤول اليه البدعة ، ولو حسن قصد الفاعل .

العاشرة ـ معرفة القاعدة الكلية ، وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول اليه .

الحادية عشرة ـ مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح .

الثانية عشرة ـ معرفة النهي عن التماثيل ، والحكمة في ازالتها .

الثالثة عشرة ـ معرفة شأن هذه القصة ، وشدة الحاجة اليها مع الغفلة عنها .

الرابعة عشرة ـ وهي أعجب وأعجب ، قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ، ومعرفتهم بمعنى الكلام ، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم ، حتى اعتقدوا ان فعل قوم نوح أفضل العبادات ، فاعتقدوا ان ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال .

الخامسة عشرة ـ التصريح بأنهم لم يريدوا الا الشفاعة .

السادسة عشرة ـ ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك .

السابعة عشرة ـ البيان العظيم في قوله « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم » فصلاة الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين .

الثامنة عشرة ، نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين .

التاسعة عشرة ـ التصريح بانها لم تعبد حتى نسي العلم ، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ، ومضرة فقده .

العشرون ـ أن سبب فقد العلم موت العلماء .

باب

ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف اذا عبده

في الصحيح عن عائشة ان ام سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بارض الحبشة وما فيها من الصور فقال ، اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح او العبد

الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله»

فهؤلاء جمعوا بين فتنتين : فتنة القبور وفتنة التماثيل .

ولهما عنها قالت «لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها فقال – وهو كذلك – لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور انبيائهم مساجد ، يحذر ما صنعوا ولولا ذلك ابرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجداً » اخرجاه .

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال : قال نبي سمعت النبي ﷺ قبل ان يموت بخمس وهو يقول اني ابرأ الى الله ان يكون لي منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من امتي خليلاً لاتخذت ابا بكر خليلاً ، الا وان من كان من قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم مساجد ، الا فلا تتخذوا القبور مساجد فأني انهاكم عن ذلك » .

فقد نهى عنه في آخر حياته

ثم انه لعن ، وهو في السياق من فعله ، والصلاة عندها من ذلك وان لم يبن مسجد وهو معنى قولها « خشي ان يتخذ مسجداً فان الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً ، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً ، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً كما قال ﷺ جعلت لي الارض مسجداً طهوراً.

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء ، والذين يتخذون القبور مساجد» رواه ابو حاتم في صحيحه .

فيه مسائل :

الأولى ـ ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح ، ولو صحت نية الفاعل .

الثانية ـ النهي عن التماثيل ، وغلظ الأمر في ذلك .

الثالثة ـ العبرة في مبالغته صلى الله عليه وسلم في ذلك . كيف بين لهم هذا

أولاً ، ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم .

الرابعة ـ نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر .

الخامسة ـ أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم .

السادسة ـ لعنه إياهم على ذلك .

السابعة ـ أن مراده تحذيره إيانا عن قبره .

الثامنة ـ العلة في عدم إبراز قبره .

التاسعة ـ في معنى اتخاذها مسجداً .

العاشرة ـ أنه قرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليه الساعة ، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .

الحادية عشرة ـ ذكره في خطبته قبل موته بخمس : الرد على الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع ، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة ، وهم الرافضة والجهمية . وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور . وهم أول من بنى عليها المساجد .

الثانية عشرة ـ ما بلي به ﷺ من شدة النزع .

الثالثة عشرة ـ ما أكرم به من الخلة .

الرابعة عشرة ـ التصريح بأنها أعلى من المحبة .

الخامسة عشرة ـ التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة .

السادسة عشرة ـ الاشارة إلى خلافته .

باب ـ ما جاء ان الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

روى مالك في الموطأ : ان رسول الله ﷺ قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد »

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد (أفرأيتم اللات والعزى) قال : كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره .

وكذلك قال ابو الجوزاء عن ابن عباس « كان يلت السويق للحاج »

وعن ابن عبــاس رضي الله عنهما قال « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج »

رواه أهل السنن .

فيه مسائل :

الأولى ـ تفسير الأوثان .
الثانية ـ تفسير العبادة .
الثالثة ـ أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه .
الرابعة ـ قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد .
الخامسة ـ ذكر شدة الغضب من الله .
السادسة ـ وهي من أهمها : صفة معرفة عبادة اللات هي أكبر الأوثان .
السابعة ـ معرفة أنه قبر رجل صالح .
الثامنة ـ أنه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية .
التاسعة ـ لعنة زوّارات القبور .
العاشرة ـ لعنة من أسرجها .

باب ماجاء في حماية المصطفى جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل الى الشرك

وقول الله تعالى : لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ، فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليــه توكلت وهو رب العرش العظيم .

عن ابي هريرة ، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً . وصلوا علي ، فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم » رواه ابو داود باسناد حسن ، رواته ثقات.

وعن علي بن الحسين « انه رأى رجلاً يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال : الا احدثكم حديثاً سمعته من ابي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فان تسليمكم يبلغني اين كنتم » رواه في المختارة .

فيه مسائل:

الأولى ـ تفسير آية براءة .

الثانية ـ إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد .

الثالثة ـ ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .

الرابعة ـ نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته من أفضل الأعمال .

الخامسة ـ نهيه عن الاكثار من الزيارة .

السادسة ـ حثه على النافلة في البيت .

السابعة ـ أنه متقرر عندهم أنه لا يصلي في المقبرة .

الثامنة ـ تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد ، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب .

التاسعة ـ كونه صلى الله عليه وسلم في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه .

باب ـ ما جاء ان بعض هذه الامة يعبد الاوثان

وقوله تعالى « الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلاً »

وقوله تعالى : « قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت »

وقوله تعالى : « قال الذين غلبوا على امرهم : لنتخذن عليهم مسجداً »

عن ابي سعيد رضى الله عنه : ان رسول الله ﷺ قال لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن ؟ » اخرجاه .

ولمسلم عن ثوبان رضى الله عنه : ان رسول الله ﷺ قال ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها واعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سألت ربي لأمتي ان لا يهلكها بسنة بعامة وان لا يسلط عليهم عدواً من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي قال يا محمد إذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني اعطيتك لامتك ان لا اهلكهم بسنة عامة وان لا اسلط عليهم عدواً من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من باقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً » ورواه البرقاني في صحيحه وزاد «وانما اخاف على أمتي الأئمة المضلين واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى يوم القيامة . ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من امتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من امتي الاوثان وانه سيكون في امتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من امتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي امر الله تبارك وتعالى » .

فيه مسائل :

الأولى ـ تفسير آية النساء .

الثانية ـ تفسير آية المائدة .

الثالثة ـ تفسير آية الكهف .

الرابعة ـ وهي اهمها ـ : ما معنى الايمان بالجبت والطاغوت : هل هو اعتقاد قلب ، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها ؟

الخامسة ـ قولهم : إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين .

السادسة ـ وهي المقصودة بالترجمة ـ أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة كما تقرر في حديث أبي سعيد .

السابعة ـ التصريح بوقوعها، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة

الثامنة ـ العجب العجاب : خروج من يدعي النبوة ، مثل المختـــار ، مع تكلمه بالشهادتين ، وتصريحه بأنه من هذه الأمة ، وأن الرسول حق ، وأن القرآن حق ، وفيه : أن محمداً خاتم النبيين ، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح . وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة ، وتبعه فئام كثيرة .

التاسعة ـ البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية ، كما زال فيما مضى ، بل لا تزال عليه طائفة .

العاشرة ـ الآية العظمى : أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم

الحادية عشرة ـ أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة .

الثانية عشرة ـ ما فيهن من الآيات العظيمة .

منها ـ إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغـــارب ، وأخبر بمعنى ذلك ، فوقع كما أخبر ، بخلاف الجنوب والشمال .

وإخباره بأنه اعطى الكنزين .

وإخباره باجابة دعوته لأمته في الاثنتين .

وإخباره بأنه منع الثالثة .

وإخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع إذا وقع .

وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة .

وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة .

وكل هذا وقع كما أخبر ، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول .

الثالثة عشرة ـ حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين .

الرابعة عشرة ـ التنبيه على معنى عبادة الأوثان .

باب – ما جاء في السحر

وقول الله تعالى « ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق » وقوله « يؤمنون بالجبت والطاغوت »

قال عمر – الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان وقال جابر « الطواغيت » كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، ان رسول الله ﷺ قال « اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق وأكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »

وعن جندب مرفوعاً « حد الساحر ضربه بالسيف » رواه الترمذي وقال : الصحيح انه موقوف .

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال « كتب عمر بن الخطاب ان اقتلوا كل ساحر وساحرة فقتلنا ثلاث سواحر »

وصح عن حفصة رضى الله عنها « انها امرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت .

وكذلك صح عن جندب .

قال أحمد عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ .

فيه مسائل :

الأولى – تفسير آية البقرة .

الثانية – تفسير آية النساء .

الثالثة – تفسير الجبت والطاغوت ، والفرق بينهما .

الرابعة – أن الطاغوت قد يكون من الجن ، وقد يكون من الانس .

الخامسة ـ معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي .

السادسة ـ أن الساحر يكفر .

السابعة ـ أنه يقتل ولا يستتاب .

الثامنة ـ وجود هذا في المسلمين على عهد عمر ، فكيف بعده ؟

باب – بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة عن ابيه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت » .

قال عوف : العيافة : زجر الطير . والطرق : الخط يخط بالارض .

والجبت : قال الحسن « رنة الشيطان » إسناده جيد .

ولأبي داود والنسائي وابن حيان في صحيحه : المسند منه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقتبس شعبة من النجوم ، فقد اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد » . رواه ابو داود ، وإسناده صحيح .

وللنسائي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن تعلق شيئاً وكل اليه »

وعن ابن مسعود ان رسول الله ﷺ قال: الا هل انبئكم ما العضه هي النميمة : القالة بين الناس « رواه مسلم »

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما : ان رسول الله ﷺ قال ان من البيان لسحراً .

فيه مسائل :

الاولى ـ ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت .

الثانية ـ تفسير العيافة والطرق .

الثالثة ـ أن علم النجوم نوع من السحر .

الرابعة ـ العقد مع النفث من ذلك .

الخامسة ـ أن النميمة من ذلك .

السادسة ـ أن من ذلك بعض الفصاحة .

باب ـ ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض ازواج النبي ﷺ قال « من اتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة اربعين يوماً »

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : من اتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد » (رواه ابو داود)

وللاربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما « من اتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد ﷺ

ولابي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه مرفوعا « ليس منا من تطير او تطير له او تكهن او تكهن له ، او سحر او سحر له ، ومن اتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد ﷺ رواه البزار باسناد جيد .

ورواه الطبراني في الاوسط باسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله « ومن أتى ـ الى آخره » .

قال البغوي ـ العراف : الذي يدعى معرفة الامور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة . ونحو ذلك .

وقيل : هو الكاهن . والكاهن : هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل . وقيل : الذي يخبر عما في الضمير .

وقال أبو العباس بن تيمية « العراف : اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الامور بهذه الطرق .

وقال ابن عباس في قوم يكتبون أباجاد وينظرون في النجوم : من فعل ذلك ليس له عند الله من خلاق » .

فيه مسائل :

الاولى ـ لا يجتمع تصديق الكاهن مع الايمان بالقرآن .
الثانية ـ التصريح بانه كفر.
الثالثة ـ ذكر من تكهن له.
الرابعة ـ ذكر من تطير له.
الخامسة ـ ذكر من سحر له .
السادسة ـ ذكر من تعلم أبا جاد .
السابعة ـ ذكر الفرق بين الكاهن والعراف .

باب ـ ما جاء في النشرة

عن جابر « أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة ؟ فقال : هي من عمل الشيطان » رواه أحمد بسند جيد ، وأبو داود ، وقال سئل أحمد عنها فقال ابن مسعود يكره هذا كله .

وفي البخاري عن قتادة « قلت لابن المسيب :

رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته ، أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به ، إنما يريدون به الاصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه » اه .

وروى عن الحسن أنه قال « لا يحل السحر إلا ساحر »

قال ابن القيم : النشرة حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان :

أحدهما : حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والادوية والدعوات المباحة. فهذا جائز.

فيه مسائل :

الاولى ـ النهى عن النشرة

الثانية ـ الفرق بين المنهى عنه والمرخص فيه عما يزيل الاشكال .

باب ـ ما جاء في التطير

وقول الله تعالى « الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون »

وقوله « قالوا طائركم معكم بل انتم قوم مسرفون »

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ قال « لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر » أخرجاه

زاد مسلم « ولا نوء ، ولا غول »

ولهما عن انس قال قال رسول الله ﷺ لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا وما الفأل قال الكلمة الطيبة

ولابي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال احسنها الفأل ولا ترد مسلماً فاذا رأى احدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات الا انت، ولا يدفع السيئات الا انت ، ولا حول ولا قوة الا بك »

وعن ابن مسعود مرفوعاً « الطيرة شرك . الطيرة شرك . وما منا الا

ولكن الله يذهبه بالتوكل » رواه ابو داود والترمذي وصححه وجعل اخره من قول ابن مسعود »

ولاحمد من حديث ابن عمرو « من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا فما كفارة ذلك ؟ قال : أن تقول اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك »

وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه « إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك » .

فيه مسائل :

الاولى ـ التنبيه على قوله (ألا إنما طائرهم عندالله) مع قوله (طائركم معكم)

الثانية ـ نفى العدوى

الثالثة ـ نفى الطيرة

الرابعة ـ نفى الهامة

الخامسة ـ نفى الصفر

السادسة ـ أن الفأل ليس من ذلك ، بل مستحب

السابعة ـ تفسير الفأل

الثامنة ـ أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر ، بل يذهبه الله بالتوكل

التاسعة ـ ذكر ما يقول من وجده

العاشرة ـ التصريح بأن الطيرة شرك

الحادية عشرة ـ تفسير الطيرة المذمومة

باب – ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه : قال قتـادة « خلق الله هذه النجوم الثلاث زينـة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك اخطأ واضاع نصيبه وكلف ما لا علم له به » .

وكره قتـادة تعلم منازل القمر ، ولم يرخص ابن عيينة فيه ، ذكره حرب عنهما ، ورخص في تعلم المنازل احمد واسحاق .

وعن ابي موسى قال : قال رسول الله ﷺ ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، ومصدق السحر ، وقاطع الرحم ، رواه احمد وابن حيان في صحيحه.

فيه مسائل:

الأولى – الحكمة في خلق النجوم

الثانية – الرد على من زعم غير ذلك

الثالثة – ذكر الخلاف في تعلم المنازل

الرابعة – الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف انه باطل

باب – ما جاء في الاستسقاء بالانواء

وقول الله تعالى «وتجعلون رزقكم انكم تكذبون» وعن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه : ان رسول الله ﷺ قـال «اربع في امتي من أمر الجـــاهلية لا يتركوهن : الفخر بالاحساب ، والطعن في الانساب ، والاستسقاء بالنجـوم والنياحة » .

وقال «النائحة اذا لم تتب قبل موتها تأتي يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» رواه مسلم .

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه : قال صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال : قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» .

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه وفيه « قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله هذه الآيات «فلا اقسم بمواقع النجوم» وانه لقسم لوتعلمون عظيم انه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون ، لا يمسه الا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين أفبهذا الحديث انتم مدهنون . وتجعلون رزقكم انكم تكذبون ؟ » .

فيه مسائل:

الأولى ـ تفسير آية الواقعة .

الثانية ـ ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية .

الثالثة ـ ذكر الكفر في بعضها .

الرابعة ـ أن من الكفر ما لا يخرج من الملة .

الخامسة ـ قوله : «اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» بسبب نزول النعمة .

السادسة ـ التفطن للايمان في هذا الموضع .

السابعة ـ التفطن للكفر في هذا الوضع .

الثامنة ـ التفطن لقوله : «لقد صدق نوء كذا وكذا» .

التاسعة ـ اخراج العالم للتعليم للمسألة بالاستفهام عنها ، لقوله : « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » .

العاشرة ـ وعيد النائحة .

باب

قول الله تعالى «ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله»

وقوله « ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم ، واموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره »

عن انس ان رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين» اخرجاه .

ولهما عنه قال : قال رسول الله ﷺ ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ـ ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ، وان يحب المرء لا يحبه الا لله ، وان يكره ان يعود في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في النار » .

وفي رواية « لا يجد احد حلاوة الايمان حتى » الى آخره .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من احب في الله ، وابغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله فانما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد طعم الايمان وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك . وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على امر الدنيا وذلك لا يجدي على اهله شيئاً » رواه ابن جرير .

وقال ابن عباس في قوله تعالى « وتقطعت بهم الاسباب » قال « المودة » .

فيه مسائل :

الاولى ـ تفسير آية البقرة .

الثانية ـ تفسير آية براءة .

الثالثة ـ وجوب محبته ﷺ على النفس والاهل والمال .

الرابعة ـ نفي الايمان لا يدل على الخروج من الاسلام .

الخامسة ـ أن للايمان حلاوة قد يجدها الانسان وقد لا يجدها .

السادسة ـ أعمال القلب الاربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها ، ولا يجد احد طعم الايمان إلا بها .

السابعة ـ فهم الصحابي للواقع : ان عامة المؤاخاة على أمر الدنيا .

الثامنة ـ تفسير (وتقطعت بهم الاسباب) .

التاسعة ـ أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً .

العاشرة ـ الوعيد على من كان الثمانية أحب اليه من دينه .

الحادية عشرة ـ أن من اتخذ نداً تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الاكبر.

باب

قول الله تعالى « انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مؤمنين » .

وقوله « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين » .

وقوله « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة النـاس كعذاب الله » الآية .

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : ان من ضعف اليقين ان ترضى الناس بسخط الله وان تحمدهم على رزق الله وان تذمهم على مـا لم يؤتك الله من رزق لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره » .

وعن عائشة رضي الله عنها : ان رسول الله ﷺ قال « من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وارضى الناس . ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » (رواه ابو حيان في صحيحه) .

فيه مسائل :

الاولى ـ تفسير آية آل عمران .

الثانية ـ تفسير آية براءة .

الثالثة ـ تفسير آية العنكبوت .

الرابعة ـ أن اليقين يضعف ويقوى .

الخامسة ـ علامة ضعفه . ومن ذلك هذه الثلاث .

السادسة ـ أن اخلاص الخوف لله من الفرائض .

السابعة ـ ذكر ثواب من فعله .

الثامنة ـ ذكر عقاب من تركه .

باب

قول الله تعالى « وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » .

وقوله « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون » .

وقوله : « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » .

وقوله « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال « حسبنا الله ونعم الوكيل » قالها ابراهيم حين ألقى في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا له « ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » . (رواه البخاري والنسائي) .

فيه مسائل :

الاولى ـ أن التوكل من الفرائض .

الثانية ـ أنه من شروط الايمان .

الثالثة ـ تفسير آية الانفال .

الرابعة ـ تفسير الآية في آخرها .

الخامسة ـ تفسير آية الطلاق .

السادسة ـ عظم شأن هذه الكلمة : أنها قول ابراهيم ومحمد ﷺ في الشدائد .

باب

قول الله تعالى «أفأمنوا مكر الله. فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون» وقوله « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، ان رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر ؟ فقال « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والامن من مكر الله »

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « أكبر الكبائر : الإشراك بالله ، والامن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله ». رواه عبد الرزاق .

فيه مسائل :

الاولى ـ تفسير آية الاعراف .

الثانية ـ تفسير آية الحجر .

الثالثة ـ شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله .

الرابعة ـ شدة الوعيد في القنوط .

باب ـ من الايمان بالله : الصبر على اقدار الله

وقوله تعالى « ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم » .

قال علقمة « هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم ».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : ان رسول الله ﷺ قال : اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت » .

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » .

وعن انس رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ قال « اذا أراد الله بعبده خيراً عجل له العقوبة في الدنيا . واذا أراد بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة » .

وقال ﷺ « ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط » (حسنه الترمذي) .

فيه مسائل :

الاولى ـ تفسير آية التغابن .

الثانية ـ ان هذا من الايمان بالله .

الثالثة ـ الطعن في النسب .

الرابعة ـ شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية .

الخامسة ـ علامة ارادة الله بعبده الخير .

السادسة ـ إرادة الله به الشر .

السابعة ـ علامة حب الله للعبد .

الثامنة ـ تحريم السخط .

التاسعة ـ ثواب الرضا بالبلاء .

باب – ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى « قل انما أنا بشر مثلكم يوحي الي انما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً » .

وعن ابي هريرة مرفوعاً : قال الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً اشرك معي فيه غيري تركته وشركه » رواه مسلم

وعن أبي سعيد مرفوعاً : ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ? قالوا بلى يا رسول الله . قال : الشرك الخفي ، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته ، لما يرى من نظر رجل » رواه أحمد .

فيه مسائل :

الاولى ـ تفسير آية الكهف.

الثانية ـ الامر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله

الثالثة ـ ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغني

الرابعة ـ أن من الاسباب : أنه تعالى خير الشركاء

الخامسة ـ خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء

السادسة ـ أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله ، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل اليه .

باب - من الشرك : ارادة الانسان بعمله الدنيا

وقوله تعالى « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون »

في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة ، ان اعطى رضي، وان لم يعط سخط ، تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش . طوبى لعبد اخذ بعنان فرسه في سبيل الله . اشعث رأسه ، مغبرة قدماه . ان كان في الحراسة كان في الحراسة، وان كان في الساقة كان في الساقة. ان استأذن لم يؤذن له وان شفع لم يشفع .

فيه مسائل :

الاولى - إرادة الانسان الدنيا بعمل الآخرة .

الثانية - تفسير آية هود.

الثالثة - تسمية الانسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة .

الرابعة - تفسير ذلك بأنه إن اعطى رضي ، وإن لم يعط سخط.

الخامسة - قوله « تعس وانتكس » .

السادسة - قوله « وإذا شيك فلا انتقش » .

السابعة - الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

باب

من أطاع العلماء والامراء في تحريم ما احل الله او تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم اربابا من دون الله

قال ابن عباس : « يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء اقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال ابو بكر وعمر »

وقال الامام احمد : « عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته ، ويذهبون الى رأي سفيان والله تعالى يقول فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ، اتدري ما الفتنة ؟ الشرك ، لعله اذا رد بعض قوله ان يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك »

عن عدي بن حاتم ، أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم . وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ، لا إله إلا هو، سبحانه عما يشركون» فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: أليس يحرمون ما أحل الله ، فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله ، فتحلونه ؟ فقلت : بلى . قال : فتلك عبادتهم » رواه أحمد والترمذي وحسنه

فيه مسائل :

الاولى - تفسير آية النور.

الثانية - تفسير آية براءة.

الثالثة - التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي.

الرابعة - تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر ، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة - تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الاعمال ، وتسمى الولاية وعبادة الأحبار هي العلم والفقه ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين .

باب

قول الله تعالى (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيداً . واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ، فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقاً)

وقوله « واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون »

وقوله « ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً ، ان رحمة الله قريب من المحسنين »

وقوله « افحكم الجاهلية تبغون ، ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون »

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما : ان رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » قال النووي حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح

وقال الشعبي « كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي نتحاكم الى محمد لانه عرف انه لا يأخذ الرشوة وقال المنافق نتحاكم الى اليهود لعلمه انهم يأخذون الرشوة فاتفقا ان يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما اليه فنزلت « الم تر الى الذين يزعمون » الآية .

وقيل نزلت في رجلين اختصما فقال احدهما نترافع الى النبي وقال الآخر الى كعب بن الاشرف ثم ترافعا الى عمر فذكر له احدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله اكذلك ؟ قال نعم . فضربه بالسيف فقتله » .

باب – من جحد شيئاً من الاسماء والصفات

وقول الله تعالى « وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت واليه متاب »

وفي صحيح البخاري قال علي « حدثوا الناس بما يعرفون ، اتريدون ان يكذب الله ورسوله »

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس « انه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك فقال ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقة عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه »

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر « الرحمن » انكروا ذلك فانزل الله فيهم وهم (يكفرون بالرحمن) .

فيه مسائل :

الاولى – عدم الايمان بجحد شيء من الأسماء والصفات .

الثانية – تفسير آية الرعد .

الثالثة – ترك التحديث بما لا يفهم السامع .

الرابعة – ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ، ولو لم يتعمد المنكر .

الخامسة – كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك ، وأنه أهلكه .

باب

قول الله تعالى « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون »

قال مجاهد ما معناه هو قول « الرجل هذا مالي ورثته عن ابائي »

وقال عون بن عبدالله « يقولون لولا فلان لم يكن كذا »

وقال قتيبة « يقولون : هذا بشفاعة آلهتنا »

وقال أبو العباس – بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: أن الله تعالى قال: « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر – الحديث » وقد تقدم – وهذا كثير في الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به .

قال بعض السلف . هو كقولهم : كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير .

فيه مسائل :

الاولى ـ تفسير معرفة النعمة وإنكارها .

الثانية ـ معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير .

الثالثة ـ تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة .

الرابعة ـ اجتماع الضدين في القلب .

باب

قول الله تعالى « فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون »

قال ابن عباس في الآية « الانداد : هو الشرك اخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل . وهو أن تقول : والله ، وحياتك يا فلان . وحياتي وتقول : لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص . ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان . لا تجعل فيها فلاناً . هذا كله به شرك » رواه ابن أبي حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حلف بغير الله فقد كفر ، أو أشرك » رواه الترمذي ، وحسنه وصححه الحاكم .

وقال ابن مسعود « لأن أحلف بالله كاذباً احب إلي من ان أحلف بغيره صادقاً » .

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لا تقولوا مـــا شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان « رواه ابو دواد بسند صحيح »

وجاء عن إبراهيم النخعي « أنه يكره ان يقول : أعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول : بالله ثم بك . قال ويقول : لولا الله ثم فلان . ولا تقولوا : لولا الله وفلان » .

فيه مسائل :

الاولى ـ تفسير آية البقرة في الانداد .

الثانية ـ أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الاصغر .

الثالثة ـ أن الحلف بغير الله شرك .

الرابعة ـ أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو اكبر من اليمين الغموس .

الخامسة ـ الفرق بين الواو وثم في اللفظ .

باب ـ ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما « ان رسول الله ﷺ قال لا تحلفوا بابائكم . من حلف له بالله فليصدق . ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله . رواه ابن ماجه بسند حسن »

فيه مسائل :

الاولى ـ النهي عن الحلف بالاباء .

الثانية ـ الامر للمحلوف له بالله ان يرضى .

الثالثة ـ وعيد من لم يرض .

باب – قول ما شاء الله وشئت

عن قتيلة : ان يهودياً اتى النبي ﷺ فقال انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فامرهم النبي ﷺ أذا ارادوا ان يحلفوا ان يقولوا ورب الكعبة وان يقولوا ما شاء الله ثم شئت » رواه النسائي وصححه .

وله أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت ، فقال : أجعلتني لله نداً ؟ ما شاء الله وحده » .

ولابن ماجه : عن الطفيل – أخي عائشة لامها – قال : « رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود ، قلت : إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون عزير ابن الله. قالوا : وإنكم لانتم القوم ، لولا أنكم تقولون. ما شاء الله وشاء محمد: ثم مررت بنفر من النصارى فقلت : إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله . قالوا : وإنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : ما شاء وشاء محمد . فلما اصبحت أخبرت بها من أخبرت. ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته ، قال: هل أخبرت بها أحداً ؟ قلت : نعم . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها . فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده » .

فيه مسائل :

الاولى – معرفة اليهود بالشرك الأصغر .

الثانية – فهم الانسان إذا كان له هوى .

الثالثة – قوله ﷺ : « أجعلتني لله نداً ؟ » فكيف بمن قال : « مالي من ألوذ به سواك » والبيتين بعده .

الرابعة – أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله : « يمنعني كذا وكذا »

الخامسة ـ أن الرؤيا الصالحة من اقسام الوحي .
السادسة ـ أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الاحكام .

باب ـ من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى « ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » .

وفي الصحيح عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم بسبب الدهر وانا الدهر اقلب الليل والنهار » .

وفي رواية : لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر.

فيه مسائل :

الاولى ـ النهي عن سب الدهر .
الثانية ـ تسميته آذي الله .
الثالثة ـ التامل في قوله فان الله هو الدهر .
الرابعة ـ انه قد يكون سابا ولو لم يقصده بقلبه .

باب ـ التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال: ان اخنع اسم عند، الله رجل تسمى ملك الاملاك ، لا مالك الا الله » .

قال سفيان مثل شاهان شاه .
وفي رواية اغيظ رجل على الله يوم القيامة « واخبثه »
قوله « اخنع » يعني اوضع .

فيه مسائل :

الاولى ـ النهي عن التسمي بملك الاملاك .

الثانية ـ إن ما في معناه مثله ، كما قال سفيان.

الثالثة ـ التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة ـ التفطن أن هذا لاجل الله سبحانه .

باب ـ احترام اسماء الله تعالى وتغيير الاسم لاجل ذلك

عن ابي شريح انه كان يكنى أبا الحكم فقال له النبي ﷺ ان الله هو الحكم واليه الحكم « فقال ان قومي اذا اختلفوا في شيء اتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال ما احسن هـــذا . فمالك من الولد قال شريح قال فانت ابو شريح رواه ابو داود وغيره .

فيه مسائل :

الاولى ـ احترام اسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه .

الثانية ـ تغيير الاسم لاجل ذلك .

الثالثة ـ اختيار اكبر الابناء للكنية .

باب ـ من هزل بشيء فيه ذكر الله او القرآن او الرسول

وقول الله تعالى : « ولئن سألتهم ليقولن : إنما كنا نخوض ونلعب . قل : أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون » .

عن ابن عمر ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وقتادة ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ انه قال رجل في غزوة تبوك : « ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ، ولا اكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقـــاء ، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء . فقال له عوف بن مالك : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله ﷺ . فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه . فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب

ناقته . فقال يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق . قال ابن عمر : كأني أنظر اليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة تنكب رجليه ، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب . فيقول له رسول الله ﷺ « أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم » ما يلتفت إليه ، وما يزيده عليه » .

فيه مسائل :

الاولى ـ وهي العظيمة ـ أن من هزل بهذا : إنه كافر .

الثانية ـ أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان .

الثالثة ـ الفرق بين النميمة ، وبين النصيحة لله ولرسوله .

الرابعة ـ الفرق بين العفو الذي يحبه الله ، وبين الغلظة على أعداء الله .

الخامسة ـ أن من الاعتذار ما لا ينبغي ان يقبل .

باب

قول الله تعالى : « ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن : هذا لي ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رجعت الى ربي إن لي عنده للحسنى ، فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ، ولنذيقنهم من عذاب غليظ » .

قال مجاهد : « هذا بعملي وانا محقوق به » .

وقال ابن عباس « يريد من عندي » .

وقوله « قال : إنما أوتيته على علم عندي » قال قتادة : « على علم مني بوجوه المكاسب » .

وقال آخرون : « على علم من الله أني له اهل » وهذا معنى قول مجاهد : « أوتيته على شرف » .

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة من بني اسرائيل : أبرص ، وأقرع ، وأعمى . فأراد الله ان يبتليهم ، فبعث إليهم ملكاً . فأتى الأبرص ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قذرني الناس به . قال : فمسحه فذهب عنه قذره ، فأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً . قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال: الابل او البقر – شك إسحاق – فأعطى ناقة عشراء ، وقال : بارك الله لك فيها . قال : فأتى الأقرع ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به . فمسحه ، فذهب عنه ، وأعطى شعراً حسناً . فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال : البقر أو الابل . فأعطى بقرة حاملًا . قال : بارك الله لك فيها . فأتى الأعمى ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله الي بصري فأبصر به الناس . فمسحه ، فرد الله إليه بصره . قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الغنم . فأعطى شاة والداً . فأنتج هذان ، وولد هذا . فكان لهذا واد من الابل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم . قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته . فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلوغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال – بعيراً أتبلغ به في سفري ، فقال : الحقوق كثيرة . فقال : كأني أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً ، فأعطاك الله عز وجل المال ؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا . فقال إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت ، قال : وأتى الأعمى في صورته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل . قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري

فقال : قد كنت اعمى فرد الله إلي بصري ، فخذ ما شئت ، ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء اخذته لله . فقال : أمسك مالك . فانما ابتليتم ، فقد رضي الله عنك ، وسخط على صاحبيك » اخرجاه .

فيه مسائل :

الاولى ـ تفسير الآية .

الثانية ـ ما معنى : « ليقولن هذا لي » .

الثالثة ـ ما معنى قوله : « إنما أوتيته على علم عندي » .

الرابعة ـ ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة .

باب

قول الله تعالى « فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون .

قال ابن حزم «اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة وما اشبه ذلك » حاشى عبد المطلب .

وعن ابن عباس في الآية « قال : لما تغشاها آدم حملت ، فأتاهما إبليس . فقال : إني صاحبكما الذي اخرجتكما من الجنة لتطيعنني او لاجعلن له قرني أيل فيخرج من بطنك فيشقه . ولأفعلن ولأفعلن ، يخوفهما . سمياه عبد الحارث فأبيا ان يطيعاه ، فخرج ميتاً . ثم حملت ، فأتاهما . فقال مثل قوله : فأبيا ان يطيعاه ، فخرج ميتاً . ثم حملت فأتاهما . فذكر لهما . فأدركهما حب الولد ، فسمياه عبد الحارث ، فذلك قوله «جعلا له شركاء فيما آتاهما» رواه ابن ابي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: « شركاء في طاعته ، ولم يكن في عبادته ».

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله : « لئن آتيتنا صالحاً » قال : « أشفقا أن لا يكون إنساناً » ، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

فيه مسائل :

الاولى ـ تحريم كل اسم معبد لغير الله .

الثانية ـ تفسير الآية .

الثالثة ـ أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها .

الرابعة ـ ان هبة الله للرجل البنت السوية من النعم .

الخامسة ـ ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة .

باب

قول الله تعالى « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه »

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس « يلحدون في اسمائه» يشركون ».

وعنه : « سموا اللات من الاله والعزى من العزيز » .

وعن الاعمش « يدخلون فيها ما ليس منها » .

فيها مسائل :

الاولى ـ اثبات الاسماء .

الثانية ـ كونها حسنى .

الثالثة ـ الامر بدعائه بها .

الرابعة ـ ترك من عارض من الجاهلين الملحدين .

الخامسة ـ تفسير الالحاد فيها .

السادسة ـ وعيد من ألحد .

باب ـ لا يقال السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « كنا مع رسول الله

في الصلاة قلنا السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ لا تقولوا : السلام على الله ، فان الله هو السلام » .

فيه مسائل :

الاولى - تفسير السلام .
الثانية - أنه تحية .
الثالثة - أنها لا تصلح لله .
الرابعة - العلة في ذلك .
الخامسة - تعليمهم التحية التي تصلح لله .

باب - قول اللهم اغفر لي ان شئت

في الصحيح عن ابن هريرة ان رسول الله ﷺ قال « لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت، اللهم ارحمني ان شئت، ليعزم المسألة فان الله لا مكره له».

ولمسلم : « وليعظم الرغبة ، فان الله لا يتعاظمه شيء أعطاه » .

فيه مسائل :

الاولى - النهي عن الاستثناء في الدعاء .
الثانية - بيان العلة في ذلك .
الثالثة - قوله « ليعزم المسألة » .
الرابعة - إعظام الرغبة .
الخامسة - التعليل لهذا الامر .

باب - لا يقل عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه : ان رسول الله ﷺ قال « لا يقل احدكم أطعم ربك ، وضىء ربك ، وليقل فتاي وفتاتي وغلامي .

فيه مسائل :

الأولى - النهي عن قول : عبدي وأمتي .

الثانية - لا يقول العبد : ربي ، ولا يقال له : أطعم ربك .

الثالثة - تعليم الاول قول : فتاي ، وفتاتي ، وغلامي .

الرابعة - تعليم الثاني قول : سيدي ومولاي .

الخامسة - التنبيه للمراد ، وهو تحقيق التوحيد حتى في الالفاظ .

باب - لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله « من سأل بالله فاعطوه ، ومن استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع اليكم معروفاً فكافؤه . فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له ، حتى تروا أنكم قد كافأتموه » رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح .

فيه مسائل :

الاولى - إعاذة من استعاذ بالله .

الثانية - إعطاء من سأل بالله .

الثالثة - إجابة الدعوة .

الرابعة - المكافأة على الصنيعة .

الخامسة - أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه .

السادسة - قوله حتى ترون انكم كافأتموه .

باب - لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » . رواه ابو داود .

فيه مسائل :

الاولى ـ النهي عن أن يسأل بوجه الله الا غاية المطالب .
الثانية ـ اثبات صفة الوجه .

باب ـ ما جاء في اللو

وقول الله تعالى « يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا » .
وقوله « الذين قالوا لاخوانهم ـ وقعدوا ـ لو أطاعونا ما قتلوا » .

في الصحيح عن ابن هريرة ، ان رسول الله ﷺ قال « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجزن ، وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » .

فيه مسائل :

الاولى ـ تفسير الآيتين في سورة آل عمران .
الثانية ـ النهي الصريح عن قول « لو » اذا أصابك شيء
الثالثة ـ تعليل المسألة بان ذلك يفتح عمل الشيطان .
الرابعة ـ الارشاد الى الى الكلام الحسن .
الخامسة ـ الامر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله .
السادسة ـ النهي عن ضد ذلك وهو العجز .

باب ـ النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسبوا الريح ، فاذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها ، وشر ما أمرت به » صححه الترمذي .

فيه مسائل :

الاولى ـ النهي عن سب الريح .
الثانية ـ الارشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الانسان ما يكره .
الثالثة ـ الارشاد إلى انها مأمورة .
الرابعة ـ أنها قد تؤمر بخير ، وقد تؤمر بشر .

باب

قول الله تعالى : يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ، قل : إن للأمر كله لله ، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك؛ يقولون : لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا ، قل : لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم، وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور » .

وقوله : « الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء » .

قال ابن القيم في الآية الاولى : فسر هذا الظن بانه سبحانه لا ينصر رسوله، وان امره سيضمحل ، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته . ففسر بانكار الحكمة ، وإنكار القدر ، وإنكار أن يتم أمر رسوله ، وان يظهره الله على الدين كله ، وهذا هو ظن السوء الذين ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح . وإنما كان هذا ظن السوء لانه ظن غير ما يليق به سبحانه ، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق . فمن ظن انه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق ، او انكر ان يكون ما جرى بقضائه وقدره ، او انكر ان يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم ان ذلك لمشيئة مجردة . فذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار .

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم ، وفيما يفعله بغيرهم ،

ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته ، وموجب حكمته وحمده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهـذا ، وليتب الى الله ، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء . ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له ، وانه كان ينبغي ان يكون كذا كذا . فمستقل ومستكثر . وفتش نفسك ، هل انت سالم ؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيـــاً

فيه مسائل :

الاولى ـ تفسير آية آل عمران .

الثانية ـ تفسير آية الفتح .

الثالثة ـ الاخبار بان ذلك انواع لا تحصر .

الرابعة ـ انه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه

باب ـ ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر : « والذي نفس ابن عمر بيده ، لوكان حدهم مثل احد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه ، حتى يؤمن بالقـــدر . ثم استدل بقول النبي ﷺ : الايمان ان تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » رواه مسلم .

وعن عبادة بن الصامت انه قال لابنه : « يا بني ، انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك، وما اخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان اول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب فقال : رب ، وماذا اكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعـــة . يا بني ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : من مات على غير هذا فليس مني » .

وفي رواية لأحمد : « ان اول ما خلق الله تعالى القلم. فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » .

وفي رواية لابن وهب قال رسول الله ﷺ : « فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره : احرقه الله بالنار » .

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال : « أتيت أبي بن كعب فقلت : في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي ، فقال : لوانفقت مثل احد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار . قال : فأتيت عبدالله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ ، حديث صحيح . رواه الحاكم في صحيحه .

فيه مسائل :

الاولى ـ بيان كيفية الايمان بالقدر .

الثانية ـ بيان فرض الايمان .

الثالثة ـ احباط عمل من لم يؤمن به .

الرابعة ـ الاخبار أن احداً لا يجد طعم الايمان حتى يؤمن به .

الخامسة ـ ذكر اول ما خلق الله .

السادسة ـ أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة الى قيام الساعة .

السابعة ـ براءته ﷺ ممن لم يؤمن به .

الثامنة ـ عادة السلف في ازالة الشبهة بسؤال العلماء .

التاسعة ـ ان العلماء اجابوه بما يزيل شبهته ، وذلك أنهم نسبوا الكلام الى رسول الله ﷺ فقط .

باب – ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة ، او ليخلقوا شعيرة » أخرجاه .

ولهما عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله .

ولهما عن ابن عباس : سمعت رسول الله ﷺ يقول « كل مصور في النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم » .

ولهما عنه مرفوعاً « من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » .

ولمسلم عن أبي الهياج قال : « قال لي علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ ألا تدع صورة الا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً الا سويته ».

فيه مسائل :

الاولى ـ التغليظ الشديد في المصورين .
الثانية ـ التنبيه على العلة وهو ترك الادب مع الله لقوله « ومن اظلم من ذهب يخلق كخلقي » .
الثالثة ـ التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله فليخلقوا ذرة او حبة او شعيرة ».
الرابعة ـ التصريح بانهم اشد الناس عذاباً .
الخامسة ـ ان الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها المصور في جهنم .
السادسة ـ انه يكلف ان ينفخ فيها الروح .
السابعة ـ الامر بطمسها اذا وجدت .

باب – ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى « واحفظوا ايمانكم » .

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للكسب » أخرجاه .

وعن سلمان : ان رسول الله ﷺ قال « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : اشميط زان ، وعاقل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته ولا يبيع الا بيمينه » رواه الطبراني بسند صحيح .

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم – قال عمران : فلا أدري ، أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً ؟ – ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن » .

وفيه عن ابن مسعود : أن النبي ﷺ قال « خير النـــاس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة احدهم يمينه ، ويمينه شهادته » .

وقال ابراهيم : « كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار » .

فيه مسائل :

الاولى – الوصية بحفظ الايمان .

الثانية – الاخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة .

الثالثة – الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه .

الرابعة – التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي .

الخامسة – ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون .

السادسة – ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة ، وذكر ما يحدث .
السابعة – ان الذين يشهدون ولا يستشهدون .
الثامنة – كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد .

باب – ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقوله « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، ان الله يعلم ما تفعلون » .

وعن بريدة قال «كان رسول الله ﷺ ، إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، فقال: اغزوا بسم الله، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ».

«اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين ، فادعهم الى ثلاث خصال – أو خـــلال – فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم . ثم ادعهم الى الاسلام ، فان أجابوك فاقبل منهم ، ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين ، واخبرهم انهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين .

« فأن أبوا ان يتحولوا منها فأخبرهم انهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء ، الا ان يجاهدوا مع المسلمين . فان هم ابوا فاسألهم الجزية . فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . فان هم أبوا فاستعن بالله ، وقاتلهم .

واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة اصحابك فانكم ان تخفروا ذممكم وذمة اصحابكم ، أهون من ان تخفروا ذمة الله وذمة نبيه .
واذا حاصرت اهل حصن فأرادوك ان تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم ، ولكن انزلهم على حكمك، فانك لا تدري: أتصيب فيهم حكم الله ام لا؟ »رواه مسلم.

فيه مسائل :

الاولى – الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين .

الثانية – الارشاد الى اقل الامرين خطراً .

الثالثة – قوله « أغزوا بسم الله في سبيل الله ».

الرابعة – قوله « قاتلوا من كفر بالله » .

الخامسة – قوله « استعن بالله وقاتلهم » .

السادسة – الفرق بين حكم الله وحكم العلماء .

السابعة – في كون الصحابي يحكم عند الحاجة ، بحكم لا يدري : أيوافق حكم الله أم لا ؟

باب – ما جاء في الاقسام على الله

عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « قال رجل والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان ؟ اني قد غفرت له ، وأحبطت عملك » رواه مسلم .

وفي حديث أبي هريرة « ان القائل رجل عابد . قال ابو هريرة : تكلم بكلمة اوبقت دنياه وآخرته » .

فيه مسائل :

الاولى – التحذير من التألي على الله .

الثانية – كون النار أقرب الى احدنا من شراك نعله .

الثالثة – ان الجنة مثل ذلك.

الرابعة – فيه شاهد لقوله : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة » الخ.

الخامسة – ان الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الامور اليه .

باب – لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال « جاء أعرابي الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، نهكت الانفس ، وجاع العيال ، وهلكت الاموال ، فاستسق لنا ربك ، فانا نستشفع بالله عليك ، وبك على الله ، فقال النبي ﷺ : سبحان الله ! سبحان الله ! فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه . ثم قال : ويحك ، أتدري ما الله ؟ ان شأن الله اعظم من ذلك . انه لا يستشفع بالله على احد » وذكر الحديث رواه ابو داود .

فيه مسائل :

الاولى – انكاره على من قال « نستشفع بالله عليك » .
الثانية – تغيره تغيراً عرف في وجوه اصحابه من هذه الكلمة .
الثالثة – انه لم ينكر عليه قوله « نستشفع بك على الله » .
الرابعة – التنبيه على تفسير سبحان الله .
الخامسة – أن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء .

باب – ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد ، وسده طرق الشرك

عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال : « انطلقت في وفد بني عامر الى رسول الله ﷺ ، فقلنا : أنت سيدنا. فقال : السيد الله تبارك وتعالى . قلنا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً . فقال : قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان » رواه ابو داود بسند جيد .

وعن أنس رضي الله عنه ، ان ناساً قالوا : يا رسول الله ، يا خيرنا ، وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا فقال « يا أيها الناس ، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان ، انا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب ان ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » رواه النسائي بسند جيد .

فيه مسائل :

الاولى ـ تحذير الناس من الغلو .

الثانية ـ ما ينبغي ان يقول ، من قيل له : انت سيدنا .

الثالثة ـ قوله « لا يستجرينكم الشيطان » مع أنهم لم يقولوا إلا الحق .

الرابعة ـ قوله « ما احب ان ترفعوني فوق منزلتي » .

باب

ما جاء في قول الله تعالى : وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « جاء حبر من الاحبار الى رسول الله ﷺ ، فقال « يا محمد ، إنا نجد أن الله يجعل السموات على اصبع ، والارضين على إصبع ، والشجر على اصبع ، والماء على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على اصبع . فيقول : انا الملك . فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه ، تصديقاً لقول الحبر . ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره ، والارض جميعاً قبضته يوم القيامة) » .

وفي رواية لمسلم « والجبال والشجر على اصبع ، ثم يهزهن ، فيقول : أنا الملك ، أنا الله » .

وفي رواية للبخاري « يجعل السموات على اصبع ، والماء والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع » أخرجاه .

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : انا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين السبع ، ثم يأخذهن بشماله ، ثم يقول أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » .

وروى عن ابن عباس قال « ما السموات السبع ، والارضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد احدكم » .

وقال ابن جرير : حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : حدثني ابي قال : قال رسول الله ﷺ « ما السموات السبع في الكرمي الا كدراهم سبعة ألقيت في ترس » .

وقال : قال ابو ذر رضي الله عنه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما الكرمي في العرش الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الارض ».

وعن ابن مسعود قال « بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرمي خمسمائة عام ، وبين الكرمي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء . والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من اعمالكم » اخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبدالله. ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن ابي وائل عن عبدالله.

قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : وله طرق :

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « هل تدركون كم بين السماء والارض ؟ قلنا : الله ورسوله اعلم . قال « بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض ، والله تعالى فوق ذلك . وليس يخفى عليه شيء من اعمال بني آدم » أخرجه ابو داود وغيره .

فيه مسائل :

الاولى ـ تفسير قوله تعالى : (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة) .

الثانية ـ ان هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها .

الثالثة - أن الحبر لما ذكر للنبي ﷺ، صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.
الرابعة - وقوع الضحك من رسول الله ﷺ لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم.
الخامسة - التصريح بذكر اليدين، وان السموات في اليد اليمنى، والارضين في الاخرى.
السادسة - التصريح بتسميتها الشمال.
السابعة - ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.
الثامنة - قوله كخردلة في كف أحدكم.
التاسعة - عظم الكرسي بالنسبة الى السماء.
العاشرة - عظم العرش بالنسبة الى الكرسي.
الحادية عشرة - أن العرش غير الكرسي والماء.
الثانية عشرة - كم بين كل سماء الى سماء.
الثالثة عشرة - كم بين السماء السابعة والكرسي.
الرابعة عشرة - كم بين الكرسي والماء.
الخامسة عشرة - أن العرش فوق الماء.
السادسة عشرة - أن الله فوق العرش.
السابعة عشرة - كم بين السماء والارض.
الثامنة عشرة - كثف كل سماء مائة سنة.
التاسعة عشرة - أن البحر الذي فوق السموات أسفله وأعلاه خمسمائة سنة والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتاب كشف الشبهات

وهو ثاني كتاب ألفه الامام رحمه الله في الدرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن « التوحيد » هو إفراد الله بالعبادة ، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به الى عباده . فأولهم : نوح عليه السلام ، أرسله الله الى قومه لما غلوا في الصالحين : ودٍ وسواعٍ ويغوثَ ويعوقَ ونسر ؛ وآخر الرسل : محمد ﷺ ، وهو الذي كسر صوَر هؤلاء الصالحين ، ارسله الله الى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ، يقولون : نريد منهم التقرب الى الله ، ونريد شفاعتهم عنده ، مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين ، فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم ابراهيم ، ويخبرهم ان هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله ، لا يصلح منه شيء لملكٍ مقرب ولا نبيٍّ مرسل ، فضلًا عن غيرهما . وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون ان الله الخالق وحده لا شريك له ، وأنه لا يرزق إلا هو ، ولا يميت إلا هو ، ولا يحيي إلا هو ، ولا يدبر الأمر إلا هو ، وان

جميع السموات ومن فيهن ، والارض ومن فيها - كلهم عبيده ، وتحت تصريفه وقهره .

فاذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ قوله : « قل من يرزقكم من السماء والارض ، أمن يملك السمع والابصار، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الامر؟ فسيقولون: الله . فقل : أفلا تتقون ؟ » . وقوله : « قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله . قل أفلا تذكرون ؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله قل أفلا تتقون ؟ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله . قل فأنى تسحرون ؟ » ، وغير ذلك من الآيات .

إذا تحققت أنهم مقرون بهذا ، ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم اليه رسول الله ﷺ ؛ وعرفت ان التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا: الاعتقاد ؛ كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً ، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم الى الله، ليشفعوا له ، ويدعو رجلاً صالحاً مثل : اللات ، أو نبياً مثل : عيسى ؛ وعرفت ان رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم الى اخلاص العبادة لله ، كما قال تعالى : « فلا تدعوا مع الله احداً » ، وقال تعالى : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء » ؛ وتحققت ان رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله ، والنذر كله لله ، والذبح كله لله ، والاستعانة كلها بالله ، وجميع انواع العبادات كلها لله ؛ وعرفت ان اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ، وأن قصدهم الملائكة والانبياء والأولياء يريدون شفاعتهم ، والتقرب الى الله بذلك ، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم - عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت اليه الرسل وأبى عن الاقرار به المشركون، وهذا التوحيد هو معنى قولك : لا اله الا الله . فان الاله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه

الامور سواءٌ كان ملكاً ، أو نبياً ، أو ولياً ، او شجرة ، او قبراً ، او جنياً . لم يريدوا أن الاله هو الخالق الرازق المدبر ؛ فانهم يعلمون أن ذلك لله وحده ، كما قدمت لك ؛ وانما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد . فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم الى كلمة التوحيد : لا اله الا الله . والمراد من هذه الكلمة معناها ، لا مجرد لفظها . والكفار والجهال يعلمون ان مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو : افراد الله تعالى بالتعلق ، والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه ؛ فانه لما قال لهم : قولوا : لا اله الا الله ؛ قالوا : « أجعل الآلهة الهاً واحداً ؟ ان هذا لشيء عجاب » .

فاذا عرفت ان جهال الكفار يعرفون ذلك ، فالعجب ممن يدعى الاسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني . والحاذق منهم يظن ان معناها : لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله. فلا خير في رجل جهال الكفار اعلم منه بمعنى « لا إله إلا الله » .

اذا عرفت ما اقول لك معرفة قلب ، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ،وعرفت دين الله الذي ارسل به الرسل من أولهم الى آخرهم، الذي لا يقبل الله من احد سواه ، وعرفت ما اصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا — أفادك فائدتين :

الاولى — الفرح بفضل الله ورحمته كما قال تعالى : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون » .

وأفادك ايضاً الخوف العظيم ، فانك اذا عرفت أن الانسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن انها تقربه الى الله كما ظن الكفار ، خصوصاً ان الهمك الله ما قص عن قوم موسى — مع صلاحهم وعلمهم — أنهم أتوه قائلين : « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة » ، فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا وامثاله .

واعلم ان الله سبحانه ، من حكمته ، لم يبعث نبياً بهذا التوحيد الا جعل له اعداء كما قال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً : شياطين الانس والجن ، يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً » .

وقد يكون لاعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج ، كما قال تعالى : « فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون » .

اذا عرفت ذلك ، وعرفت ان الطريق إلى الله لا بد له من اعداء قاعدين عليه ، اهل فصاحة وعلم وحجج ـ فالواجب عليك ان تعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقاتل به هؤلاء الشياطين ، الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل : « لاقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم » . ولكن ان اقبلت على الله ، وأصغيت الى حجج الله وبيناته ، فلا تخف ولا تحزن « ان كيد الشيطان كان ضعيفاً » والعامي من الموحدين يغلب الفاً من علماء المشركين ، كما قال الله تعالى : « وان جندنا لهم الغالبون » فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان ، كما هم الغالبون بالسيف والسنان ، وانما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح . وقد من الله علينا بكتابه الذي جعله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين فلا يأتي صاحب باطل بحجة الا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها ، كما قال تعالى : « ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً » قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها اهل الباطل الى يوم القيامة .

وانا اذكر لك شيئاً مما ذكره الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا ، فنقول : جواب اهل الباطل من طريقين : مجمل ، ومفصل . اما المجمل : فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها ، وذلك قوله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب ، منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات . فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء

تأويله وما يعلم تأويله الا الله » . وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال « اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله ، فاحذروهم » .

مثال ذلك : اذا قال بعض المشركين « الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، وان الشفاعة حق، وان الانبياء لهم جاه عند الله ، اوذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله ، وانت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره ـ فجاوبه بقولك : ان الله ذكر ان الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من ان الله ذكر ان المشركين يقرون بالربوبية وانه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والاولياء مع قولهم « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ـ هذ امر محكم بين لا يقدر احد ان يغير معناه ، وما ذكرت لي ايها المشرك ، من القرآن او كلام النبي ﷺ ـ لا اعرف معناه ، ولكن أقطع ان كلام الله لا يتناقض ، وان كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله . وهذا جواب جيد سديد ولكن لا يفهمه الا من وفقه الله ، ولا تستهن به فانه كما قال تعالى : « وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

واما الجواب المفصل ، فان اعداء الله لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس ، منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بـل نشهد انه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ـ فضلاً عن عبد القادر او غيره ـ ولكن انا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله ، واطلب من الله بهم. فجاوبه بما تقدم ، وهو ان الذين قاتلهم ﷺ مقرون بما ذكرت ، ومقرون ان أوثانهم لا تدبر شيئاً ، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة ، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه .

فان قال : هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الاصنام ؟ كيف تجعلون الانبياء أصناماً ؟ فجاوبه بما تقدم ، فانه اذا أقر ان الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله ، وانهم ما ارادوا مما قصدوا الا الشفاعة

ـ ولكن اراد ان يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر ـ فاذكر له ان الكفار : منهم من يدعو الصالحين والاصنام ، ومنهم من يدعو الاولياء الذين قال الله فيهم : « اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب » ويدعون عيسى بن مريم وأمه ، وقد قال الله تعالى : « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام. انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنى يؤفكون . قل : أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً ، والله هو السميع العليم » . واذكر قوله : « ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، اكثرهم بهم مؤمنون » . فقل له : عرفت ان الله كفر من قصد الاصنام ، وكفر ايضاً من قصد الصالحين ، وقاتلهم رسول الله .

فان قال : الكفار يريدون منهم ، وانا أشهد ان الله النافع الضار المدبر ، لا اريد الا منه ، والصالحون ليس لهم من الامر شيء ، ولكن اقصدهم ارجو من الله بشفاعتهم . فالجواب : ان هذا قول الكفار سواء بسواء واقرأ عليه قولهم : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » وقولهم : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » .

واعلم ان هذه الشبه الثلاث هي اكبر ما عنده اذا عرفت ان الله وضحها في كتابه وفهمتها فهماً جيداً ، فما بعدها أيسر منها .

فان قال : انا لا أعبد إلا الله ، وهذا الالتجاء الى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة . فقل له : انت تقر ان الله فرض عليك إخلاص العبادة ، وهو حقه عليك . فاذا قال : نعم . فقل له: بين لي هذا الذي فرض عليك وهو اخلاص العبادة لله ، وهو حقه عليك . فان كان لا يعرف العبادة ولا انواعها فبينها بقولك : قال الله « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية » فاذا اعلمته بهذا فقل له : هل هو عبادة ؟ فلا بد ان يقول : نعم ـ والدعاء مخ العبادة ـ فقل له : اذا

أقررت انها عبادة ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً ، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً او غيره ، هل اشركت في عبادة الله غيره ؟ فلا بد ان يقول : نعم فقل له: فاذا عملت بقول الله تعالى ، « فصل لربك وانحر » واطعت الله ونحرت له ، « هل هذا عبادة ؟ » فلا بد ان يقول : نعم . فقل له . اذا نحرت لمخلوق. نبي او جني او غيرهما ، هل اشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد ان يقر ويقول ؛ نعم . وقل له ايضاً : المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد ان يقول : نعم . فقل له : وهل كانت عبادتهم اياهم الا في الدعاء والالتجاء ونحو ذلك؟ والا فهم مقرون انهم عبيد تحت قهر الله ، وان الله هو الذي يدبر الامر ، ولكن دعوهم والتجأوا اليهم للجاه والشفاعة . وهذا ظاهر جداً .

فان قال : اتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها ! فقل : لا انكرها ولا اتبرأ منها ، بل هو ﷺ الشافع المشفع ، وارجو شفاعته . لكن الشفاعة كلها لله ، كما قال الله تعالى : « قل لله الشفاعة جميعاً » ، ولا تكون الا من بعد اذن الله ، كما قال عز وجل : « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » ، ولا يشفع في احد الا بعد ان يأذن الله فيه ، كما قال جل جلاله : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » ، وهو لا يرضى الا التوحيد ، كما قال تعالى : « ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » فاذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون الا بعد اذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في احد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن الا لاهل التوحيد — تبين ان الشفاعة كلها ، واطلبها منه واقول : اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفعه فيّ ، وامثال هذا .

فان قال : النبي ﷺ اعطى الشفاعة وانا اطلبه مما اعطاه الله. فالجواب : ان الله اعطاه الشفاعة ، ونهاك عن هذا ، وقال : « فلا تدعوا مع الله احداً » . وايضاً فان الشفاعة اعطيها غير النبي ﷺ : فصح ان الملائكة يشفعون ، والاولياء يشفعون ، اتقول : ان الله اعطاهم الشفاعة واطلبها منهم ! . فان قلت

هذا رجعت الى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه، وان قلت : لا ، بطل قولك : اعطاه الله الشفاعة وانا اطلبه مما اعطاه الله .

فإن قال : أنا لا أشرك بالله شيئاً ، حاشا وكلا ؛ ولكن الالتجاء الى الصالحين ليس بشرك . فقل له : اذا كنت تقر ان الله حرم الشرك اعظم من تحريم الزنا ، وتقر ان الله لا يغفره ؛ فما هذا الامر الذي عظمه الله وذكر انه لا يغفره ؟ فانه لا يدري . فقل له : كيف تبرأ من الشرك وأنت لا تعرفه ، كيف يحرم الله عليك هذا ، ويذكر أنه لا يغفره ، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن ان الله يحرمه ولا يبينه لنا ؟ فان قال : الشرك عبادة الاصنام ، ونحن لا نعبد الاصنام . فقل : وما معنى عبادة الاصنام ؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الاخشاب والاحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن . وان قال : هو قصد خشبة ، أو حجر أو بنية أو غيره ، يدعون ذلك ، ويذبحون له ، يقولون انه يقربنا الى الله ، ويدفع عنا ببركته. فقل : صدقت. وهذا هو فعلكم عند الاحجار والبنـــايا التي على القبور وغيرها ؛ فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الاصنام .

ويقال له أيضاً : قولك « الشرك عبـادة الاصنام » هل مرادك ان الشرك مخصوص بهذا وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في هذا ؟ فهذا يرده ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين . فلا بد ان يقر لك ان من اشرك في عبادة الله احـــداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن ؛ وهذا هو المطلوب .

وسر المسألة انه اذا قـال : أنا لا أشرك بالله . فقل : ومـا الشرك بالله ؟ فسره لي . فان قال : هو عبادة الاصنام . فقل : ومـا معنى عبادة الاصنام ؟ فسرها لي . وان قال : أنا لا أعبد إلا الله وحده . فقل : ما معنى عبادة الله وحده ؟ فسرها لي . فان فسرها بما يبينه القرآن فهو المطلوب . وان لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه ؟ وان فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات

الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الاوثان وهو الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه ، وان عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرونها علينا ، ويصيحون كما صاح اخوانهم حيث قالوا : « أجعل الآلهة إلهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب » .

فاذا عرفت ان هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا « الاعتقاد» هو الشرك الذي انزل فيه القرآن ، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه ـ فاعلم أن شرك الاولين اخف من شرك أهل وقتنا بأمرين :

أحدهما : أن الاولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء أوثاناً مع الله إلا في الرخاء ، وأما في الشدة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى: « واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم ، وكان الانسان كفوراً » ، وقوله « قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين . بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء ، وتنسون ما تشركون » ، وقوله « واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه » ، الى قوله « قل تمتع بكفرك قليلًا انك من أصحاب النار » ، وقوله « واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين » .

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه ، وهي ان المشركين ـ الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ـ يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء ، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون سادتهم ـ تبين له الفرق بين شرك اهل زماننا وشرك الأولين . ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً ؟ والله المستعان .

والامر الثاني : أن الاولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله ، إما أنبياء ، وإما أولياء ، وإما ملائكة ، ويدعون أحجاراً وأشجاراً مطيعة لله ليست عاصية . وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس ، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير

ذلك. والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي - مثل الخشب والحجر - أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به .

واذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء ، فاعلم ان لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم فأصخ سمعك لجوابها ، وهي أنهم يقولون : « ان الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، ويكذبون الرسول، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحراً ؛ ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، ونصدق القرآن ، ونؤمن بالبعث ، ونصلي ، ونصوم ؛ فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟

والجواب : أنه لا خلاف بين العلماء كلهم ان الرجل اذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الاسلام ، وكذلك اذا آمن ببعض القرآن ، وجحد بعضه - كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة ، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة ، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم ، أو أقر بهذا كله وجحد الحج . ولما لم ينقد اناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين » ، ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع ، وحل دمه وماله ، كما قال جل جلاله « ان الذين يكفرون بالله ورسله ويقولون نؤمن ببعضٍ ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقاً » ، الآية .

فاذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعضٍ وكفر ببعضٍ فهو الكافر حقاً زالت هذه الشبهة ، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الاحساء في كتابه الذي أرسل الينا .

ويقال أيضاً : اذا كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصلاة انه كافر حلال الدم والمال بالاجماع ، وكذلك اذا أقر

بكل شيء الا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله ـ لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن، كما قدمنـا ـ فمعلوم ان التوحيد هو اعظم فريضة جاء بهـا النبي ﷺ، وهو اعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف اذا جحد الانسان شيئاً من هذه الامور كفر ولو عمل بكل مـا جاء به الرسول، واذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله ما اعجب هذا الجهل!

ويقال ايضاً: هؤلاء اصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد اسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون ويؤذنون. فان قال: انهم يقولون ان مسيلمة نبي، قلنا: هذا هو المطلوب، اذا كان من رفع رجلاً الى رتبة النبي ﷺ، كفر وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع «شمسان»، و«يوسف»، أو صحابياً، أو نبياً في مرتبة جبار السموات والارض؟ سبحان الله مـا أعظم شأنه! «كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون».

ويقال ايضاً: ان الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنـار كلهم يدعون الاسلام، وهم من اصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالها، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون ان الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون الاعتقاد في «تاج» وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر؟

ويقال أيضاً: بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدعون الاسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وان بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال ايضاً: إذا كان الاولون لم يكفروا الا لأنهم جمعوا بين الشرك

وتكذيب الرسول والقرآن ، وإنكار البعث وغير ذلك ، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب « باب حكم المرتد » ، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ؟ ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله ، حتى انهم ذكروا أشياء يسيرة عند من يفعلها ، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب .

ويقال ايضاً : الذين قال الله فيهم « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم » أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ يجاهدون معه ويصلون معه، ويزكون، ويحجون ، ويوحدون؟ وكذلك الذين قال فيهم « قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ لا تعتذروا، قد كفرتم بعد ايمانكم » ، فهؤلاء الذين صرح الله انهم كفروا بعد ايمانهم هم كانوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح . فتأمل هذه الشبهة ، وهي قولهم : تكفرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون ؟ ثم تأمل جوابها ، فانه من أنفع ما في هذه الاوراق .

ومن الدليل على ذلك أيضاً ما حكى الله عن بني اسرائيل — مع اسلامهم وعلمهم وصلاحهم — أنهم قالوا لموسى « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة » ، وقول أناس من الصحابة ، اجعل لنا ذات أنواط ؛ فحلف ﷺ أن هذا نظير قول بني اسرائيل « اجعل لنا إلهاً » ؛ ولكن للمشركين شبهة أخرى يدلون بها عند هذه القصة ، وهي انهم يقولون ان بني اسرائيل لم يكفروا ، وكذلك الذين قالوا ، اجعل لنا ذات أنواط ؛ لم يكفروا .

والجواب ان تقول ، ان بني اسرائيل لم يفعلوا ، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ ؛ ولا خلاف ان بني اسرائيل لم يفعلوا ذلك ، ولو فعلوا ذلك لكفروا ؛ وكذلك لا خلاف ان الذين نهاهم النبي ﷺ — لو لم يطيعوه ، واتخذوا ذات انواط بعد نهيه — لكفروا ؛ وهذا هو المطلوب .

ولكن هذه القصة تفيد ان المسلم ، بل العالم ، قد يقع في انواع من الشرك لا يدري عنها، فيفيد التعلم والتحرز ومعرفة ان قول الجاهل « التوحيد فهمناه » ان هذا من اكبر الجهل ، ومكايد الشيطان . وتفيد أيضاً ان المسلم المجتهد اذا تكلم بكلام كفر - وهو لا يدري - فنبه على ذلك وتاب من ساعته ، أنه لا يكفر ؛ كما فعل بنو اسرائيل والذين سألوا رسول الله ﷺ . وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر فانه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً، كما فعل رسول الله ﷺ.

وللمشركين شبهة أخرى ، يقولون ، ان النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال ، لا إله إلا الله ؛ وقال « أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » وكذلك قوله « أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » ، واحاديث أخر في الكف عمن قالها . ومراد هؤلاء الجهلة ان من قالها لا يكفر ولا يقتل ، ولو فعل ما فعل .

فيقال لهؤلاء الجهلة ، معلوم ان رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون ، لا إله إلا الله ؛ وان اصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول الله ، ويصلون ، ويدعون الاسلام ؛ وكذلك الذين حرقهم علي بن ابي طالب بالنار. وهؤلاء الجهلة يقرون ان من انكر البعث كفر وقتل ، ولو قال ، لا إله إلا الله ؛ وان من جحد شيئاً من اركان الاسلام كفر وقتل ، ولو قالها ، فكيف لا تنفعه اذا جحد فرعاً من الفروع، وتنفعه اذا جحد التوحيد الذي هو اساس دين الرسل ورأسه؟

ولكن اعداء الله ما فهموا معنى الاحاديث . فأما حديث أسامة فانه قتل رجلاً ادعى الاسلام بسبب انه ظن ما ادعى الاسلام إلا خوفاً على دمه وماله؛ والرجل اذا اظهر الاسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ؛ وأنزل الله في ذلك « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا » أي تثبتوا . فالآية تدل على انه يجب الكف عنه والتثبت ، فان تبين منه بعد ذلك ما يخالف الاسلام قتل لقوله « فتبينوا » ولو كان لا يقتل اذا قالها لم يكن

للتثبت معنى . وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه ، وان من أظهر التوحيد والاسلام وجب الكف عنه الا أن يتبين منه ما يناقض ذلك . والدليل على هذا ان رسول الله ﷺ - الذي قال « أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله » وقال « أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » - هو الذي قال في الخوارج « أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن ادركتهم لأقتلنهم قتل عادٍ » مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا ، حتى ان الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم ، وهم تعلموا العلم من الصحابة ؛ فلم تنفعهم « لا إله إلا الله » ولا كثرة العبادة ، ولا ادعاء الاسلام ، لما ظهر منهم مخالفة الشريعة . وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود ، وقتال الصحابة بني حنيفة ، وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة ، حتى أنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأٍ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة » وكان الرجل كاذباً عليهم . وكل هذا يدل على ان مراد النبي ﷺ في الاحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه .

ولهم شبهة أخرى ، وهي ما ذكر النبي ﷺ أن الناس في الموقف يوم القيامة يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ، ثم بابراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى ؛ فكلهم يعتذر حتى ينتهوا الى رسول الله ﷺ قالوا : فهذا يدل على ان الاستغاثة بغير الله ليست شركاً . والجواب ان نقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه ، فان الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها ، كما قال تعالى في قصة موسى « فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه » وكما يستغيث الانسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق . ونحن انكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الاشياء التي لا يقدر عليها إلا الله .

اذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم ان يدعو الله ان يحاسب الناس حتى يستريح اهل الجنة من كرب الموقف ، وهذا جائز في

الدنيا والآخرة : أن تأتي عند رجل صالح حيّ يجالسك ويسمع كلامك تقول له : ادع الله لي ؛ كما كان اصحاب رسول الله ﷺ يسألونه في حياته ، وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم يسألون ذلك ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف بدعائه نفسه ؟

ولهم شبهة أخرى ، وهي قصة ابراهيم لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء ، قال : ألك حاجة ؟ فقال ابراهيم : أما اليك فلا . فقالوا : فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها على ابراهيم . فالجواب : ان هذا من جنس الشبهة الاولى ، فان جبريل عرض عليه ان ينفعه بأمر يقدر عليه ، فانه كما قال الله فيه : « شديد القوى » فلو أذن الله له ان يأخذ نار ابراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق والمغرب لفعل ، ولو أمره الله ان يضع ابراهيم في مكان بعيد عنهم لفعل ، ولو أمره الله ان يرفعه الى السماء لفعل. وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه ان يقرضه ، او يهبه شيئاً يقضي به حاجته ، فيأبى ذلك المحتاج ان يأخذ ، ويصبر الى ان يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد . فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون ؟

ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم ، لكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ، ولكثرة الغلط فيها ، فنقول :

لا خلاف ان التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فان اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً ، فان عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وابليس . وهذا يغلط فيه كثير من الناس ، يقولون : هذا حق ، ونحن نفهم هذا ، ونشهد انه الحق ، ولكن لا نقدر ان نفعله ولا يجوز عند اهل بلدنا إلا من وافقهم ؛ أو غير ذلك من الاعذار . ولم يدر المسكين ان غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ، ولم يتركوه الا لشيء من الاعذار ، كما قال تعالى : « اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً » وغير ذلك من الآيات ، كقوله : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » . فان عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه

ولا يعتقده بقلبه فهو منافق ، وهو أشر من الكافر الخالص « إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار ».

وهذه المسألة مسألة طويلة تبين لك اذا تأملتها في ألسنة الناس : ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا او جاه او مداراة ؛ وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً. ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله أولاهما قوله: « لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم » . فاذا تحققت ان بعض الصحابة الذين غزو الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح ، تبين لك ان الذي يتكلم بالكفر ويعمل به ، خوفاً من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد ، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها .

والآية الثانية قوله تعالى : « من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة » ، الآية . فلم يعذر الله من هؤلاء من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالايمان ؛ وأما غير هذا فقد كفر بعد ايمانه سواء فعل خوفاً أو مداراةً او مشحة بوطنه او اهله او عشيرته او ماله ، او فعل على وجه المزح او لغير ذلك من الاغراض – الا المكره . والآية المشهورة تدل على هذا من جهتين ، الأولى – قوله : « إلا من أكره » ، فلم يستثن الله الا المكره ؛ ومعلوم ان الانسان لا يُكره الا على الكلام والعمل ، وأما عقيدة القلب فلا يكرهه أحد عليها . والثانية – قوله تعالى : « ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة » فصرح ان هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر ، وانما سببه ان له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا ، فآثره على الدين .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

تفسير سورة الفاتحة

وهذه رسالة تفسير سورة الفاتحة كتبها وهو في العيينة ، بطلب الأمير الشاب عبد العزيز بن محمد سعود وأرسلها اليه في الدرعية قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ان مقصود الصلاة وروحها ولبها هو : إقبال العبد على الله فيها ؛ فاذا صليت بلا قلب فهي كالجسد الذي لا روح فيه ، ويدل على ذلك قوله تعالى : « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » . ففسر « السهو » بالسهو عن وقتها ، أي إضاعته ، والسهو عما يجب فيها ؛ والسهو عن حضور القلب ، ويدل على ذلك الحديث الذي في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً » . فوصفه باضاعة الوقت بقوله « يرقب الشمس » . وباضاعة الاركان بذكره « النقر » ، وباضاعة حضور القلب بقوله « لا يذكر الله فيها إلا قليلاً ».

اذا فهمت ذلك فافهم نوعاً واحداً من الصلاة وهو: قراءة الفاتحة ، لعل الله أن يجعل صلاتك في الصلاة المقبولة المضاعفة المكفرة للذنوب . ومن احسن ما يفتح لك الباب في فهم الفاتحة ، حديث أبي هريرة الذي في صحيح مسلم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فاذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدني عبدي ، فاذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله : أثنى عليّ عبدي ، فاذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله : مجدني عبدي ، فاذا قال : اياك نعبد واياك نستعين ، قال الله : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فاذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال الله : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل » انتهى الحديث .

فاذا تأمل الانسان هذا وعلم أنها نصفان : نصف لله وهو اولها الى قوله « اياك نعبد » ونصف العبد دعاء يدعو به لنفسه ، وتأمل ان الذي علمه هذا هو الله تعالى ، وأمره ان يدعو به ، ويكرره في كل ركعة ، وانه ، سبحانه من فضله وكرمه ، ضمن اجابة هذا الدعاء اذا دعاه باخلاص وحضور قلب — تبين له ما أضاع أكثر الناس :

قد هيئوك لأمر لو فطنت له   فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهملِ

فأنا أذكر لك بعض معاني هذه السورة العظيمة ، لعلك تصلي بحضور قلب ، ويعلم قلبك ما نطق به لسانك، فان ما نطق به اللسان ولم يعتقده القلب ليس بعمل صالح ، كما قال تعالى : « يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم » . وابدأ بمعنى الاستعاذة ثم البسملة على طريق الاختصار والايجاز :

فمعنى « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » : ألوذ وأعتصم بالله ، وأستجير بجنابه من هذا العدو أن يضرني في ديني أو دنياي ، أو يصدني عن فعل ما أمرت به ، أو يحثني على فعل ما نهيتُ عنه ، لأنه أحرص ما يكون على العبد

اذا أراد عمل الخير من صلاة أو قراءة أو غير ذلك ، وذلك أنه لا حيلة لك في دفعه إلا بالاستعاذة بالله لقوله تعالى « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء الذين لا يؤمنون » فاذا طلبت من الله ان يعيذك منه واعتصمت به كان هذا سبباً لحضور القلب . فاعرف معنى هذه الكلمة ولا تقلها باللسان فقط كما عليه اكثر الناس .

وأما البسملة ، فمعناها : أدخل في هذا الامر - من قراءة ، أو دعاء ، أو غير ذلك - بسم الله ، لا بحولي ولا بقوتي ، بل افعل هذا الامر مستعيناً بالله ، متبركاً باسمه تبارك وتعالى . هذا في كل أمر تسمي في اوله من أمر الدين أو أمر الدنيا. فاذا أحضرت في قلبك أن دخولك في القراءة مستعيناً بالله ، متبرئاً من الحول والقوة ، كان هذا أكبر الأسباب في حضور القلب ، وطرد الموانع من كل خير .

الرحمن الرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة ، أحدهما أبلغ من الآخر ، مثل: العلام والعليم ، قال ابن عباس : هما اسمان رقيقان ، احدهما أرق من الآخر ، أي أكثر من الآخر رحمة .

وأما الفاتحة ، فهي سبع آيات : ثلاث ونصف لله ، وثلاث ونصف للعبد ، فأولها « الحمد لله رب العالمين » ، فاعلم ان الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري ، فأخرج بقوله « الثناء باللسان » الثناء بالفعل الذي يسمى لسان الحال ، فذلك من نوع الشكر ، وقوله « على الجميل الاختياري » الذي يفعله الانسان بارادته . وأما الجميل الذي لا صنع له فيه مثل الجمال ونحوه ، فالثناء به يسمى مدحاً ، لا حمداً ، والفرق بين الحمد والشكر أن الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه ، سواء كان احساناً الى الحامد ، أو لم يكن، والشكر لا يكون الا على احسان المشكور . فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر ، لأنه لا يكون على المحاسن والاحسان ، فان الله يحمد على ماله من الاسماء الحسنى ومـا خلقه في الآخرة والأولى ، ولهذا قال « الحمد لله الذي لم

يتخذ ولداً » ، الآية . وقال « الحمد لله الذي خلق السموات والارض » وغير ذلك من الآيات .

وأما الشكر، فانه لا يكون الا على الانعام ، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه ، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان ، ولهذا قال الله تعالى « اعملوا آل داود شكراً » والحمد انما يكون بالقلب واللسان . فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة انواعه ، والحمد اعم من جهة اسبابه . والألف واللام في قوله « الحمد » للاستغراق ، أي : جميع أنواع الحمد لله لا لغيره . فأما الذي لا صنع للمخلوق فيه ، مثل : خلق الانسان ، وخلق السمع والبصر ، والسماء والارض ، والارزاق ، وغير ذلك – فواضح . وأما ما يحمد عليه المخلوق مثل ما نثني به على الصالحين ، والانبيـــاء والمرسلين ، وعلى من فعل معروفاً ، خصوصاً ان اسداه اليك ، فهذا كله لله أيضـــاً ، بمعنى أنه خلق ذلك الفـــاعل ، وأعطاه ما فعل به ذلك ، وحببه اليه ، وقواه عليه ، أو غير ذلك من افضال الله الذي لو يختل بعضها لم يحمد ذلك المحمود ، فصار الحمد كله لله بهذا الاعتبار.

وأما قوله « لله رب العالمين » ، فالله علمٌ على ربنا تبارك وتعالى . ومعناه : الإله ، أي المعبود ، لقوله « وهو الله في السموات وفي الارض » أي المعبود في السموات ، والمعبود في الارض « ان كل من في السموات والارض إلا آتى الرحمن عبداً » ، الآية . وأمـــا « الرب » ، فمعناه المالك المتصرف . وأمـــا « العالمين » فهو اسم لكل ما سوى الله تبارك وتعالى ، فكل ما سواه من : ملك ونبي ، وانس وجن ، وغير ذلك – مربوب مقهور ، يتصرف فيه ، فقير محتاج اليه ، كلهم صامدون الى واحد لا شريك له في ذلك، وهو الغني الصمد. وذكر بعد ذلك « مالك يوم الدين » ، وفي قراءة « ملك يوم الدين » ، وذكر في أول هذه السورة التي هي اول المصحف الألوهية والربوبية والملك، كما ذكره في آخر سورة في المصحف « قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس » فهذه ثلاثة اوصاف لربنا تبارك وتعالى، ذكرها مجموعة في موضع واحد في اول

القرآن ، ثم ذكرها مجموعة في آخر ما يطرق سمعك من القرآن . فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع ، ويبذل جهده في البحث عنه ، ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في اول القرآن ، ثم في آخر القرآن الا لما يعلم من شدة حاجة العباد الى معرفتها ، ومعرفة الفرق بين هذه الصفات ، فكل صفة لها معنى غير معنى الصفة الاخرى، (كما يقال : محمد رسول الله ، وخاتم النبيين، وسيد ولد آدم ؛ فكل وصف له معنى غير معنى الآخر) .

فاذا عرفت أن معنى « الله » هو : الإله ، وعرفت ان الإله هو المعبود ، ثم دعوت الله ، أو ذبحت له ، أو نذرت له — فقد عرفت أنه هو الله ، وان دعوت مخلوقاً طيباً أو خبيثاً ، أو ذبحت له ، أو نذرت له — فقد زعمت أنه هو الله . فمن عرف انه جعل شمسان أو تاجاً برهة من عمره هو الله ، عرف ما عرفتْ بنو اسرائيل لما عبدوا العجل ، فلما تبين لهم ارتاعوا ، وقالوا كما ذكر الله عنهم « ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين » . وأما « الرب » فمعناه المالك المتصرف ، فالله تعالى مالك كل شيء ، وهو المتصرف فيه ، وهذا حق ، ولكن أقر به عباد الاصنام الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ، كما ذكر الله فيهم في القرآن في غير موضع، كقوله « قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار» الى قوله « أفلا تتقون » .

فمن دعا الله في تفريج كربته ، وقضاء حاجته ، ثم دعا مخلوقاً في ذلك خصوصاً ان قرن بدعائه المخلوق نسبة نفسه الى عبوديته ، مثل قوله في دعائه : فلان عبدك ، أو قول : عبد عليٍّ ، أو عبد النبي ، أو عبد الزبير — قد أقر له بالربوبية في دعائه علياً ، أو الزبير بدعاء الله تبارك وتعالى، وأقر له بالعبودية ليأتي له بخير أو يصرف عنه شراً مع تسميته نفسه عبداً له — قد أقر له بالربوبية ، ولم يقر بأنه رب العالمين كلهم ، بل جحد بعض ربوبيته . فرحم الله عبداً نصح نفسه وتفطن لهذه المهمات . وسئل عن كلام اهل العلم ، وهم اهل

الصراط المستقيم : هل فسروا هذه السورة بهذا أم لا ؟

وأما « الملك » فيأتي الكلام عليه ، وذلك أن قوله : « مالك » وفي القراءة الاخرى « ملك يوم الدين » فمعناه عند جميع المفسرين كلهم ما فسره الله به في قوله « وما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدراك ما يوم الدين ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله » ، فمن عرف تفسير هذه الآية ، وعرف تخصيص الملك بذلك اليوم مع انه سبحانه وتعالى مالك كل شيء : ذلك اليوم وغيره ، عرف تخصيصه بهذه المسألة الكبيرة العظيمة التي بسبب معرفتها دخل الجنة من دخلها ، وبسبب الجهل بها دخل النار من دخلها . فيا لها من مسألة لو رحل الرجل فيها أكثر من عشرين سنة لم يوفها حقها ! فأين هذا المعنى والايمان بما جاء به القرآن مع قوله ﷺ : « يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً » من قول صاحب البردة :

ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تحلى باسم منتقم
فان لي ذمة منه بتسميتي محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

فليتأمل الناصح لنفسه هذه الأبيات ومعناها ، ومن فتن بها من العباد وممن يدعي انه من العلماء ، واختاروا تلاوتها على تلاوة القرآن : هل يجتمع في قلب عبد التصديق بهذه الأبيات والتصديق بقوله : « يوم لا تملك نفسٌ لنفسٍ شيئاً والأمر يومئذ لله » ، وقوله « يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً » ؟ لا والله ، لا والله ، إلا كما يجتمع في قلبه ان موسى صادق وأن فرعون صادق ، وان محمداً صادق على الحق ، وأن أبا جهل صادق على الحق . والله ما استويا ، ولن يتلاقيا ، حتى تشيب مفارق الغربان .

فمن عرف هذه المسألة وعرف البردة ومن فتن بها — عرف غربة الاسلام ، وعرف ان العداوة لنا ، واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا ، ليس عند التكفير

والقتال ، بل هم الذين بدءونا بالتكفير والقتال ، بل عند قوله « فلا تدعوا مع الله أحداً » ، وعند قوله « أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » ، وقوله « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء » الآية .

فهذه بعض المعـــاني من قوله « مالك يوم الدين » باجماع المفسرين كلهم . وقد فسرها الله سبحانه في سورة « اذا السماء انفطرت » كما قدمت لك . فاعلم أرشدك الله أن الحق لا يتبين إلا بالباطل ، كما قيل : وبضدها تتميز الاشياء .

فتأمل ما ذكرت لك ساعة بعد ساعة ، ويوماً بعد يوم ، وشهراً بعد شهر ، لعلك ان تعرف ملة ابراهيم ودين نبيك محمد ، فتحشر معهما ، ولا تصد عن الحوض يوم الدين كما يصد عنه من صد عن طريقهما . ولعلك ان تمر على الصراط المستقيم يوم القيـامة ولا تزل عنه كما زل عنه من زل عن صراطهما المستقيم في الدنيا . فعليك بادامة دعاء الله بدعاء الفاتحة مع حضور قلب وخوف وتضرع .

وأما قوله « اياك نعبد واياك نستعين » فالعبـادة : كمال الخضوع ، وكمال المحبة ، والخوف والذل. وقدم المفعول وهو « اياك » وكرر للاهتمام والحصر ، أي : لا نعبد إلا اياك ، ولا نتوكل الا عليك. وهذا هو كمال الطاعة ، والدين كله يرجع الى هذين المعنيين ؛ فالأول : التبري من الشرك ، والثاني : التبري من الحول والقوة . فقوله « اياك نعبد » اياك نوحد ، ومعناه : انك تعاهد ربك أن لا تشرك في عبادته أحداً : لا ملكاً ولا نبياً ولا غيرهما ، كما قال تعـالى للصحابة « ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون » ، فتأمل هذه الآية ، واعرف مـــا ذكرت لك في الربوبية أنها التي نسبت الى تاج ومحمد بن شمسان ، فاذا كان الصحابة لو فعلوها مع الرسل لكفروا بعد اسلامهم ، فكيف بمن فعلها في تاج وأمثاله ؟

وقوله « واياك نستعين » هذا فيه أمران : أحدهما سؤال الله الاعانة ، وهو التوكل والتبري من الحول والقوة ، وأيضاً طلب الاعانة من الله كما مر أنها من

نصف العبد .

وأما قوله « أهدنا الصراط المستقيم » فهذا هو الدعاء الصريح الذي هو حظ العبد من الله ، وهو التضرع اليه ، والالحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم الذي لم يعط احد في الدنيا والآخرة أفضل منه ، كما منّ الله على رسوله ﷺ بعد الفتح بقوله « ويهديك صراطاً مستقيماً ». والهداية هنا : الارشاد والتوفيق. وليتأمل العبد ضرورته الى هذه المسألة فان الهداية الى ذلك تتضمن العلم النافع والعمل الصالح على وجه الاستقامة والكمال والثبات الى أن يلقى الله .

والصراط : الطريق الواضح المستقيم الذي لا عوج فيه ، والمراد بذلك : الدين الذي أنزل على رسول الله .

« صراط الذين أنعمت عليهم » وهم رسول الله ﷺ وأصحابه . فأنت دائماً في كل ركعة تسأل الله ان يهديك الى طريقهم . وعليك من الفرائض ان تصدق الله في انه هو المستقيم ، وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة فليس بمستقيم بل معوج . وهذا أول واجبات هذه الآية ، وهو اعتقادك ذلك بالقلب . وليحذر المؤمن من خدع الشيطان ، وهو اعتقاد ذلك مجملاً وتركه مفصلاً ، فان أكثر الناس من المرتدين يعتقدون ان رسول الله ﷺ على الحق وان من خالفه على الباطل ، فاذا جاء بما لا تهوى أنفسهم يكونون كما قال الله تعالى « فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون » .

وأما قوله « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم ، والضالون : العاملون بلا علم ، فالأول صفة اليهود ، والثاني صفة النصارى. وكثير من الناس اذا رأى في التفسير ان اليهود مغضوب عليهم وان النصارى ضالون ظن الجاهل ان ذلك مخصوص بهم وهو يقر ان ربه فارض عليه ان يدعو بهذا الدعاء ، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات ، فيا سبحان الله كيف يعلمه الله ، ويختار له ، ويفرض عليه ان يدعو به دائماً مع انه لا حذر عليه منه ، ولا يتصور ان فعله هذا هو ظن السوء بالله .

هذا آخر الفاتحة .

وأما قوله : آمين ، فليست من الفاتحة ولكنها تأمين على الدعاء ؛ ومعناها: اللهم استجب . فالواجب تعليم الجاهل لئلا يظن أنها من كلام الله . والله أعلم .

تمت ولله الحمد .

وقال أيضاً رحمه الله في مسائل ذكرها على سورة الفاتحة :

الاولى – « اياك نعبد واياك نستعين » فيها التوحيد .

الثانية – « أهدنا الصراط المستقيم » فيها المتابعة .

الثالثة – « أركان الدين : الحب ، والرجاء ، والخوف . فالحب في الاولى وهي « الحمد لله رب العـالمين » ، والرجاء في الثانية وهي « الرحمن الرحيم » ، والخوف في الثالثة وهي « مالك يوم الدين » .

الرابعة – هلاك الاكثر في الجهل بالآية الاولى ، أعني: استغراق الحمد لله ، واستغراق ربوبية العالمين .

الخامسة – أول المنعم عليهم واول المغضوب عليهم والضالين .

السادسة – في ذكر المنعم عليهم ظهور الكرم والحمد .

السابعة – ظهور القدرة والجد في ذكر المغضوب عليهم والضالين .

الثـامنة – دعاء الفاتحة مع قوله « لا يستجاب دعاء من قلب غافل » .

التاسعة – قوله « صراط الذين أنعمت عليهم » فيه حجة الاجماع .

العاشرة – ما في الجملة من هلاك الانسان اذا وكل الى نفسه .

الحادية عشرة – ما فيها من النص على التوكل .

الثانية عشرة – ما فيها من التنبيه على بطلان الشرك .

الثالثة عشرة – التنبيه على بطلان البدع .

الرابعة عشرة – آيات الفـاتحة كل آية لو يفهمها الانسان كان فقيهاً ، وكل آية أفرد معناها بالتصنيف .

الفهرست

كتاب سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب

انتهى ولله الحمد في أول رجب سنة ٣٨٢ طبعه بمطبعة كرم – بيروت

مؤلفات الاستاذ امين سعيد

المطبوعة

ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم	صدر	سنة	١٩٣٤
ايام بغداد (رحلة في العراق)	«	«	١٩٣٤
الثورة العربية الكبرى (ثلاث مجلدات)	«	«	١٩٣٦
تاريخ الاسلام السياسي (مجلدان)	«	«	١٩٣٧
الدولة العربية المتحدة (٣ مجلدات)	«	«	١٩٣٨
مصر من الحملة الفرنسية حتى انهيار الملكية	«	«	١٩٥٨
الثورة «ثورة جمال عبد الناصر»	«	«	١٩٥٩
العدوان	«	«	١٩٥٩
تاريخ اليمن السياسي	«	«	١٩٦٠
الجمهورية العربية المتحدة (مجلدان)	«	«	١٩٦٠

اصدرت هذه الكتب وعددها ١٦ مجلداً ، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة

الوطن العربي	صدر	سنة	١٩٦١
ثورات العرب في القرن العشرين	«	«	١٩٦١

أصدرتهما دار الهلال بالقاهرة

أمجاد آل سعود (رحلة في المملكة العربية المتحدة)	«	«	١٩٦١

اصدرته مكتبة دار التعاون بالقاهرة

تاريخ الدولة السعودية :

المجلد الاول : من محمد بن سعود حتى عبد الرحمن الفيصل

« الثاني : عهد الملك عبد العزيز

الخليج في نهضته الجديدة
الثورة العربية الكبرى (طبعة ثانية)
سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب
اصدرت هذه الكتب دار الكاتب العربي في بيروت سنة ١٩٦٣ و ١٩٦٤

كتب تحت الطبع للمؤلف :

بلاد العرب في ظل الحكم العثماني
سورية من الاحتلال الى الوحدة
جمهورية لبنان
» الجزائر
تاريخ المغرب السياسي
السودان المستقل
ليبيا المستقلة
الدولة الفيصلية في الشام
الدولة الهاشمية في الاردن
الدولة الفيصلية في العراق
ثورة العراق
تونس المستقلة
الجامعة العربية (مجلدان)

••••••••